# أمة من غنم

تأليف
وليم ليدرر

ترجمة
على جمال الدين عزت

مراجعة
الدكتور عبد الغنى خلف الله

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

هذه ترجمة كاملة لكتاب

# A Nation of Sheep

by

William J. Lederer

مطبعة السنة المحمدية

١٩٦٢

# أمة من غنم

## A Nation of Sheep

## مقدمـــــة

كتب إلى يوجين بيردك وإلى أكثر من ثمانية آلاف قارىء خلال السنتين والنصف التى أعقبت نشر كتاب « الأمريكى القبيح » . وقد تلقينا رسائل من كل ركن من أركان البـــلاد ومن كل صنف من الناس ، من كل مهنة يمكن تصورها ، رسائل كانت فى غالبها من مواطنين «عاديين» وجهوا جميعا ، بصورة أو بأخرى ، هذا السؤال : ما الذى يمكن أن يفعله المواطن العادى بالنسبة لوضع الولايات المتحدة فى الشئون الخارجية ؟ كيف يمكن لرجل الشارع أن يساعد فى منع الأخطاء التى مكنا لأعدائنا استغلالها ضدنا فى مناطق واسعة من العالم ـ مناطق كان نفوذنا فيها عظيما ، والإعجاب بنا بالغا ، وذلك منذ خمسة عشر عاما فقط .

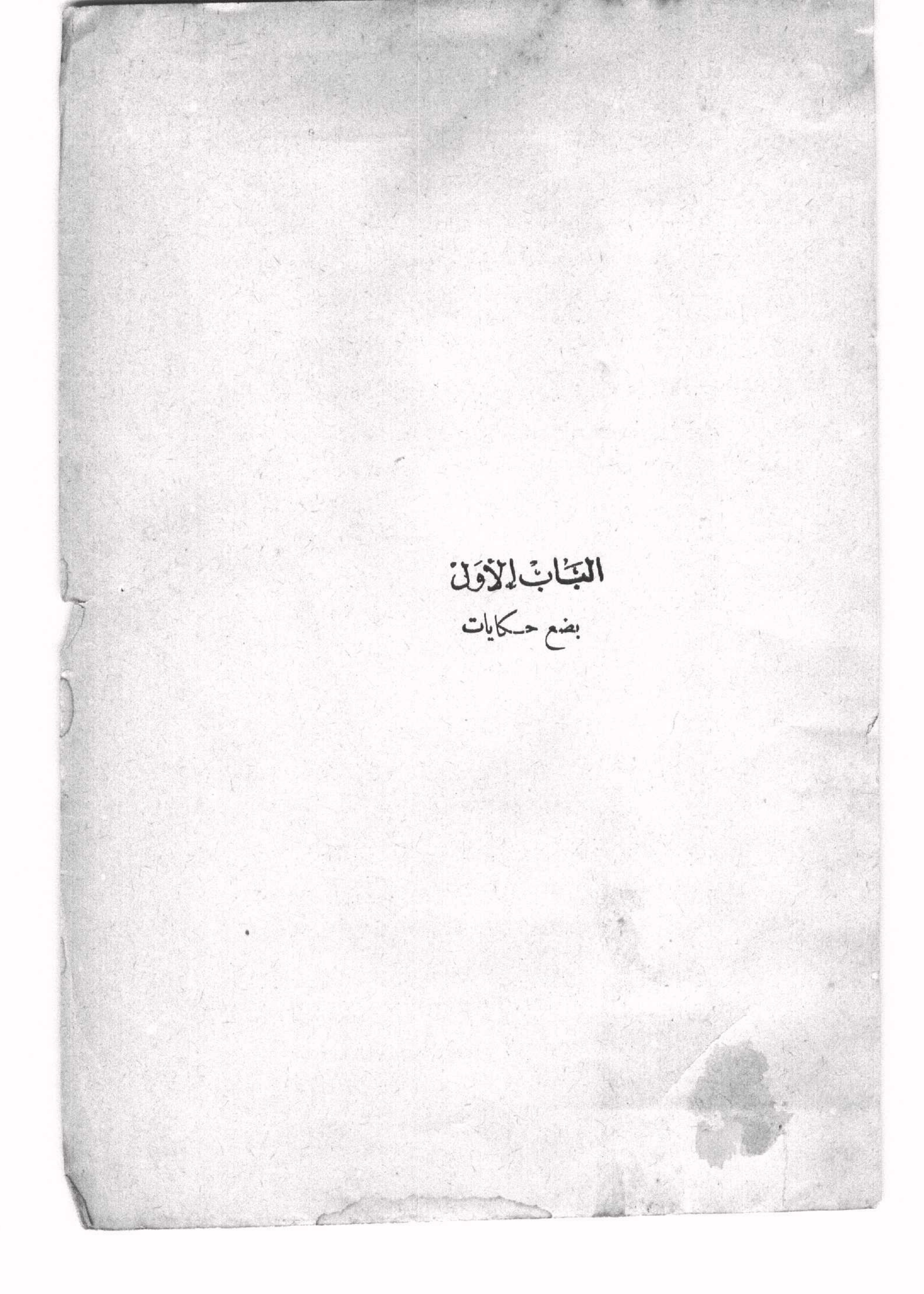
هذه أسئلة محيرة ، ولا ريب أن البروفسور بيردك وأنا لم نورد فى كتاب « الأمريكى القبيح » أكثر من إشارات عابرة فيما يختص بالإجابة عليها . ويتمثل مفتاح اللغز فى معرفة أسباب تلك الأخطاء ؛ أما السبب الرئيسى فهو الجهل ـ الجهل القومى الشامل بالحقائق المتعلقة ببقية أرجاء العالم . فلا الأمة ، ولا الفرد ، يستطيع تأدية وظيفته مالم يجد الحقيقة واضحة فى متناول اليد . وحيث ان الولايات المتحدة بلد ديمقراطى . فإن الإجابة القاطعة على هذا السؤال الذى ورد فى الثمانى آلاف رسالة الخاصة « بالأمريكى القبيح » هو أن كلامنا ينبغى أن يلم بالحقائق .

ومن الصعب أن تطبق هذا الحل ، شأن معظم الحلول البسيطة ، وبخاصة فى الولايات المتحدة اليوم حيث الحقائق خافية إلى حد بعيد ، وحيث تجهل الحكومة ذاتها أبرز الأحداث التى تجرى فيما عداها من الدول ، وحيث الصحافة مقتنعة

تمام الاقتناع بأن الشعب الأمريكى لايريد الحقائق المؤلمة المتعلقة بالسياسة الخارجية لدرجة أنها - أى الصحافة - لاتبذل سوى جهود روتينية لحسب فى سبيل إيراد هذه الحقائق ، وحيث جعل الافتقار إلى المعلومات الخاصة بالشئون الدولية ، من أفراد الشعب الأمريكى أمة من غنم ، يستشعرون قلقا ، ولكنهم فى حالة من التبلد والجهل بالحقائق تحول بينهم وبين تقصى أسبابه - فهم يتقبلون حلولا تبدو رخيصة وسهلة وتأتى من مصدر يلوح لهم فى الظاهر أنه أكثر علما منهم .

لقد ألفت هذا الكتاب عن اقتناع بأن ثمة شىء يمكن عمله فى هذا الصدد ، وأنه يتحتم أن يكون المواطن العادى هو الذى يقوم بهذا الشىء . وأرجو آملا أن يكون هذا الكتاب جوابا شافيا عن الأسئلة التى تضمنها كتاب «الأمريكى القبيح» .

و . ج . ليدرر
لويل هاوس
كمبردج ، ما ساشوستش
١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠



# الباب الأول

## بضع حكايات

— ١ —

## خدعة لاوس

قد يكون خراب أمة قوية وشيك الوقوع من جراء النشاط الذى يقوم به شخص واحد ، يغرى الزعماء على أن يقوموا بتهدئة الشعب بتقديم انصاف الحقائق له ، ويغرى الصحافة على أن تسلك سبيل الغفلة ، ويعين الناس على أن يخدعوا أنفسهم ، ويحث مواطنيه على أن يقتصروا على جوانب الحياة الهزلية وأنواع اللهو الفارغة ، وأن يتجنبوا صدمات الحقيقة .

والمذنب هو ذلك الشخص الذى ينعم النظر الآن فى هذه الكلمات ، والذى يمسك بهذا الكتاب ـ فى هذه اللحظة . والقطر هو الولايات المتحدة الأمريكية .

والمؤلف نفسه شريك فى الجرم ، ذلك أنه أخفق لعدة سنين ، فى أن يكون وطنيا غيورا . لقد تمتع بحقوقه وامتيازاته كمواطن ولكنه رفض القيام بمسئولياته ، شأن معظم الأمريكيين العاديين .

ونتائج ذلك مفجعة . فنحن اليوم أمة من مواطنين مترفين لايخدمون وطنهم إلا إذا نعموا بالطمأنينة المادية والكماليات الوفيرة ، أمة من الكسالى الذين يحاولون أن يرشوا الأمم المحايدة للتعاون معهم . إننا أمة من أناس يخشون أن يجاهروا برأيهم فيما حزب من أمور ، أناس نرفع عقيرتنا مطالبين بأوقات فراغ دون أن ندرك كيف نفيد منها ، أناس أعمانا انغماسنا فى التفكير فى أمر أنفسنا عن الأخطار الحقيقية المحدقة بعصرنا .

إن إلحاق الهزيمة بأمريكا لا يحتاج إلى أسلحة مدمرة أو يحتاج إلى عنف ، فثمة طرق أيسر وأرخص للقضاء على أمة تتسم بالعجز السياسى ، إذ من الممكن إلحاق الهزيمة بها عن طريق الأسلحة النفسية ، والخنق الاقتصادى ، والخداع السياسى ، والنشاط الذهنى الهدام .

وليست هذه النهاية بالمحتمة الوقوع ؛ بل لا يمكن أن تحدث لشعب مستنير ذكى . بيد أننا اليوم ضالون فى خضم من المعلومات الخاطئة ؛ فالأحداث الأخيرة

التى وقعت فى لاوس ، ذلك القطر الصغير ، تبين ما يمكن أن يحدث حين يسيطر الجهل علينا . فإن ما قبله الأمريكيون على أنه صورة تاريخية عابرة غير محددة المعالم هو فى واقع الأمر ، تحذير مرير ، فواقعة لاوس تعتبر نذيرا يحمل بين طياته أخطر الدلالات .

فى صيف سنة ١٩٥٩ وقعت سلسلة من الأحداث برهنت على جهلنا القومى بطريقة مخزية كادت توردنا موارد التهلكة . إذ حدث ـ باختصار ـ أن الولايات المتحدة هددت بالتدخل فى شئون دولة أجنبية لأسباب اثبتت الأيام أنها لا تستند على أساس من الواقع . فقد أدخل فى روع شعب الولايات المتحدة أن لاوس قد تعرضت لغزو خارجى قامت به قوات شيوعية أجنبية عبر حدودها الشمالية . واعتبر وزير خارجيتنا الموقف خطيرا ؛ وطالب سفيرنا فى الأمم المتحدة باتخاذ اجراء على نطاق عالمى ؛ وخرجت صحافتنا بعناوين رئيسية تبعث على الفزع ؛ وأشار قائد بحريتنا بالتدخل المسلح ، وعضده فى ذلك رجال مبرزون من أعضاء الكونجرس ، بما فيهم رئيس اللجنة القومية للحزب الجمهورى الذى كان يمسك بزمام الحكم فى ذلك الوقت .

وكان الأمر برمته لايعدو أن يكون خدعة . فلم يحدث أن وقع غزو عسكرى على لاوس . ومع ذلك فقد مضت أسابيع دون أن تتجشم حكومتنا أو صحافتنا عناء تحرى الأمر من مصادره الأصلية . ونتيجة لهذا ، كنا على وشك أن نقدح زناد الحرب ، استنادا إلى معلومات كاذبة لم نقم نحن بجمعها . والواقع أننا جعلنا من أنفسنا أضحوكة ، فى نظر أصدقائنا ، و « تجار حروب استعماريين » — على حد تعبير أعدائنا — فى رأى الدول المحايدة .

إن مسألة لاوس ليست فريدة فى نوعها ؛ بل إنها مع الأسف نموذج لتصرفاتنا . ولذا فهى تستحق أن نتناولها بالتفصيل لما تبرزه من حقائق عن أمة تنقصها المعلومات الصحيحة .

فلاوس أمة صغيرة — فى حجم ولاية أيداهو Idaho ، أو فى حجم

يوغوسلافيا تقريبا — وهى تتكون فى الغالب من مستنقعات ، وأدغال وجبال . وليس بها سوى سبعمائة مسرة لا غير . أما عن السكان فليس هناك إحصائيات خاصة بهم ، رغم أن علماء الأجناس البشرية يعتقدون أن عددهم يبلغ حوالى ١٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة ، معظمهم يعانون من الأمراض ، ومبعثرون فى قرى صغيرة متباعدة . وتجد نسبة كبيرة من هؤلاء السكان لايعرفون اسم ملكهم ، أو اسم الأمة التى ينتمون إليها .

خمس وتسعون فى المائة من هؤلاء السكان لم يروا أو يستمعوا إلى مذياع قط . ولا تعرف لاوس الكهرباء ، باستثناء عدة مدن كبيرة . أما الطرق فتكاد تكون معدومة ، كما أن الصحف غير معروفة . والسبيل الوحيد الذى يستطيع الناس بوساطته أن يحصلوا على المعلومات هو حين يفد شخص ما إلى قريتهم وينبئهم بها بلهجتهم الخاصة .

أما حكومة لاوس ، التى نؤيدها منذ سنة ١٩٥٥ ، فلم تبذل جهدا يذكر فى سبيل تحسين صحة المواطنين ، أو تخفيف أعباء الفقر والجهل عنهم . هؤلاء المواطنون لا يثقون فى موظفيهم لدرجة أنه حينما يصل جباة الضرائب أو فرقة من فرق جيش لاوس الملكى إلى قرية من القرى ، فإن السكان عادة يلوذون بالتلال .

وعلى هذا نجد أن لاوس تصلح مرتعا خصيبا للنشاط الهدام . ولكن لمَ يريد أى إنسان أن ينشط نشاطا هداما فى قطر صغير يبدو عليه أنه ضيعة ضئيلة القيمة ؟

حقيقة إن لاوس نفسها ليست بلدا غنية فى الوقت الحاضر . بيد أن من الوجهة الاستراتيجية والسياسية يلوح عليها أنها مفتاح لكنز ، أو رقعة سحرية من الأرض تتاخم ست دول أسيوية هامة . فلاوس عبارة عن مجاز ، أو نقطة اقتراب ، يؤدى إلى تايلاند ، وفيتنام الجنوبية ، والملايو ، وبورما ، وكمبوديا . وعلى هذا فهى الطرف الشمالى لطريق رئيسى طبيعى ، يتعشم الشيوعيون الصينيون أن يتوغلوا فيه جنوبا حتى أندونيسيا .

وقد تكون لاوس الموطىء الذى تستطيع منه الصين الشيوعية أن تفتح الباب إلى آسيا الجنوبية الشرقية بأرزها الوفير، وكميات بترولها الهائلة، وثروتها المعدنية التى لم تستغل بعد — بالإضافة إلى أنها تصلح موردا لقوة عاملة تفوق كل تعداد الولايات المتحدة . ولو استطاعت الصين الشيوعية أن تستولى على شبه الجزيرة الغنية التى تقع جنوب لاوس مباشرة ، فإنها ستتمكن من الحصول على مركز استراتيجى على مشارف استراليا ، ونيوزيلند ، والهند . وستتمكن كذلك من كتم أنفاس تجارة اليابان مع آسيا الجنوبية الشرقية ، بحيث يمكن الضغط على اليابان للانضمام إلى المحور الشيوعى .

هذا هو السبب إذن فى أن لاوس الصغيرة — بلد المستنقعات ، والأدغال ، والجبال ، وذات الشعب الجاهل المعتل — تبلغ هذا القدر من الأهمية . ولهذا — وعلى الرغم من أن لاوس معزولة ، ومقطعة الأوصال من الناحية السياسية ، وعلى الرغم من أنها نائية يكتنفها الغموض — ينبغى علينا أن نعرف ما يدور هناك .

ولقد جعل الشيوعيون المدربون من أهل فيتنام الشمالية شغلهم الشاغل أن يصبحوا خبراء فى شئون لاوس . كما اغتنم المنظمون الشيوعيون المدربون فرصة حرب العصابات التى نشبت منذ أمد طويل بين القبائل الشمالية والجنوبية ، وتوجهوا للعمل فى مستنقعات لاوس وأدغالها ، يبثون الدعوة فى نفوس الأفراد ، حيث يلتقون بهم كل يوم وجها لوجه .

من هم هؤلاء الشيوعيون ؟ من العسير أن نتعرف على أجناسهم ، فالكثير منهم من رجال القبائل الذين عاشوا فى لاوس لمدى أجيال - مثل « الخامس Khas » ( ومن بينهم كابتن كونج لى الذى تزعم انقلاب أغسطس سنة ١٩٦٠ ) والبعض قد وصلوا متأخرين عن هؤلاء ؛ والبعض من رجال القبائل الذين ينتمى نصفهم إلى لاوس والنصف الآخر إلى ڤيتنام الشمالية ، ذلك أن الحدود بينهما ليست واضحة المعالم .

ولقد بث الشيوعيون الهياج والاضطراب بين صفوف شعب لم يكن ينقصه التململ من قبل ، فزادوا من تبرمه بحكومة لاوس الملكية . وكان القرويون

يستاءون أشد الاستياء من « أى تدخل من جانب الموظفين التابعين لأبناء المترفين فى ڤينتيان ، فى شئونهم المحلية . وفى نهاية سنة ١٩٥٥ أصبح من الواضح أن الشيوعيين قد يقدمون على تقسيم لاوس إلى دولتين ، أو الأدهى من ذلك ، أن تميل العائلة المالكة كلية لى جانب الشيوعيين كوسيلة لبقائها .

واصلت لاوس انسياقها نحو العداء لأمريكا ، وواصلت وزارة الخارجية الأمريكية ، التى تكدر صفوها ، وبدأ من الجلى أنها عاجزة وممتنعة عن الاتصال مباشرة بشعب لاوس ، واصلت جهودها اليائسة فى البحث عن حل سحرى عاجل . وإن وصف الطريقة التى اتبعتها أمريكا بالرشوة الدبلوماسية هو وصف بدائى ؛ ولكنه تفسير واقعى للقرار الذى اتخذته وزارة الخارجية بشأن إغداق أموال طائلة على لاوس الصغيرة . وقد تقرر أن يكون القسط الأول حوالى ٣٥ مليون دولار ، خصص الجانب الأكبر منه لجيش لاوس الذى يبلغ قوامه ٢٥ ألف رجل .

وكان المرجو من اتباع هذه الوسيلة أن يجد مبلغ الـ ٣٥ مليون دولار طريقه إلى التداول ( بطريقة عجيبة غير مرسومة ) ، ثم يؤدى إلى تحسين مستوى المعيشة للرجل العادى ، وبهذا نقوى من مقاومته للشيوعية .

كيف تسنى لوزارة الخارجية أن تقرر بأنه يلزم مبلغ ٣٥ مليونا من الدولارات سنويا لا ستقرار لاوس ؟ لقد أثبت التحقيق الذى أجراه الكونجرس بأن الحكومة لم تبعث بأى خبير إلى لاوس لدراسة احتياجاتها . ولم تبذل محاولات لمعرفة التكاليف . وكل ما حدث ببساطة هو أن ممثلى حكومة الولايات المتحدة توجهوا إلى وزير دفاع لاوس وطلبوا منه تقدير نفقات جيش مكون من ٢٥ ألف جندى .

وقد عارضت وزارة الدفاع الأمريكية . فليس ثمة سبب عسكرى ، فى رأى هيئة رؤساء أركان الحرب المشتركة ، يدعو إلى وجود جيش قوامه ٢٥ ألف رجل فى لاوس . ولكن الدبلوماسيين انتصروا على العسكريين ، عقب مناقشة

مهذبة . لقد كانت الضرورة السياسية تقتضى إغراق لاوس بالأموال . وكان هذا هو كل ما فى الأمر . كان من الجلى أن المسئولين اعتقدوا أنه لم يكن ثمة وقت لتحرى الحقائق بأنفسنا .

وقد شحنت إلى لاوس فى غضون خمس السنوات التالية مبالغ تقدر بحوالى ٢٣٥ مليون دولار ، صرف مايقرب من ثلاثة أرباعها على جيش لاوس المزعوم . وقد سلم الجزء الأكبر من هذه المبالغ نقداً ؛ واختفت معظم هذه المبالغ عن أنظار الشعب بطريقة غامضة . ثم رفض موظفو لاوس أن ينبئوا الإداريين الأمريكيين بما حدث لهذه الأموال ؛ كما رفضوا أن يسمحوا لأى فرد بفحص دفاترهم . والواقع أنه لم يكن ثمة دفاتر فى كثير من الأحوال . ولما كان الدبلوماسيون الأمريكيون حريصين على ألا يسيئوا إلى الرسميين فى لاوس ، فقد ابتلعو كبرياءهم ولم ينطقوا ببنت شفة ، وكانت خشية الإساءة من جانب هؤلاء الدبلوماسيين أمرا غريباً ، وبخاصة أن لاوس كانت تتلقى عن كل فرد عونا أكبر مما يتلقاه أى قطر فى العالم . فقد بلغ قيمة ما ينفق على الجندى اللاوسى الواحد نحو ضعف ما يتكلفه الجندى فى أية أمة حليفة تتلقى عونا عسكريا من الولايات المتحدة .

وفى خلال السنوات الخمس التالية للمعونة الأمريكية ، أصبحت الزمرة الحاكمة فى لاوس تستمتع بجاه عريض . فلم يكن هناك مثلا سوى حوالى ٣٠٠ سيارة فحسب فى ڤينتيان ، العاصمة ، قبل البدء فى تقديم المعونة . أما بعد أن حصلت على مبلغ ربع بليون من الدولارات ، غصت الشوارع الموحلة بآلاف السيارات الفاخرة . وأصبح فى ڤينتيان ، التى كانت فيما مضى مدينة كئيبة متقشفة ، يكاد لا يوجد بها مطعم واحد مناسب ، أصبح فيها نواد ليلية تتقاضى دولارين ثمنا للشراب الواحد . وتقوم بتسلية الزبائن مضيفات جميلات واردات من هونج كونج ، وبانكوك ، ومانيلا ، وسايجون . كما اكتظت المحلات بالسلع الأجنبية التى لم يكن فى مقدور اللاوسى العادى أن يبتاعها أو لم يكن يعرف شيئا عنها . وبعض هذه السلع كانت مستوردة من الصين الشيوعية .

ويبين التقرير السابع الذى قدمته لجنة مجلس النواب المختصة بالعمليات الحكومية أن عددا صغيرا من أهل لاوس (المقربين من سفارة الولايات المتحدة) أصبحوا ذوى ثراء فاحش عن طريق السوق السوداء ، والتلاعب بالعملة ، والرشوة العلنية . كما أن عددا قليلا من الأمريكيين قد غمسوا أصابعهم الجشعة فى وعاء الكسب الحرام . وأحدهم ، ويدعى مستر ماكنمارا Mc Namara رهن المحاكمة فى الوقت الحالى أمام المحكمة الفدرالية العليا لقبوله مبلغ ١٣٫٥٠٠ دولار كهدية . وحصل آخر على « نصيبه » عن طريق بيع عربته الكاديلاك العتيقة التى تساوى ٤٠٠ دولار ، إلى مقاول لقاء بضعة آلاف من الدولارات . وفى اليوم التالى ألقى بها المقاول فى بئر جافة ، وقد شاهد كل أهل ڤينتيان الواقعة ؛ وأصبحت الحكومة الأمريكية أضحوكة لاوس ، فقد كان يبدو أن كل شخص فى العاصمة الغنية يجمع الأموال ، ولكن أهل لاوس العاديين ، وبخاصة رجال القبائل المنتشرين فى داخل البلاد وفى التلال ، لم ينالوا شيئا ، ومن ثم بدأوا يتذمرون .

وأخذ كل فقير ينشر الوقائع رويدا رويدا ـ مستخدما جهازه البرقى المصنوع من البوص ـ عن فساد الحكومة نتيجة للمعونة الأمريكية . وتصادف أن اتفقت هذه الوقائع تماما مع الدعاية التى كانت تنشرها الشيوعية ؛ فبدأت ثقة أهل لاوس فى الشيوعيين تزداد قوة .

ورغم السرية التى أحاطت بعملية المعونة إلى لاوس ، (ولم يستطع حتى الكونجرس أن يحصل على معلومات فى هذا الصدد) فإن أنباء الفضائح ، والفساد ، وعدم الكفاية بدأت تتسرب إلى أمريكا . ومن ثم ظهرت مقالات تناولت هذا الموضوع فى الصحف مثل « ذا وول ستريت چورنال The Wall Street Journal » ، « والريدرز ديچست The Reader's Qigest » ، و « النيويورك تايمز The New york Times.

وفى ربيع سنة ١٩٥٨ بدأت لجنة الكونجرس الفرعية للشرق الأقصى لشئون الباسيفيك التابعة للجنة الشئون الخارجية فى استقصاء الحقائق بشأن الشائعات الخاصة بالتبذير المخيف ، والاحتيال ، وعدم جدوى برنامج الولايات المتحدة فى

لاوس . وكذلك بدأت اللجنة المختصة بالعمليات الحكومية تستمع إلى أقوال الشهود. وأنكر كبار الشهود ـ وهم موظفو الولايات المتحدة الذين قاموا بالإشراف على معونة لاوس ـ أن الإسراف ، والاحتيال ، وعدم الكفاية قد أضرت بكل الجهود التى بذلتها الولايات المتحدة . وأدلى السفير بارسنز Ambassabor Parsons الذى كان فى منصبه خلال أكثر العهود فسادا (والذى رقى فيما بعد إلى منصب نائب وزير الخارجية لشئون الشرق الأقصى) أدلى بأقوال تستند على حجج مقنعة . وتركت شهادته فى نفوس الناس انطباعا جليا بأنه حتى إذا لم تكن قد توفرت الكفاية فى الوسائل التى اتبعتها الولايات المتحدة ، فكيف كان فى مقدورنا أن نعمل عملا ، فى مثل هذه العجلة ، بغير هذا السبيل ؟ لقد كان علينا أن نواجه أزمة طارئة ، ففيم كل هذه الضجة ؟ ومع ذلك ، فإن الأهداف التى كانت ترمى إليها أمريكا قد تحققت . فقد نجحت الولايات المتحدة فى دحر الشيوعيين فى لاوس .كانت تجرى فى ذلك الوقت انتخابات فى لاوس ، كما أوضح مستر بارسنز . ورغم أن النتائج النهائية لم تكن قد عرفت بعد تماما ، فقد كان الواضح من حديثه أن الشيوعيين لاقوا هزيمة منكرة فى الانتخابات . فقد قال بارسنز ، نائب وزير الخارجية السابق :

« ليس لدينا معلومات موثوق بها تستند إلى مصادر أمريكية ، ولكننا تلقينا معلومات قيل إنها رسمية بشأن النتائج الأولية المتعلقة بالخمسة عشر مقعدا الأولى من بين الواحد والعشرين مقعدا التى يخشى عليها . وإذا صحت هذه المعلومات ، فإن جماعة باثت لاو الشيوعية The Communist Pathet Laos تكون قد حصلت على مقعدين فقط من الخمسة عشر مقعدا . . . ( وقد تلا ذلك وصف تفصيلى لما يعينه هذا القول ) . فإذا كان هذا هو الوضع ـ وأتعشم ألا أكون مفرطا فى ثقتى حين أعبر عن بعض التفاؤل الذى تشيع فيه الثقة ـ أقول : إذا كان هذا هو الوضع فى لاوس، فإن الفضل فى هذا يرجع إلى معونتنا إلى حد كبير ، وآمل أن يوضح هذا ، إلى حد ما ، ما سوف يعود عليكم أيها السادة وما سوف يعود على بقيتنا من فائدة فى مقابل معونتنا المالية . ولسنا قادرين بالطبع على أن

نفعل كل شيء بهذه الأموال لأننا نقدم معونة من مختلف الأنواع إلى شعب لاوس ، ولكن النقطة الأساسية هي أننا قمنا بصون كرامة لاوس واستقلالها في العالم الحر . ومن المحتمل أيضا أننا نكون قد وصلنا إلى نقطة نستطيع عندها أن نخفف الأعباء عن كاهل دافع الضرائب في المستقبل ... »

من العسير أن تتصور نتائج يتمخض عنها برنامج من برامج المعونة الأمريكية أبهر من هذه النتائج التي أوردتها صحف الأمة في ذلك الحين .

وفرزت الأصوات بعد مضى بضعة أيام . وعلى عكس التفاؤل الذي أبدته وزارة الخارجية والذي كان يستند إلى مصادر « قيل إنها رسمية » أحرز الشيوعيون نصرا مؤزرا . وكان نصرا مثيرا في الواقع لدرجة أن قائد الثوار الموالي للشيوعيين عين في مجلس الوزراء الملكي وزيرا مختصا بالإشراف على أموال المعونة الأجنبية الأمريكية . ومن الأمور التي تدعو إلى السخرية أيضا أنه تقرر منذ ذلك الحين الإنفاق على كتيبتين من القوات الموالية للشيوعيين من الأموال الأمريكية . أي أن نقوم بشراء البنادق والطعام والرصاص للجنود الذين كانوا يقاتلون الحكومة التي نؤيدها .

من أين استقت وزارة الخارجية معلوماتها الزائفة ؟ وعلى أي أساس استطاع چ . جراهام بارسنز ، السفير السابق ، أن يصل إلى مثل هذا الاستنتاج الخاطىء والذي شاع فيه التفاؤل ؟ لقد رقى فيما بعد إلى منصب أصبح فيه مسئولا عن تنفيذ سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأقصى برمته . وكيف تسنى ألا يعرف أحد عن لاوس ما يكفي للقيام باستجوابه عند التصديق على تعيينه ؟ هذه أسئلة هامة جديرة بالتأمل . وعلينا أن نفترض ، بطبيعة الحال ، أن سفارة الولايات المتحدة في لاوس كانت بها هيئة من الخبراء بشئون آسيا ، المفروض فيهم أنهم على علم بما كان يجرى من أمور ؛ وأن إدارة المخابرات المركزية والمهيمنين على المخابرات العسكرية الأمريكية كانوا مستعدين وقادرين على إبداء النصح للسفير . وهكذا

حينما يدلى رجل سياسى . يمثل وزارة الخارجية بصفة رسمية ، بمعلومات خاطئة للكونجرس ، فلا بد أن فى الأمر شىء جلل .

وارتاب الكونجرس فى الأمر ، بحق ، وأخذ يواصل التحقيق سرا ، فى تعقل ووقار ، وهو يستجوب الشهود ، ويدرس الأوراق ، ويعاين الأماكن على الطبيعة . وبعد مضى عام ، أى فى ١٥ يونيه سنة ١٩٥٩ نشر الكونجرس النتائج التى توصل إليها فى التقرير السابع للجنة العمليات الحكومية .

وكان التقرير مكونا من إحدى وخمسين صفحة تحتوى على حقائق مذهلة . ولنورد هذا المثال :

« ... وقصارى القول ، يبدو أن القرار بشأن الإنفاق على جيش قوامه ٢٥ ألف رجل — الباعث عليه رغبة وزارة الخارجية فى تهيئة الاستقرار السياسى — كان الأساس لسلسلة من التطورات التى تنتقص من هذا الاستقرار .

« إن برنامج المعونة لم يمنع من انتشار الشيوعية فى لاوس . والواقع أن النصر الذى أحرزه الشيوعيون فى انتخابات العام الماضى والذى كان قوامه شعارات « فساد الحكومة » و « عدم مبالاة الحكومة » قد قد يؤدى بنا إلى الاستنتاج بأن برنامج معونة الولايات المتحدة قد أسهم فى خلق جو يتشكك فيه المواطنون العاديون فى لاوس فى قيمة صداقة الولايات المتحدة » *

كما جاء أيضا فى التقرير الخاص بلاوس ، « ... إن مد لاوس بمعونة أجنبية

---

* يمكن الحصول على تقرير الكونجرس الذى صدر بعنوان : عمليات المعونة الأمريكية فى لاوس ، التقرير السابع للجنة العمليات الحكومية بشأن كيفية حصول الموظفين الأمريكيين على الرشاوى ، وكيفية إبعاد الباحثين عن الحقيقة من البلاد بالسكة الحديدية بأمر السفير ، وبشأن التواطؤ والفساد المالى ، يمكن الحصول على هذا التقرير بالكتابة إلى :

Committee on Government Operations, House Office Building, Washington 25, D. C.

تزيد عن طاقتها على امتصاص الأموال ، قد عقد الأمور أكثر مما سهلها . . أن المنح الطائلة من النقد قد أدخلت الأموال بالإكراه فى اقتصاد لاوس بمعدل أسرع من طاقته على امتصاص هذه الأموال ، مسببا : .. التضخم ... والانتهازية . »

وكان المغزى واضحا . لقد سمع الكونجرس عن حوادث عديدة من حوادث الفشل . وعدم الكفاية ، والفساد ، والرشوة ، وعربات الكاديلاك التى ألقيت فى البئر ، والمشروعات التى لاجدوى من ورائها ؛ ومن ثم أصبح الكونجرس يميل إلى تخفيض أموال المعونة إلى لاوس . وكان هذا هو آخر شىء ترغب فيه وزارة الخارجية أو إدارة التعاون الدولى . وعلى الأخص ، لم يكن السياسيون والتجار الموسرون فى لاوس يريدون أن يأفل هذا الطالع الميمون .

والآن ، بدأت الخديعة الكبرى تخرج إلى حيز التنفيذ .

ذلك أن المسألة بالنسبة لحكومة لاوس آنذاك كانت تنحصر فى الطريقة التى يمكن بها إقناع الكونجرس الأمريكى وشعب الولايات المتحدة بعدم وجوب تخفيض المعونة للاوس . فما هى الأسباب التى يمكن أن تبدى لتبرير وجود جيش يتكلف ثلاثة أضعاف كل دخل لاوس من النقد ؟ لقد أنفقت ملايين الدولارات الأمريكية على جيش لاوس الخليط ، ومع ذلك لم يكن هناك ما يقوم به فى مقابل ذلك . ولم تكن ثمة مراجعة لكشوف مرتبات معتمدة للجيش ؛ ولذا كان جزء كبير من الأموال يدخل جيوب الضباط . ولم يكن فى الإمكان إنزال أكثر من خمس القوات تقريبا إلى الميدان . فلم تكن هذه القوات مزودة بجهاز للمواصلات ، أو جهاز للنقل ، أو جهاز لصيانة المؤن ، ولم يكن فى حوزتها سوى قليل من الأسلحة الثمينة النافعة ، رغم المبالغ الضخمة التى كانت تنفق . وكانت قوات لاوس الملكية عاجزة عن الوقوف فى وجه القوات الموالية للشيوعيين — الذين كان عددهم أقل بكثير من عدد هذه القوات .

كان من الطبيعى أن يتردد الكونجرس فى تخصيص مبالغ كبيرة أخرى للاوس . ففى أوائل صيف سنة ١٩٥٩ بدأ عدد كبير من أعضاء الكونجرس يفقد ثقته فى السياسة التى تتبعها وزارة الخارجية وإدارة التعاون الدولى بشأن آسيا . حقيقة إن الكونجرس كان لايزال يعترف بالحاجة إلى برنامج للمعونة الأجنبية ، ولكنه كان يتشكك فى نزاهة إدارته ؛ خاصة وأن ثمة أخطاء ومفاسد ، مماثلة لتلك التى اكتشفت فى لاوس ، بدأ يفتضح أمرها فى أقطار أخرى .

ولايسعنا بعد ذلك إلا تخمين ماكان يجول بخاطر المسئولين فى لاوس . بيد أننا على يقين من هذه الواقعة : فى خلال الأسبوع الذى أعقب وصول تقرير الكونجرس إلى لاوس بدأت تجد أمور . فقد أعلن رجال حكومة لاوس للعالم أجمع — عن طريق الوسائل الدبلوماسية الأمريكية والصحف الأمريكية — أن أمتهم الصغيرة المحبة للحرية وقعت على حين غرة فريسة « لعدوان » آثم من جانب معتد أجنبى شيوعى . ( وكانت الإذاعات الشيوعية هى التى بدأت بإذاعة النبأ ، وكان هذا كفيلا بأن يثير شكوك الأمريكيين . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . )

وكانت العناوين مثيرة :

النيويورك ورلد — تلجرام New York World Telegram

« هرتر يعالج أزمة لاوس »

بوسطن صنداى هرالد Boston Sunday Herald

« مجلس الأمن يدعى للاجتماع غدا »

وهكذا وقع « الغزو » على لاوس . كان غزوا ذاعت أنباؤه ، واحتل العناوين الرئيسية ، واقتضى من المسئولين الأمريكيين أن يصدروا التصريحات ويتلقوها ،

كما اقتضى صدور بلاغات مفصلة صيغت فى عبارات تقطر حنقا وغيظا من جانب الأطراف المتنازعة .

ولما ألهبت هذه الأنباء المثيرة حمية الأمريكيين ، جرت مناقشات حامية فى الكونجرس بشأن إرسال قوات أمريكية إلى لاوس ، وضرب « الغزاة » بقنابل البحرية الأمريكية وطائرات السلاح الجوى . ثم أرسلت وحدات الأسطول السابع إلى منطقة الخطر فى بحر الصين الجنوبى . وصرح الرئيس بأنه يود أن يتحدث إلى مستر خروشوف فى هذا الشأن .وأعلنت وزارة الخارجية أن الموقف خطير . كما قامت الصحافة بدورها :

« صرح اليوم الأميرال آرلى ا . بيرك ، قائد العمليات البحرية بأن من المحتمل أن تصدر الأوامر إلى الأسطول للاشتراك فى أزمه لاوس » .

( ١٠ أغسطس )

« الشيوعيون فى لاوس يشنون هجوما عنيفا مستخدمين وحدات من فيتنام الشمالية . » ( عنوان رئيسى يوم ٢ سبتمبر ) .

« صرح اليوم قائد العمليات الجوية بأن الولايات المتحدة تستطيع أن ترسل إلى لاوس طائرات مقاتلة على أهبة الاستعداد للمعركة ، وقاذفات قنابل ، خلال خمسة وثلاثين ساعة » .

( ٤ سبتمبر )

« تنبأ اليوم السناتور ثرستون ب . مورتون بأن الغرب سوف يمد لاوس بالرجال والأسلحة إذا كانت مثل هذه المعونة لازمة لصد الاعتداء الشيوعي » .

( ٢٢ سبتمبر )

وفى فورة من الهياج أرسلت الطائرات إلى لاوس محملة بأطنان من المواد الضرورية اللازمة للدفاع . كما بذلت ملايين من الدولارات من المبالغ الإضافية بصفة مساعدة . ولم يذكر أحد قيمة هذه المبالغ . لقد عرف أهل لاوس قيمتها ، وربما عرف الشيوعيون كذلك ؛ ولكن الشعب الأمريكى ظل على جهل بها .

وحتى على الرغم من أننا لم نعلم مقدار المبالغ التى صرفت على وجه التحديد ، فإننا كأمة استصوبنا بلاشك الإجراء الحاسم — الشبيه بالإجراء العسكرى — الذى اتخذ . ذلك أننا كنا مقتنعين بأن غزوا شيوعيا يتدفق على حدود لاوس ؛ ليست مجرد مناوشات ، بل هجوما عسكريا عنيفا . لم يبد ثمة شك فى أن حربا تضم آلافا من الجنود ، والدبابات ، والطائرات ، والمعارك الحاشدة ، قد تأججت . وبصرف النظر عن الكيفية التى صيغت بها الروايات ، فإن هذه هى الصورة التى أعطيت للأمة .

كان واضحا بعد كل هذا الخوف الذى أبدته الحكومة وموقف التشاؤم الذى اتخذه الكونجرس أن الغزو والقتال فى لاوس لابد وأن يكون معركة شاملة ؛ وأنه قبل أن تبدأ الولايات المتحدة فى الاستعداد لحرب ضروس أخرى ، لابد أن يكون خبراؤنا - والشعب كذلك - قد عرفوا كل ما يختص بالموقف فى لاوس ، وأحيطوا علما بالتفاصيل الدقيقة « للغزو » القادم من فيتنام الشمالية .

والحقيقة أن حكومة الولايات المتحدة كانت تقريبا على جهل تام بالحقائق . لم يكن هناك مراقب أمريكى واحد فى المنطقة المسماة بمنطقة القتال . ولم يكن ثمة شاهد عيان أمريكى واحد له صفة رسمية يشهد عملية واحدة من عمليات « الغزو » .

وعلى هذا فإن رئيس الولايات المتحدة ، ووزير خارجيتها ، ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، وقوادنا العسكريين ، ومئات من الصحفيين

المحترفين المعينين ككتاب للعناوين ، كل هؤلاء قد أثاروا الأمة وطالبوا باتخاذ إجراء حاسم بشأن «غزو أجنبي» لم يكن لديهم عنه خبر واحد صغير استقوه من مصادره الأولية .

أما الحالة الهستيرية التي سادت ، فقد كانت مبنية على تعليمات أصدرها موظفون لاوسيون . ومما زاد الطين بلة أنها كانت مبنية فى الغالب على أنباء من الدرجة الثالثة صادرة أصلا عن موظفين لاوسيين .

وننقل هنا ما أورده دنيس وارنر Dennis Warner ، المراسل الحربى الاسترالى الكبير ، من مدينة سامنيوا Samneua بلاوس . ( أرجوا أن تلحظوا أن سامنيوا لم تكن جبهة قتال فعلية - حتى ولو أن بعض الصحف الأمريكية استخدمتها كخط قتال فاصل ، وأشارت إلى أن المراسلين الذين كانوا يبرقون من هناك كانوا فى معمعة القتال . )

« . . . رغم المزاعم الرسمية لحكومة لاوس الملكية بشأن الغزو والحشود الكبيرة التي اخترقت الحدود ، فإن لاوس تعانى من النشاط الهدام أكثر بكثير مما تعانى من الاعتداء المسلح .

« . . . ولكن ماذا حدث فعلا ؟ كانت ثمة هجمات منسقة فى المنطقة الواقعة على حدود فيتنام الشمالية ، لاريب فى ذلك . بيد أن الروايات التي نقلها اللاجئون والهاربون كانت تتسم بالمبالغة الشديدة . وقد تحدثت إلى ضابط تحت السلاح من لاوس ، وكان الجنرال أمكا General Amkha نفسه يقوم بالترجمة ، فوجدت أن الجنرال قد صدق حديثا كان يرفضه أصغر ضابط أركان حرب من ضباط الغرب على اعتبار أنه حديث خرافة . وبعد أن جمع الجنرال أمكا كل الأنباء التي وردت مع جنوده المهزومين وأضاف إليها قدرا كبيرا من الأنباء المثيرة التي نقلها المدنيون ، دخل فى اعتقاد الجنرال أن قوات معادية يبلغ عددها ٣٥٠٠ جندى ترحف نحو سامنيوا . ولكنه لم يفعل أكثر من أنه قرع أجراس

الهزيمة. وقد دل فحص خريطته الحربية للمرة الثانية أنه على الرغم من مضى أربعة أيام على الهجوم الذى وقع شمال سامنيوا لم يبذل أية محاولة لإرسال دوريات أو القيام باتصالات مع العدو. والواقع أن خريطته الحربية كانت مبنية إلى حد كبير على قصص اللاجئين وإشاعاتهم، بل حتى على الروايات التى شاعت فيها روح الهزيمة والتى كان ينشرها عملاء العدو عن قصد ».

كان هذا النوع من المعلومات العشوائية - التى كانت تتداولها البلاغات الحكومية الخارجية فى سرعة فائقة - هو الذى أفسد الرأى العام الأمريكى، وأثر فى مجرى سياسة الولايات المتحدة الخارجية.

كان هناك أكثر من مائتى رجل من العسكريين الفنيين الأمريكيين فى ڤيفتيان، ومثل هذا العدد تقريبا من المدنيين الأمريكيين - المفروض فيهم أنهم خبراء بالشئون الآسيوية - ملحقين بهيئة السفارة الأمريكية. ولكنهم أخفقوا فى الوصول إلى منطقة القتال المزعومة لكى يراقبوا ويقدموا تقريرات بشأن ما يجرى هناك. بيد أنهم لم يروا أو يقابلوا الأسرى الشيوعيين الذين ورد ذكرهم فى بلاغات لاوس الرسمية. وهناك من الدلالات على أن هذه الأنباء كانت إفكا وبهتانا.

وعلى هذا فإن المعلومات التى نقلها الموظفون الأمريكيون إلى حكومتهم وإلى بلدهم كانت من قبيل الإشاعات؛ ولكن الحكومة تصرفت بمقتضاها كما لو كانت حقائق ثابتة.

ولم يكن نصيب الصحفيين الأمريكيين (وكان من بينهم بعض المبرزين فى المهنة) من النجاح أكثر من غيرهم. فلم يصل المراسلون إلى المناطق الشمالية حيث كان يدور القتال المزعوم، إلا فى نهاية سبتمبر، أى بعد بدء القلاقل بعدة شهور.

كانت الصحف الأمريكية والحكومة الامريكية خلال هذه الشهور التى حفلت بالاشاعات والعناوين الرئيسية تقوم بمهمة الأبواق للدعاية التى كان يذيعها اللاوسيون . حقيقة إن الأنباء التى أبرق بها الصحفيون كان يذكر فيها عادة أن الروايات مستقاة من مصادر أجنبية ، ولكن الأمريكيين درجوا على عادات سيئة فى قراءة الأنباء . فأننا نقبل صرخة العنوان الرئيسى على أنه القصة الكاملة بينما تفوتنا النقاط الدقيقة ( على أهميتها ) التى يتضمنها النص . والصحافة تدرك تماما هذا الاستعداد فينا . فالنص ـ كما يرويه المراسلون الموجودون على مسرح الحوادث ـ غالبا ما يكون خلوا من الإثارة التى تكفى لترويج الجرائد .

وأخيرا ، قرب نهاية شهر سبتمبر ، أفلت الصحفيون من العاصمة وقاموا بزيارة لقرية سام تيو Sam Teu الواقعة فى إقليم سامنيوا ، على بعد عشر أميال من حدود ڤيتنام الشمالية ، حيث دار قتال عنيف ، طبقا لما ورد فى بلاغات الحكومة . وكانت بلاغات لاوس قد ذكرت أن الطرفين قد تبادلا ملكية سام تيو أربع مرات خلال خمسة أيام من القتال المرير .

ثم قام الصحفيون بالمعاينة ، وتجلت الحقيقة أخيرا ، فى الثانى والعشرين من سبتمبر كتب جريج ما كجريجور Greg Mac Gregor ، مراسل « النيويورك تايمز » يقول : « لقد بعث المراسلون بأنباء من مسرح الحوادث تفيد بأن سام تيو لم يصبها أى ضرر فى الواقع ، وقالوا على لسان القائد المحلى إن الثوار لم يقوموا باحتلالها قط » .

وفى اليوم التالى منعت حكومة لاوس الصحفى من التنقل أبعد من ذلك .

قال هانسون بولدوين Hanson Baldwin فى موجز الأنباء الذى كتبه لنفس الجريدة ، « . . . لقد أصبح من الواضح الآن أن « الحرب » فى لاوس تدور على نطاق صغير جدا فى الواقع ، وأن عدد الرصاصات التى تطايرت فى بلاغات حكومة لاوس كانت أكثر مما أطلق فى بعض المخافر الأمامية الواقعة فى الأدغال . . . »

وفى النهاية قامت لجنة تحقيق من الأمم المتحدة بمعاينة مناطق القتال . وقد قدمت اللجنة تقريرا مماثلا : لم يكن ثمة غزو ، ولم تقم سوى حرب على نطاق صغير .

وكانت هذه القصة تختلف كثيرا عن القصة التى كانت تروى لنا طيلة ثلاثة شهور . وهكذا بدت الولايات المتحدة فى نظر العالم على أنها غاية فى الحماقة على أحسن الفروض ، وغاية فى الخطورة على أسوئها .

لقد كونا رأينا (ومعنا كبار المسئولين فى البلاد) عن طريق العناوين والأقاويل والدعايات ،وأخفقنا فى أن نطلع على الأنباء كاملة كما نشرت فى قليل ، (قليل جدا) من الصحف الجيدة . كما أخفقنا فى أن ندرك مالم يكن ينقصه الوضوح ـ أن المعلومات التى كنا نصدقها كانت من قبيل الدعاية الأجنبية . وقد خدع موظفو سفارتنا فى ڤينتيان أكثر من غيرهم . هذا وقد قال السفير الأمريكى : « لقد حصرنا الموقف فى أضيق نطاق . إننا الآن أقرب إلى نفوس الرسميين فى لاوس مما كنا بالنسبة لماجسايساى Magsaysay » .

ولا ريب فى أنه ما من أحد فى أمريكا كان لديه حب الاستطلاع أو الشجاعة أو الذكاء الكافى لكى يتقصى الحقيقة عن الخدعة الكبرى حتى وقت متأخر جدا من اللعبة .

إن الحكومة الأمريكية ، والصحافة الأمريكية ، وأنت وأنا معهما ، قد ابتعلنا خدعة لاوس الكبرى ، ابتعلنا الصنارة والخيط ، والثقل ؛ وحينما تجلت الحقيقة آخر الأمر ، لم تبدر منا بادرة احتجاج واحد .

واليوم وأنا أضيف بضع فقرات إلى هذا ، يتأرجح بندول السياسة فى لاوس من جانب الانحياز للغرب إلى جانب الحياد . حقيقة إن الانقلابات تقوم يمنة ويسرة ؛ ولكن حكومة لاوس تتجه بانتظام نحو اليسار . والآن تنبئنا الصحف بوصول الطائرات إلى ڤيتنام محملة بكميات كبيرة من البنادق والمؤن الشيوعية .

إننى أصدق هذا . أما عن الروايات التى تحكيها حكومة لاوس عن تكوين سبع فرق فى ڤيتنام الشمالية ، فإننى أود أن أرى شاهد عيان أمريكيا واحدا يقص علينا نبأها ـ هذا إذا كان لدينا شخص واحد يستطيع أن يميز بين فرد من لاوس وبين فرد من قبائل الخاس ، أو فرد من أهل ڤيتنام .

وهكذا ، بعد عشر سنوات من المجهودات المباشرة وغير المباشرة التى بذلت لإنقاذ لاوس ، يبدو كأن هذه الأمة التى كانت توازرنا فى الماضى تمر الآن من بين أصابعنا . ولكنها لاتضيع منا نتيجة عدوان مسلح . ( إذ لو قدر لهذا أن يقع ، فلسوف تكون الضربة القاضية ) . لقد سلبت منا لاوس نتيجة للنشاط الهدام الذى لم يدفع فيه ثمن كبير ، وللسياسة الواقعية كذلك . ولكن الأمر يرجع فى الغالب إلى أننا قد ألقينا بنوايانا الطيبة وبقوتنا السياسية جانبا ، نتيجة الجهل الذى أدى إلى الفساد والثقة الزائفة .

لقد باعدنا بيننا وبين مؤيدين أقوياء لنا فى رعونة وحمق نتيجة لإهمالنا لهم فى سبيل نفر من « المدللين » ، كما أننا صددنا آخرين نتيجة لقلة درايتنا . لقد وجد الشيوعيون الذين يتحدثون اللهجات الوطنية ، تعضيدا من الجوع ، فى الوقت الذى أثبت فيه علية قومنا « المدللون » أنهم ريشة فى مهب الرياح . لقد استغل الشيوعيون ببساطة أخطاءنا الجسيمة ، وأقبح هذه الأخطاء هى محاولتنا إحلال الدولار محل المعرفة . وبذا أعطينا الشيوعيين الفرصة فى أن يجنوا ثمار مازرعنا حين سمحنا للفساد أن يستشرى .

لا بد لنا أن نعترف فى ذلة وصغار بأن أمريكا الغنية الموهوبة قد أخفقت فى النزال مع الشيوعيين فى معركة سلمية . ذلك أن وزارة الخارجية الأمريكية أو أية إدارة أخرى فى الولايات المتحدة لم تخرج خبراء ، مدربين لغويا ، يستطيعون التوغل فى أحراش لاوس وجبالها لكى يعملوا جنبا إلى جنب مع الأهلين . والأدهى من ذلك أيضا أننا كنا إما على جهل بالحقائق ـ أو قاصرين عن تقدير أى موقف فى وضوح .

وبما ينافى شريعة الأخلاق أكثر من ذلك كله — أن الحكومة والصحافة لم تتوخيا الأمانة معنا . فقد أخفى الرسميون أخطاءهم ونسبوا لأنفسهم فى نفس الوقت نجاحا لا وجود له . ألا يحتمل أنهم كانوا يشعرون بالخزى ؟ أم ترى أنهم لم يؤمنوا بصلابة عود الشعب الأمريكى ؟ هل كانوا يخشون رد فعل أمريكا نتيجة لقول الصدق ؟ أم من المحتمل أنهم لم يكونوا يعلمون فحسب ؟

إن كل مصادر الأنباء المستخدمة هنا غير سرية ، ويمكن للمواطنين العاديين الحصول عليها بسهولة ، فهى مستقاة من مقالات نشرت فى : الأسوشيتدبرس ، رويتر ، مجلة تايم ، مجلة لايف ، اليونيتد برس انترناشيونال ، ذا وول ستريت جورنال ، تقارير من واقع جلسات الكونجرس ، الريدرز دايجست ، النيوزويك، يونيتد ستيت نيوز آند ورلد ريبورت ، نشرات وزارة الخارجية ، كتيبات الأمم المتحدة ، وصحف أخرى مختلفة بما فيها النيويورك تايمز .

---

## المحرر القادم من تايلاند

تقع تايلاند Thailand الثرية السعيدة إلى الغرب من لاوس ، عبر نهر الميكونج Mekong River . وتتعرج حدودهما المشتركة إلى الوراء وإلى الأمام لمسافة ألف ميل تقريبا ، وتبعد الصين الشيوعية عن بانكوك Bangkok شمالا مسافة رحلة قصيرة على متن إحدى القاذفات . أما الأقطار الأخرى المجاورة لتايلاند فهى كمبوديا المضطربة ، وبورما ، والملايو .

وتعيش تايلاند فى منطقة مضطربة من العالم . ومع ذلك فقد ظلت حرة ، مستقلة ، تنعم بقسط معقول من رغد العيش منذ مئات السنين . وغالبا ما يرجع الفضل فى تدبير أمر هذا النجاح إلى المهارة التى أمكن بها الانحناء إلى كل عاصفة سياسية قوية . فتايلاند — التى تعنى « أرض الأحرار » — لا تسىء إلى أحد ، وتحاول أن ترضى الجميع . ولكنها فى نفس الوقت ، تفعل ما يحلو لها ، رغم ما يبدو عليها من خضوع وولاء ؛ فضلا عن أن شعبها يجد لديه الغذاء الوفير .

فى سنة ١٩٤١ دافعت تايلاند عن نفسها ضد اليابان أربع ساعات كاملة — وذلك لمجرد الاحتفاظ بمظهر ملائم ، ولكى تبدو شجاعة فى نظر العالم ؛ ثم استسلمت بعد ذلك استسلاما شريفا ، وأصبحت ألعوبة فى أيدى اليابان . وقد أعلنت تايلاند فيما بعد الحرب على الولايات المتحدة .

وفى سنة ١٩٤٥ حينما هبت العاصفة من اتجاه جديد ، تخلت تايلاند عن اليابان وانحازت إلى الولايات المتحدة الظافرة . وكانت تسمح لأمريكا الممتنة ، بين كل حين وآخر ، أن تغدق مئات الملايين من الدولارات معونة لهذا البلد الهانىء السعيد .

أما التايلانديون الماكرون ، وهم أناس مرحون مضيافون بطبعهم ، فيستخدمون فى رفق ، وبلا تطفل ، كل حيلة ممكنة لإثراء أنفسهم وتحسين مراكزهم . فعلى سبيل المثال ، نجد أن معظم السلع والمعدات التى ترسل إلى لاوس لبرنامج المعونة الأجنبية الأمريكية لابد أن تمر بتايلاند . ولذا يدخل من هذه المعونة نحو ٦٠ مليونا من الدولارات فى جيوب التايلانديين ، بطريقة أو بأخرى .

أما العقول المفكرة فى البلاد — وهم أفراد الطبقة العليا من التايلانديين — فهم فى رأيى يكونون مجموعة من أكثر المجموعات الحاكمة ثقافة ، وتحضرا ، ودهاء ، ودماثة ، فى العالم . ومهارتهم التى تتسم بالكياسة لا يمكن أن تقاوم فى معظم الأحيان ؛ ولست أعرف من الذين لم يستسلموا لها إلا اثنين من الموظفين الأمريكيين . أحدهم ، وهو جون بوريفوى John Peurifoy استطاع أن ينفذ ببصيرته إلى أعماق تايلاند نفسها منذ أول يوم تقلد فيه مهام سفارته . ( وقد قتل فى حادث سيارة غريب ولما يمض وقت طويل على هذا . ويعتقد بعض أصدقائى من التايلانديين أنه قد اغتيل . ولكن هذه قصة أخرى ) .

ومن أمهر هؤلاء المفكرين التايلانديين أحد رؤساء تحرير الصحف . هذا المحرر لم يستطع أن يستغل مواهبه فى بانكوك ، مسقط رأسه . والواقع أنه سجن ذات مرة لأنه نشر أقوالا مهينة عن السفير الأمريكى . هـذا التايلاندى محرر أريب ، لامع ، عالمى . وإنسان مهذب مثقف حقا . وهو على دراية بعدة أشياء ، فهو يشعر كأنه فى بيته وهو يمارس لعبة البيسبول الأمريكية ، أو يجلس فى النوادى البريطانية ، أو يشاهد المسرحيات الانفعالية الألمانية ، أو مصارعة الديوك فى الفلبين ، أو يحضر اجتماعا لبعض العلماء يناقشون فيه أصل اللغة التايلاندية . ينشد الأجانب ود هذا الرجل ، وحديثه الطلى اللبق الذى يديره بعدة لغات هو متعة للسامعين . ولاننسى كذلك أنه عضو مرموق من أعضاء الأسرة المالكة فى تايلاند ، فهو أمير من أمرائها .

والمعروف عنه سوراته التهكمية من حين إلى حين سواء فى كتاباته أو فى أحاديثه .

منذ عدة سنين خلت ، عرضت عليه إحدى المؤسسات الأمريكية أن تتكفل بجميع نفقات رحلة يقوم بها إلى الولايات المتحدة . وكل ما كان عليه أن يفعله هو أن يلقى عدة محاضرات عن تايلاند ، فقبل . وفى طريقه إلى سان فرنسيسكو San Francisco توقف لبضعة أيام فى هاواى Hawaii ، وفى هونولولو Honolulu دعت إحدى السيدات المهتمات بالشئون الدولية حوالى خمسين مدعوا لزيارة بيتها للاستماع إلى المحرر وهو يناقش شئون تايلاند ويعرض فيلما قام هو بالتقاط مناظره ( وكان ، بهذه المناسبة ، فلما رائعا ، من صنع فنان بارع ) .

حينما بدأ المحرر يتحدث الى هذه الصفوة من الطبقة المتعلمة ، كان حديثه لاذعا ، تهكميا ، وفى الصميم . فقلت فى نفسى : « حسنا ، لسوف نستمتع بأمسية رائعة ، فالرجل فى حالة نفسية طيبة » .

ولكن ، بعد مضى حوالى خمس دقائق ، بدأ يغير من نغمته ، وغاضت الحيوية من حديثه . أصبح سلوكه مهذبا يشيع فيه الولاء والمناصرة . فبدلا من الحديث اللاذع (الذى بدأ به) أخذ يحكى كيف أن كل الموظفين الأمريكيين يبذلون جهودا فعالة فى تايلاند . ثم سرد كيف أن مجهوداتهم أدت إلى تراجع الشيوعيين ؛ وأن ليس ثمة مايقلق بال الولايات المتحدة فى تايلاند ، فإن كل شىء على مايرام . أصغيت إليه فى هدوء ؛ وكنت أعلم أن ثمة مشاكل عديدة فى تايلاند ؛ وكان من الممكن أن أثير هذه المشاكل عن طريق توجيه عدة أسئلة إليه ، ولكننى آثرت أن أشاهد هذا الفصل الاستعراضى حتى آخره . فضلا عن أننى كنت أود أن استكشف شيئا آخر أكثر أهمية .

وحينما انتهت السهرة دعوت المحرر ومعه كال سكولون Cal Scollon الرجل القدير المعروف ، رئيس « مجلس شئون آسيا والباسفيك . Pacific and Asian Affairs Council »

وبعد أن احتسينا كأسين ، قلت مخاطبا المحرر : « اسمع ، لماذا كذبت على هؤلاء الناس ؟ إنك تعلم تمام العلم أن أمام الأمريكيين فى تايلاند كثيرا من الأمور يحتاجون إلى تعلمها ـ لقد أخبرتنى ذلك بنفسك . إنك تعلم أن حكومة تايلاند برئاسة پيبل سونجرام Pibul Songgram هى حكومة فاسدة . كما تعلم أن السلع الشيوعية تباع فى جميع أنحاء القطر . فضلا عن أن تايلاند تتخذ لنفسها وضعا تستطيع منه أن تلعب على الحبلين سياسيا ، تماما كما فعلت مرة سنة ١٩٣٩ ، ومرة أخرى سنة ١٩٤٥ . لماذا إذن موهت على أصدقائى ؟ »
ورفع المحرر التايلاندى كأسه فى تؤدة إلى شفتيه . ثم ردها ثانية ، وقال فى رفق : « إننى بوذى ، ولست أحب أن أوذى شعور الغرباء . إن الناس الذين تحدثت إليهم هذا المساء عاملونى معاملة طيبة . وكانوا يمنحوننى أسباب الضيافة ، ويمدون إلى يد الصداقة . فلم ينبغى على أن أصدمهم ؟

« لقد أخبرت أصدقاءك بما كانوا يودون سماعه . قلت لهم إن كل شىء جميل . هب أننى أنبأتهم بالأمور على حقيقتها ، فماذا كان فى وسع هؤلاء الناس الطيبين أن يفعلوا ؟ إنهم لم يكونوا حتى ليفهموا هذه الأمور ، ولأصبحت أمسية تغشاها الكآبة . ولكنهم الآن سعداء على الأقل . أليس هذا هو طريق البوذى إلى الجنة ؟ »

ثم أوضح المحرر وجهة نظره بحكاية أخرى قائلا إنه يبدو أن الولايات المتحدة أرادت منذ بضع سنوات أن تتأكد من أن نوع وحجم المعونة الأجنبية التى تمنح لتايلاند مناسبتان إلى الحد الذى يستطيع معه الشعب أن يستفيد منها . وعلى هذا أعدت حكومة الولايات المتحدة ، حسب رواية المحرر ، العدة لنفر من العلماء البشريين الأمريكيين لكى يعيشوا فى تايلاند لمدة سنة ونصف تقريبا . وقد قرر هؤلاء العلماء أن يقيموا فى قرية عادية تقع فى أقاصى الريف . وكان عليهم خلال إقامتهم ، التى تستغرق ثمانية عشر شهرا ، فى بيوت تايلاندية أن

يلحظوا ويتعرفوا على احتياجات الشعب التايلاندى . وحينئذ يصبح لدى الحكومة الأمريكية معلومات دقيقة تبنى على أساسها برنامج معونتها الأجنبية .

ثم قال المحرر ، « حسنا ، وبالطبع وافقت حكومتى تماما على أن هذا المشروع كان مشروعا جليل القدر . وقبل أن يصل الأساتذة الجامعيون الأمريكيون ، عثرنا على قرية صغيرة فى موقع صحى مريح وأخليناها من جميع السكان . ومن ثم نقلنا إلى هذا « المجتمع العادى » الجديد بعض الموظفين التايلانديين المنتقين وعائلاتهم ، ولقناهم كيف يتصرفون ، وما ينبغى عليهم أن يدلوا به من معلومات إلى الأساتذه الجهابذة . وهكذا ، حينما غادر هؤلاء « الدكاترة » ومساعدوهم البلاد فى نهاية الثمانية عشر شهرا ، كانوا قد عرفوا ما أردنا لهم أن يعرفوه . وأكد تقريرهم أن المساعدة الأمريكية كادت تصل حد الكمال . ومن ثم اطمأن كل فرد بالا ، واستمر برنامج المعونة لتايلاند .

وفى الأشهر القليلة التالية ، خلال الزيارة التى قام بها المحرر التايلاندى فى أنحاء الولايات المتحدة ، كان يكرر - كما ورد فى الصحف - نفس الاستعراضات المليئة بالنفاق أمام نظارة مغتبطين . قال : إن كل شىء فى تايلاند على ما يرام ؛ وإن الشيوعيين فى طريقهم إلى الاندحار ؛ وإن الأمريكيين المقيمين هناك يؤدون أعمالهم على خير وجه ؛ وإنه ليس من الضرورى بتاتا بالنسبة للأمريكى الذى يقيم فى تايلاند أن يتحدث بأى لغة سوى اللغة الانجليزية .

وأوردت الصحف الأمريكية تصريحات الأمير « فى التو » . وما من مخبر صحفى كان يبدو عليه أنه يعرف ما يكفى لتوجيه بضع أسئلة إليه ، فضلا عن أنه كان أميرا ورئيس تحرير ، فلا بد أن يكون قوله هو الصدق .

ملحوظة للقارىء :

أطلعت على هذا الفصل سيدة من تايلاند ـ وهى سيدة مثقفة تربطها بالمحرر وشائج قرابة بعيدة . وفيما يلى تعليقاتها عليه .

« لم أسمع عن قصة العلماء البشريين . ولكنها محتملة الوقوع . كان ثمة بعض العلماء البشريين الأمريكيين قدموا إلى تايلاند . ولكننى ، كما ذكرت ، لا أعلم تفاصيل زيارتهم . بيد أنه ( أى المحرر ) ذو خيال خصب . ففى وسعه أن ينسج حكايات مقنعة لإيضاح أية فكرة .

« لا شك فى أنه (أى المحرر) قص على المستمعين فى أمريكا حكايات من نسج خياله . . . وأنه أنبأهم بأنه ليس من الضرورى أن يتعلم الأمريكيون لغتنا . . . وأن الشيوعيين قد هزموا هزيمة منكرة . . . وأوهاما أخرى كثيرة . ولكن لا تلوموا الأمير (المحرر) ، بل لوموا أنفسكم . فالنظارة من الامريكيين لا يقبلون على محاضرة لكى يتلقوا المعلومات ، ولكنهم يقبلون للتسلية . ذلك أنكم معشر الأمريكيين أكثر الناس تأثرا بالدعاية فى العالم . إنكم تصدقون أى شىء . ففى وسعى أن ألقى محاضرة هنا فى هونولولو أقول فيها أن لوالدة الملك رأسين ، وأن هذا هو السبب فى أنها لا تظهر أمام الناس . لسوف يصدق معظم الحاضرين هذه القصة ، ويحتمل أن تنشرها الصحف على أنها قصة واقعية ـ دون أن تكلف نفسها حتى عناء التحقق مما إذا كانت والدة جلالته مازالت على قيد الحياة أم لا . . إن هذا لمما يؤسفنى ، ذلك أنكم شعب عجيب ، وأمة نقية السريرة » .

---

## — ٣ —

# ما لم يذكر عن فرموزا

« إننا نريد أن يقرر الكونجرس مسألة السلام أو الحرب لأمريكا طبقا لما يمليه الدستور — لا كما يمليه الجنرال شان كاى — شيك . »

— جون ف . كنيدى ، ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٩

منذ أكثر من ٤٠٠٠ عام والصين آهلة بجنس قوامه شعب نحيف ، طموح ، جائع فى أغلب الأحيان ؛ سلالة من المحاربين الأشداء ، والفلاحين الكادحين ، والتجار المهرة ، والفلاسفة العمليين ، والسياسيين ذوى المكر والدهاء . ويستحق سياسيو هذه الأمة القوية أن نشير إليهم إشارة خاصة .

غالبا ما يتميز هؤلاء السياسيون بأنهم أصحاب حيلة ومهارة فائقة فى السعى وراء السلطة الشخصية ، والقدرة على أن يصوروا أنفسهم للناس بصورة خادعة . وهذه الصورة تقوم أساسا على الورع ، ومتانة الأخلاق ، والبساطة الكنفوشيوسية ، والزعامة الديمقراطية . هذا التمثيل ، بل هذا التنكر السياسى ، يمثل الصينيين حق تمثيل . وهو يبعث الحيرة فى نفوس الأجانب ؛ غير أن كل صينى يفهم الطبيعة المزدوجة لزعمائه حق الفهم ويدركها تمام الإدراك . ولكن طالما أن اللغز لا يتعدى الحدود التقليدية ، فإن الصينيين لا يمانعون فى ذلك .

أما الصين ، الأم التليدة ، فقد كانت عرضة لتقلبات الدهر . أنهكتها المؤامرات السياسية والمعارك الحامية وقطعت أوصالها . أثخنها الغزاة المغيرون جراحا دامية ؛ ولفحتها نار المجاعات القاسية فأيبست ثم شققت أرضها الخصيبة ، وكان الجوع

يقرض شعبها حتى يضطر إلى أن يبتلع العشب ولحاء الأشجار . وكثيرا ما أشرفت على الغرق فى فيضانات أنهارها الصفراء الغرينية الهادرة . ولكن الصين ، الأم التليدة . بقيت لمدة ٤٠٠٠ عام على الأقل ، بينما اختفت بلدان حديثة فتية كما تختفى ورقة خس برى تهب عليها أعاصير القرون . كانت دائما فى حركة دائبة إلى الأمام . وكثيرا مازحفت جيوشها ، وأبادت وغلبت . والذى لم تستطع جيوشها أن تخضعه استطاعت تجارتها ودبلوماسيتها الحصيفة أن تمضغه وتتمثله .

لقد ظلت الحيوية الخفية للشعب الصينى ، طيلة أربعين قرنا من الزمان ، معينا لاينضب من القوة التى قاومت الفساد الداخلى وصدت الغزوات الخارجية . ومنذ ما يقرب من مائة جيل والبراعة الصينية اليدوية ، والأذهان المتفتقة ، والمواهب السياسية يتوارثها الأبناء عن الآباء ، والبنات عن الأمهات ، ورؤساء الوزراء عن رؤساء الوزراء . كما توارث الصينيون أيضا الصبر الذى يجعلهم يطفون فوق سطح الفشل المؤقت فى انتظار عودة الفرصة السانحة بعصرها الذهبى .

ولقد وقر دائما فى ذهن الصينيين ،من أفقرهم إلى أغناهم ، أنهم أسمى الشعوب قاطبة ، وأكثرها حكمة ، وأغناها ثقافة ؛ ولم تتغير هذه الفكرة رغم مرور أربعة آلاف عام من التاريخ المدون . وعلى هذا ، فمن الطبيعى أن يظن هؤلاء الناس الصفر أن البرابرة الغلاظ ( كل من ليس بصينى ) لابد أن يكونوا مواطئ يمسح أبناء الصين عليها أقدامهم ، وسلالم يرتقون عليها .

يدرك الصينيون أن بعض البرابرة المحظوظين يحجبون الشمس الصفراء ، بين الحين والحين. ولكن الصينيين يقولون لأنفسهم:صبرا ، فلسوف نمضغهم ،ونمتصهم، ونتغذى بهؤلاء الأجلاف — سواء كانوا قوقازيين أوملايويين أوحتى من الروس الذين هم عبارة عن خليط من كل الأجناس . لسوف نلتهمهم ونستفيد منهم ؛ إنهم السماد الذى تينع منه أزهارنا .

وقد يقتضى الأمر من الصينيين إذا ما تعاملوا مع برابرة أشد بأسا من هؤلاء أن يستخدموا كل ألوان طبيعتهم من مكر ، وقوة ، ونفاق ، ورشوة ، وخداع ، وشعوذة سياسية . وقد يعتبر الغربيون هذه الوسائل منافية للأخلاق الحميدة ؛ ولكن الصينيين لايرون فيها غضاضة - ذلك أنهم قد وطدوا العزم على أن يرثوا الأرض ويتبوأوا مركزهم اللائق بهم - فوق سائر الأجناس . إن الصينيين يسعون بغريزتهم لتحقيق هذا الأمل ؛ فهم يشقون ، ويبتلعون كبرياءهم ، ويتحملون صنوف الحرمان ، دون أن يستحثهم أحد ، وذلك لكي يحققوا كسبا يضيفونه إلى سابق تفوقهم . أما رجل السياسة الصينى فهو يفعل هذه الأشياء فى تلذذ ، وقسوة ودهاء لايقدر على فهمه معظم الأمريكيين ، بما فيهم السفراء والقواد العسكريون .

وفيما يلى قصة رجل من رجال السياسة يدعى شان كاى - شيك . من المحتمل أنه ارتدى الملابس الغربية بعض الأحيان ، إلا أن فى عقله ونخاعه تتجمع حصيلة أربعة آلاف عام من حكمة ملوك الحرب الصينيين ، وجورهم ، وولاء الناس لهم . وقد استطاع ، عن طريق استخدام هذه الوسائل - يعاونه فى ذلك أقاربه الذين يجمع بينهم التآزر - أن يستمتع السياسى : شان ، طيلة أربعين عاما ، بأكثر مما يستحق من المجد والثروة الدنيوية . وحتى الآن ، فى أيام بؤسه - وهو قابع فى جزيرة فرموزا الصغيرة ، بعد أن وهنت قوته ، وعلا الصدأ جهازه السياسى ، وتشتت جيشه العرمرم - حتى الآن يسير متخايلا ، وهو يرفع عقيرته معلنا على الملأ بأنه سوف يسترد فى النهاية تلك الأشياء العزيزة على نفسه : السلطة على الصين العظيمة والثروات التى وراءها . وبما أنه صينى لحما ودما ، فإنه يطالب بالاستيلاء على السلطة باسم الحفاظ على الآداب العامة ، وهو ما انطلق عليه فى هذا المقام باسم الديمقراطية والحرية ، وهما أمران لايعرف عنهما هذا السياسى شيئا ، ولا مارس مبادئهما يوما من الأيام . ورغم ذلك ، فقد

كماأنت حاجيه وأحاجى أهله السياسية من البراعة والكياسة ، بحيث استطاع أن يستخدم أمريكا المحبة للحرية كسماد يستمد منه الغذاء والوقاية لعشرات من السنين .

دعنا نلق نظرة على هذا الإنسان البارع « شان كاى شيك » الذى يخطو ، ويعنف ويتآمر فى الوقت الحاضر فى جزيرة فرموزا الصغيرة الآهلة بالسكان ، والتى تبعد مائة ميل عن شاطىء الصين .

كان الأمريكيون سذجا فى تصرفاتهم إزاء الحوادث التى جرت فى لاوس ، فلم نكن نعرف حتى موقعها الجغرافى ـ ناهيك بما كان يحدث هناك . بيد أننا نعتقد أننا على بينة من أمر « شان كاى شيك » فقد كتب صحفيون أمريكيون أنباء لاحصر لها عنه وعن بلاده ؛ كما أن الكثيرين من رجال السياسة لدينا قد بح صوتهم من كثرة التحدث عن المشاكل الصينية الأمريكية . فضلا عن أن مكتباتنا تكتظ بالكتب التى تتناول الصين وقائدها العام . هذا ، وقد درست زوجته فى كلية ولزلى Wellesley ـ كما قضت مدة طويلة فى أمريكا حيث تمتلك عائلتها أملاكا واسعة ، وتقوم بمشروعات استثمارية هائلة .

ومع ذلك ، فمن المحتمل أن تكون قد فاتتنا معلومات هامة من نوع معين ؛ أو تكون قد خفيت علينا ؛ أو نكون قد نسيناها .

من منا يتذكر العقد الثانى بعد سنة ألف وتسعمائة حين استهل « شان كاى شيك » حياته العامة صديقا حميما للشيوعيين ؟ أو حينما توجه إلى موسكو ولكى « يقابل لينين ، وتروتسكى ، وتشيتشرين ، ويدرس الاستراتيجية البلشفية وأيديولوجيتها ، وفنونها الثورية ، ولكى يطلب معونة ذات طابع مادى من موسكو » * .

---

* هـ . ف . ماكنير H. F. McNair ، الصين إبان الثورة China in Revolution ص ٩٩

وأول طفرة لشـان كاى ـ شـيك نحو السلطة والشهرة ، كانت بمعونة الشيوعيين . ورغم أن الجنرال لم يكن شيوعيا ، إلا أنه ظل يقاسمهم الفراش طالما ظن أن فى وسعهم أن يقدموا له العون .

بيد أنه حينما تطوع أصحاب البنوك المحافظون فى شنغهاى ، وقد تملكهم الذعر نتيجة لتغلغل الشيوعية ، لتمويل شان — على شريطة أن يكف عن تطرفه — اغتنم هذه الفرصة . وبعد أن ضرب بأصحابه الشيوعيين عرض الحائط ، أصبح من المناوئين المحترمين للشيوعيين . وفى نفس الوقت تعلق بأذيال الرجال والنساء من عائلة سونج ذات السطوة والجاه . وقد تم له هذا عن طريق زواجه بالابنة العانس مى — لينج Mei-Ling خريجة ولزلى .

وركب أفراد آل سونج — يتصدرهم شان — ظهر الصين مدى عشرين عاما . وتقلد كل فرد بارز من أفراد عشيرة سونج ، فيما عدا مدام سون يات — سن Madame Sun Yat-sen مناصب استراتيجية هامة فى الحكومة . وأصبحوا بمضى الزمن من أغنى العائلات فى العالم .

غير أن الصين تحت حكم شان ، خلال العشرين عاما هذه ، أضحت أكثر فسادا وعوزا منها وهى تحت حكم الإقطاعيين . وكلما كان يئن الرجل العادى من جراء الظلم الصارخ ، كلما قطعت حكومة شان أشواطا بعيد فى اتجاه المذهب الجماعى .

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية دخل فى روع معظم الأمريكيين أن الجنرال رجل نابغة ، ذو حكمة كونفوشيوسية ، ومنقذ باسل لبلاده ؛ وبطل للكفاح من أجل الديمقراطية والحرية . وعلى كل ، فقد كان الشعب الصينى يشعر بخلاف ذلك . كان يمقت الجنرال ، لم يكن ليصدقه أو ليحترمه . وفى النهاية لفظه الناس ؛ لأنهم سئموه وسئموا آل سونج . لقد نضجت الأمة وأصبحت مهيئة للاضطلاع

بأعباء الحكم — أصبحت التفاحة الصينية التى أصابها العطب مهيأة للسقوط من تلقاء نفسها .

يخالج بعض الناس الشك فى هذا ، ومن ثم ينحون باللائمة على أمريكا زاعمين أن إخفاقها فى أن تمد شان بالمعونة العسكرية الكافية هو الذى أدى إلى سقوطه ووقوع الصين فى أيدى الشيوعيين . مثل هذه الاستنتاجات مبنية على الجهل والدعاية والسذاجة . والواقع أنه فى سنة ١٩٤٥ كان بين يدى شان من العتاد الأمريكى ما يقدر ببلايين الدولارات لجيشه المكون من ثلاثة ملايين جندى . بيد أن قواته لم تتلق التدريب الكافى ، كما لم يكن يحدوها العزم على القتال من أجل حكومة شان . كانت الأموال المخصصة للإنفاق على طعامهم ولدفع مرتباتهم ( والتى تمدهم بها الولايات المتحدة ) تدخل فى جيوب الضباط . وكانت الغالبية العظمى من أفراد القوات مجندين على كره منهم ( لقد شاهدت بعينى رأسى فى سنة ١٩٤١ صفوفا طويلة من المجندين مقيدين معا بالسلاسل وهم مساقون من قراهم إلى معسكرات التدريب ) . كانوا لا يدينون بالولاء لشان ، مما أدى بعدد كبير من الجنود الصينيين الساخطين بتسليم ذخائرهم ومؤنهم إلى الشيوعيين بمحض اختيارهم .

وخلال هذه الأوقات العصيبة كانت حكومة شان كاى — شيك وأقاربه من آل سونج وآل كونج ، تواصل توسيع دائرة أعمالها . حتى الأطعمة التى خصصتها وكالة الغوث والتوطين التابعة للأمم المتحدة UNRRA فى أوائل سنة ١٩٤٧ للشعب الجائع كانت تباع بأثمان فاحشة فى السوق السوداء . فلا غرو أن أعار الناس الشيوعيين آذانا صاغية ، فقد كانوا على استعداد لأن يتقبلوا أى شىء فى سبيل التخلص مما هم فيه .

لقد انتحلت شتى الأعذار لتبرير طرد شان من الصين . ويقول بعض المدافعين أن الشيوعيين تسللوا إلى القبض على زمام السلطة متسترين وراء لقب « المصلحين

الزراعيين » . والحقيقة أن الشيوعيين نفوا عن أنفسهم هذا اللقب . فقد تحدثت طويلا خلال سنتى ١٩٤٠ : ١٩٤١ إلى شوين لاى ، فسخر آنذاك من أسطورة « المصلحين الزارعيين » . قائلا ، « إذا كنت تود أن تطلق علينا اسما سياسيا فلتسمنا شيوعيين . ثوريين . ماركسيين . »

كما أن ماوتسى تونج سخر جهارا ، فى خطبة طويلة له ، من خرافة « المصلح الزراعى » .

كان شان نفسه هو الذى ابتدع قصة « المصلحين الزراعيين » . وقد لفق هذه الأكذوبة الضخمة فى الفترة ما بين سنة ١٩٣٩ و سنة ١٩٤٠ حينما كان يسعى للحصول على قرض من الولايات المتحدة . فقد كتب شان إلى وزير المالية مورجنثاو Morgenthau ، بغية إدخال السرور إلى نفسه ، بأنه لم يعد ثمة شيوعيون فى الصين ، وأن حزب المعارضة يتشكون من مجرد مصلحين زراعيين . لقد كنت فى شونكنج Chungking آنذاك وشاهدت كيف كان رقباء شان يحذفون كلمة « شيوعيين » ويستبدلون بها عبارة « مصلحين زراعيين » فى البرقيات الصحفية .

إن ضخامة هذه الفرية بلغ حدا مذهلا . ففى ذلك الوقت كان يوجد فى الشمال نصف مليون على الأقل من الشيوعيين ، مزودين بالسلاح ، ومدربين تدريبا جيدا ، وعلى درجة كبيرة من النظام ؛ ونجحت وحدات الدعاية الشيوعية فى التوغل فى كل إقليم من أقاليم الصين . ولقد شاهدت بنفسى هذه الوحدات وهى تؤدى عملها على بعد عشرين ميلا من شونكنج .

ولكن الحقائق لم تكن تعنى شيئا بالنسبة لشان ، السياسى الصينى . فقد نقل نفس أكذوبة « المصلح الزراعى » رسميا إلى السفير البريطانى ، سير أرشيبلد كلارك — كار Sir Archibald Clark-Kerr ؛ ثم أعلن فى مؤتمر صحفى أنه « ليس ثمة شيوعيون فى الصين . » وحتى مستشار دعايته الأمريكى ، إيرل ليف Earl Leaf كتب إلى مراسلى الولايات المتحدة يطلب منهم أن « يكفوا عن إطلاق لفظ شيوعيين على شوته ، وماوتسى — تونج ، وغيرهما . »

ولقد بلغت الرقابة ومنع تسرب الأنباء فى الصين خلال هذه الفترة حدا كبيرا لدرجة أننى أشك فيما إذا كانت حكومة الولايات المتحدة قد أدركت تماما حقيقة الأحداث التى جرت فى أوائل العقد الرابع من القرن العشرين . فقد أبلغنى موظف من موظفى وزارة الخارجية فى شونكنج بلهجة جادة أنه ليس ثمة ما يخشى من حفنة « المصلحين الزراعيين » السخفاء ، وأن مدام شان كاى — شيك قد أكدت له شخصيا أن ماوتسى — تونج ، وشوين — لاى ، وشوته ، ليسوا إلا قطاع طرق ضئيلى الشأن سوف ينساهم الناس فى غضون سنوات قليلة .

بعد ذلك بثمانى سنوات ، أصبح قطاع الطرق الضئيلى الشأن يسيطرون على سبعمائة مليون صينى ؛ وفر شان كاى - شيك من الصين مدحورا مخذولا ، ولكن بعد أن هرب هو وأقاربه من آل سونج ثرواتهم الشخصية واحتياطى الذهب الحكومى خارج البلاد أولا . ولم يتبق من المال ما يكفى حتى لدفع مرتبات القوات القليلة الموالية التى بقيت لكى تؤدى مهمة حرس المؤخرة وتغطى عملية فرار شان .

إن أسطورة براعة شان كاى - شيك العسكرية تعد من قبيل الخرافة ؛ ولكن هذه الخرافة استولت على نفس أمريكا الساذجة لدرجة أن أحد رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة الذين تولوا هذا المنصب أخيرا صرح ( ردا على سؤال وجهه له أحد الصحفيين أثناء حضورى ) بقوله : « إن الجنرال يعتبر أعظم العباقرة العسكريين فى عصرنا » .

والحقيقة أن الجنرال شان كاى - شيك بمفرده لم يحرز نصرا قط فى معركة حربية كبرى . أما حملته الشهيرة التى قام بها فى الشمال سنة ١٩٢٦ ، والتى قامت على أساسها شهرته العسكرية ، فقد دبرها له دعاة شيوعيون كانوا يقومون بمساعدته .

وعقب فراره من الصين ، أى بعد مضى عشرين عاما ، وجد شان فى فرموزا Formosa ملجأ له وملاذا ، حيث يؤكد اليوم لمستشاريه الأمريكيين

فى صـــفاقة بأنه لازال سيد الصين كلها ، وأن الشعب الصينى يتحرق شوقا لعودته .

حتى فراره إلى فرموزا كان عملية سادها التفريط والإهمال ؛ فقد نهبت جيوش شان فرموزا وسلبتها عند وصولها بادئ الأمر ؛ نهبت المحلات ، وخربت المستشفيات ، بعد أن نزعت مواسيرها وأدواتها الكهربائية وبيعت فى الأسواق . وحينما اعترض أهل فرموزا على هذه الأعمال ، لجأت جيوش شان إلى مدافعها الرشاشة . وكان من نتيجة ذلك أن ذبح الآلاف من أهل فرموزا .

واليوم لم تكد تمر سوى عشر سنوات على قيام جنود شان الصينيين بقتل واضطهاد أهل فرموزا الذين آووهم وأكرموا وفادتهم . ولابد من أن تتملك الإنسان رغبة مرضية فى خداع نفسه لكى يدعى بأن أهل فرموزا قد نسوا هذا القتل بالجملة ، وهذا النهب ، بمثل هذه السرعة . كما يحتاج الإنسان إلى خيال سقيم لكى يصدق أن قلوب أهل فرموزا تنبض بالحب نحو حكومة شان كاى ـ شيك . ولم يمر على هذه الأحداث سوى عشر سنوات فحسب . فهل فى وسع أى إنسان أن يستشعر المودة نحو قاتلى أقاربه وجيرانه فى مـــدى عشر سنوات فقط ؟ .

إن المرارة لتنبعث فى نفوس أهل فرموزا بسبب عهد شان كاى ـ شيك ـ وهو عهد لايودون بقاءه ( كما أنهم لايحبون الشيوعيين أيضا ) . ولقد شاهدت بعض الفرموزيين يشتاطون غضبا حين يستمعون إلى الأمريكيين وهم يرددون الفرية التى تقول بأنه عندما وصل شان إلى فرموزا وجد فيها شعبا جاهلا متأخرا يعيش فى القرون الوسطى ؛ وأن شان أحال الجزيرة التى كانت تعيش فى وهدة البؤس إلى مجتمع مثقف ، بارع ، تغشاه السعادة .

لاريب فى أن هذا إفك وبهتان . حقيقة إن أهل فرموزا كانوا خاضعين لليابانيين ، ولكن ٩٥٪ منهم كانوا متعلمين . وكانت وسائلهم الفنية الزراعية

أكثر الوسائل تقدما فى آسيا - باستثناء اليابان. حقيقة إنه قد أجريت بعض الإصلاحات فى الأرض (تنحصر جلها فى تفتيت الملكيات اليابانية القديمة) كما قامت بعض التطورات الزراعية خلال عشر السنوات الأخيرة ؛ بيد أن التعليم والمهارة الموروثة كانا متوفرين قبل أن يلجأ شان كاى - شيك إلى فرموزا بزمن طويل. وكانت جزيرة فرموزا قد بلغت شأوا بعيدا من الناحية الفنية تحت حكم اليابانيين. وكانت تخترق المنطقة كلها شبكة حديثة ذات كفاية من الطرق الممهدة، والرى، والكهرباء.

سوف يتسنى لأى شخص يزور فرموزا اليوم أن يرى رخاء نسبيا وبوادر تبشر بثورة اقتصادية. ولكن هذا لاينفى أن التسعة ملايين فرموزى مازالوا يبغضون المليونين من الصينيين الوطنيين اللاجئين الذين يسيطرون عليهم ؛ ذلك أن أهل فرموزا يؤثرون أن تكون لهم دولة مستقلة ؛ ولذا فهم يرمقون أمريكا بنظرة فاترة ؛ إذ أنهم ينحون علينا باللائمة لتثبيتنا الصينيين فوق ظهورهم. وهو نقد له ما يبرره ، بطبيعة الحال، من وجهة نظرهم. فهم يؤكدون أن فرموزا ليست ملكا لشان كاى - شيك ؛ وقد اتفق أن أيد الرئيس ترومان رأيهم حينما كان يباشر مهام منصبه.

ويعتقد معظم الأمريكيين أن فرموزا ملك للوطنيين الصينيين. وليس هذا من الحق فى شىء. فقد اتفقت الدول الكبرى فيما بينها عقب الحرب العالمية الثانية على أن مصير فرموزا سوف يتقرر فى وقت ما فى المستقبل. أما شان فهو قابع هناك لأنه لا يجد مكانا آخر يلجأ إليه.

ومن بين المعتقدات الكاذبة أيضا أن الوطنيين المحبين للحرية قد جعلوا من فرموزا جنة سياسية أصبحت مثالا تحتذيه دول آسيا جميعا أى أن هناك انتخابات حرة

وأن المسئولين يتم انتخابهم بطريقة ديمقراطية . هذا صحيح فى النطاق المحلى . بيد أنه عند اختيار رجال الصف الأول — أى مايوازى الكونجرس لدينا — لايقام وزن لرأى الشعب . وهنا تنحصر السلطة التى ترسم السياسة ؛ فلازالت الألوف من المشرعين أصحاب المنزلة العليا الذين وقع اختيار شان كاى — شيك عليهم بطريقة استبدادية ، بعد إجراء انتخابات صورية سنة ١٩٤٨ ، لازال هؤلاء يشغلون نفس مناصبهم ، ويكادون يكونون جميعا من اللاجئين الصنيين ، وليسوا من الفرموزيين الذين يكونون ٨٠٪ من مجموع السكان .

ولو أتيحت الفرصة للفرموزيين بأن يرشحوا أنفسهم ويدلوا بأصواتهم فى انتخابات الجمعية الوطنية ، لأصبح من المحتمل أن يجد شان كاى — شيك نفسه ومعه بطانته خارج الحكم .

إن الأمريكيين هم الذين يساندون الوطنيين الصينيين فى فرموزا ، وقد يكون ذلك لأسباب وجيهة . ولكنها عملية باهظة التكاليف على أية حال . فالولايات المتحدة تنفق ، بطريق مباشر وغير مباشر ، حوالى ثلاثة أرباع البليون من الدولارات سنويا لكى تدافع عن شان كاى — شيك وتناصره . ولما كانت وزارة الخارجية ووزارة الدفاع لا تسمحان للمواطنين الأمريكيين بأن يعرفوا مقدار هذه النفقات ، فليس فى وسعنا إلا التخمين . ولكننا إذا أضفنا إلى ذلك مقدار ما ينفق على قوة الولايات المتحدة العسكرية هناك ، لأصبح المبلغ ضخما حقا .

يدعى السياسيون والقواد العسكريون الأمريكيون الذين لا يرون غضاضة فى إنفاق هذه المبالغ على شان بأن الجيش الوطنى للصين الوطنية قوامه جنود شبان مدربون تدريبا سليما ، وذوو روح معنوية عالية . والمغزى من هذا الادعاء واضح : إن الجيش الوطنى سوف يحارب حتى آخر رجل سعيا للقضاء على الصين الشيوعية ، وطبيعى أنه لا يمكن معرفة هذا على وجه التحقيق إلا عندما تحين

المعركة ، يبد أن أى رجل عسكرى ذا حاسة تاريخية يدرك أن جيشا يتكون من شبان فرموزيين مجندين فى الخدمة العسكرية على كره منهم ، ويسيطر عليهم أجانب ، قد يصبح عديم الفاعلية فى القتال .

والواقع أن حوالى ٧٠٪ من الشبان فى الجيش الوطنى من المجندين الفرموزيين . وهم لايشعرون بأى مصلحة فى استرداد أرض الصين من أجل شان كاى - شيك . قد يناضلون نضالا عنيفا فى معركة دفاعية . ولكن إذا قام جيش شان بغزو الصين ، فإننى أتوقع أن تتمرد الغالبية العظمى من قواته أو تقتصر على الوقوف مكتوفة الأيدى ، محجمة عن القتال .

أما القول بأن جيش شان هو سلاح قوى فهو لغو باطل مبنى أساسا على :

( ١ ) الاستعراضات المسرحية للمعارك الوهمية التى تقوم بها وحدة واحدة بارعة أمام الزائرين .

( ٢ ) التصريحات التى يدلى بها الضباط العسكريون الأمريكيون الذين يقومون بتدريب أفراد القوات الصينية ، والذين ، بحكم مقتضيات السياسة والدبلوماسية ، لايستطيعون أن يجهروا بأشياء تنتقص من قدر طلبتهم .

( ٣ ) الضربات الناجحة التى وجهها سلاح الطيران الصينى للشيوعيين . وحتى هذه الإصابات ليست مقياسا دقيقا عميقا لنوع السلاح . فقوة الجهاز العسكرى الكلية لايمكن أن تقاس بواسطة عمليات قامت بها بضعة « نجوم » . كما أننا لايمكن أن نحكم على عدو قوى بعدم الكفاءة استنادا إلى الأخطاء القليلة التى يرتكبها وقت السلم . وقد تلقت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة هذا الدرس القاسى فى الحرب ضد اليابان ؛ فقد أدهش المحاربون الذين كان ينظر إليهم على أنهم رجال ذوو أجسام ضئيلة ، وسيقان مقوسة ، ونظارات سميكة ، ومزودين بعتاد لايرقى إلى مستوى كبير . أدهش هؤلاء المحاربون الناس جميعا ؛ ذلك أنهم أظهروا كفاءة عالية مخيفة فى القتال . وحينما ضربت الطائرات

اليابانية مانيلا Manila بالقنابل ، لم يستطع الملحقون العسكريون والبحريون الأمريكيون أن يصدقوا أن من الممكن وجود مثل هذا الإحكام فى التسديد . ولهذا ادعوا جهارا أن بعض الطيارين الألمان كانوا يقودون هذه الطائرات . إن جهل أمريكا بالشئون الدولية ليس أمرا جديدا .

ومما يؤسف له أن التنظيم العسكرى لشان كاى - شيك الذى يبلغ قوامه ٥٠٠ ألف رجل لن يكون ذا نفع كبير فى حرب كلية مع الصين الشيوعية . وحينئذ سوف يقع عبء القتال على عاتق الولايات المتحدة وحدها . والواقع أن الواطنيين الصينيين لايحتاجون إلا إلى جيش صغير فحسب .

أما السبب الحقيقى للإبقاء على جهاز حربى وطنى يتكون من ٥٠٠ ألف جندى فهو سبب يتكون من شقين :

أولهما : أنه مبرر للحصول على الأموال من الولايات المتحدة ؛ إذ أننا نعول هذا الجيش كله ؛ ولو أنه سرح ، لأصبحت ثمة مشكلة اقتصادية قومية ، وإلا كيف يمكن الإنفاق على عدة مئات الآلاف من الصينيين الذين ليس لهم مورد آخر من موارد الدخل أو التجارة ، بغير هذا السبيل ؟

وثانيهما : هو أن وجود مثل هذه الإدارة العسكرية الضخمة تتيح لشان فرصة الاحتفاظ بالسيطرة التامة على الجزيرة .

ليس فى مقدور شان كاى - شيك أن يستمر شهرا واحدا بدون معونتنا ، ورغم ذلك فالوطنيون يظهرون تأففهم سرا من الولايات المتحدة . وذلك لأنهم أولا : لايسرهم أن يعيشوا عالة على صدقات غيرهم ؛ وبخاصة إذا كان هناك آلاف من المحسنين ( وعائلاتهم ) فى الجزيرة يذكرونهم بهذا الأمر .

ثانيا : لقد مضى الآن على الصينيين أكثر من عشر سنوات وهم يحيون فى فرموزا حياة ملؤها الخيبة واليأس ، كما أنهم يرون فرص استرداد سلطتهم على أرض

الصين تتضاءل رويدا . وسواء رضينا أم لم نرض ، فإنهم يقتربون من نهايتهم المحتومة . وربما كان الأمل الوحيد فى إنقاذهم هو قيام حرب عالمية ثالثة تقف فيها أمريكا فى وجه الصين الشيوعية . وكان هذا هو هدف شان الرئيسى طيلة خمس السنوات الأخيرة . فهو يعتقد أن أمريكا مدينة له بهذا .

لقد أدخل الوطنيون الصينيون فى روع أنفسهم أنه لولا القيود التى تفرضها عليهم أمريكا لكانوا قد استردوا سيطرتهم على أرض الصين منذ زمن بعيد . ولهذا يصبون جام غضبهم على أمريكا سرا ، يتساوى فى ذلك شان وأصغر فرد فيهم . وينفجر هذا السخط بين الفينة والفينة ، فيبدو واضحا للعيان - مثل نهب السفارة الأمريكية فى « تاى بيه Taipei » فى ٢٤ مايو سنة ١٩٥٧ . إن هذا الحادث يستحق التأمل من عدة وجوه .

نشب هذا الشغب حينما « وجد أحد الوطنيين الصينيين ويدعى ليو Liu مقتولا خارج مسكن أحد الجنود الأمريكيين . وقد وجهت التهمة إلى الجندى وقدم للمحاكمة أمام مجلس عسكرى من الجيش الأمريكى . وشهد الجندى بأن القتيل ليو كان يقوم بدور « توما الموصوص[1] » ، فقد تسلل إلى منزله وأخذ يراقب زوجته وهى تستحم ، ورغبة منه فى حماية زوجته ، هرع إلى الخارج لكى يطارد « توما الموصوص » ثم نشبت بينهما معركة ، فهاجم ليو ، الصينى ، الجندى بهراوة ، ومن ثم أطلق الجندى عليه الرصاص دفاعا عن نفسه . ( هكذا شهد الجندى ) .

وكانت ثمة محاكمة عسكرية طويلة . وكانت المحاكمة علنية حضرها أعضاء من وزارة العدل الصينية . وقد صرح ممثلو شان كاى - شيك أمام الملأ بأن المحاكمة لم تكن عادلة ، ذلك أن قاتل أحد الصينيين كان على وشك أن تبرئه

---

(١) أى الذى يسترق النظر .

المحكمة . ونتيجة لإثارة الفتنة بهذه الطريقة الرسمية غلى مرجل الحقد والسخط فى الصحف الصينية . ولايمكننا أن نتبين أهمية هذا على وجه الدقة إلا إذا عرفنا أن الصحافة فى تاى بيه تكاد تكون خاضعة لنفوذ الحكومة تماما . إذ لم يكن هناك سوى صحيفة واحدة قوية معارضة خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة ، ورئيس تحريرها محكوم عليه الآن بالسجن عشر سنوات .

أخلى سبيل الجندى الأمريكى ؛ وضجت الصحف الصينية قائلة : إن ظلما صارخا قد وقع . كما قالت : إن الأمريكيين يستطيعون أن يعتدوا على الصينيين ثم يفلتون من طائلة العقاب .

ولم تمض عدة أيام على المحاكمة ، حتى ظهرت أرملة القتيل الصينى ، ليو ، أمام السفارة الأمريكية وهى تحمل لافتة ضخمة تشكو فيها من جور المحاكمة . وكانت اللافتة مكتوبة بالانجليزية ، رغم أن مسزليو لم تكن تتكلم أو تكتب الانجليزية .

واجتمع حشد صغير . ثم غص الشارع بألف من الصينيين خلال ساعة واحدة . وظهر موظف من هيئة الإذاعة الصينية الرسمية وهو يحمل آلة تسجيل . ثم قرأت مسزليو خطبة معدة فى الميكرفون ، بطريقة مسرحية للغاية . وحينما فرغت من قراءة ظلامتها التى كان يشيع فيها الانفعال رفع المذيع الصينى الرسمى من صوت آلة التسجيل حتى مداه ، ثم أذاع الخطاب ثانية لكى يستمع إليه الحشد . وانقلب الحشد إلى غوغاء ثائرين شرعوا فى اقتحام السفارة .

حطمت السفارة عن آخرها ـــ لدرجة أن المتظاهرين قاموا بفتح الخزائن عنوة . وسخرت الصحف الشيوعية وإذاعتها فى جميع أنحاء العالم من حيرتنا وارتباكنا . وبدت أمريكا بحق من الحماقة والبلادة السياسية بمكان .

هناك عدة مصادفات غريبة تتصل بهذا الحدث . فلم فى دولة بها قوة للشرطة ، لم تخف قوات الأمن التابعة لشان كاى ـ شيك لتفريق المتظاهرين ومنعهم من

تحطيم سفارة الولايات المتحدة ؟ والحقيقة المذهلة أن هذه القوات أبعدت ذلك اليوم عن تاى بيه ، فقد كانت خارج المدينة تتدرب على القيام بصد غارة جوية . وكانت العدة قد اتخذت للقيام بهذا التدريب قبل ذلك ؛ ولكنها أجلت ، يوما بأكمله ، حتى قيام المظاهرة . وحتى لو كان الأمر كذلك ، فقد كانت ثمة حظيرة مليئة بدبابات الجيش الصينى على قيد بضعة مبان . فلماذا لم تستخدم إذن ؟

والواقع أن نبأ قيام مظاهرة أمام السفارة الأمريكية فى ذلك الصباح كان منتشراً فى أرجاء تاى بيه ، فقد تلقى ، على سبيل المثال ، عدة قساوسة من الكاثوليك مكالمات تليفونية مجهولة ، مساء اليوم السابق على بدء الشغب ، تقول : « أرجوك يا أبى ، ألا تخرج إلى الشوارع صباح غد ، وابتعد ما أمكن عن السفارة الأمريكية » .

وقد صرح كل من القساوسة الذين تحدثت إليهم فى هذا الشأن بأنه تلقى حوالى ست تحذيرات من هذا النوع . كان هذا هو اليوم السابق لقيام المظاهرة . وإلى جانب هذا ، أكد لى طبيب من أهل فرموزا أنه استمع إلى تفاصيل المظاهرة قبل قيامها بثمان وأربعين ساعة . أى أن كل شخص تقريباً قد علم بالأمر — فيما عدا الأمريكيون .

لقد أنبأنى أصدقائى من الصينيين أن الصبية فى مدارس تاى بيه قد تلقوا محاضرات عن الاستعمار الأمريكى لمدة أسبوع . كما زودوا بالخطط والتعليمات بشأن كيفية التجمع والزحف إلى سفارة الولايات المتحدة . وهكذا يبدو من الجلى أن الحكومة الوطنية قد دبرت تفاصيل المظاهرة سلفاً . وكان يلوح أن كل شخص ، فيما عدا الأمريكيون ، يلم بكل التفاصيل .

أما المصادفة العجيبة الثالثة فهى أن المظاهرت قامت عقب مغادرة السفير الأمريكى لتاى بيه ، لقضاء أجازة فى هونج كونج Hongkong ، بوقت قصير ،

وأن موظفى حكومة الولايات المتحدة لم يكن لديهم أية معلومات عن الكارثة الوشيكة الوقوع — حتى على الرغم من أن السكان المحليين كانوا على استعداد تام .

أما المصادفة الغريبة الرابعة فهى أن مصورى الصحف الصينية التقطوا بعض الصور للغوغاء وهم يقتحمون السفارة . وقد تعرف البعض على شخصية زعماء المظاهرة على أنهم من أفراد البوليس السرى التابع لشان شينج - كوو Chiang Ching-Kuo · وشان شينج - كوو هذا هو أكبر أبناء الجنرال — وقد عاش فى موسكو عدة سنوات ، كما أنه متزوج من سيدة روسية . ويعتبر هذا الابن الذى درب فى روسيا أقوى الرجال نفوذا فى الوقت الحالى بعد شان كاى - شيك ، إذا أنه رئيس البوليس السرى ، كما أنه الحاكم بأمره على أعضاء اللجان السياسية الذين يسيطرون على الجيش ؛ فضلا عن أنه رئيس لعدد كبير من منظمات الشباب . وهو يجيد اللغة الروسية أكثر مما يجيد لغة فرموزا أو اللغة الانجليزية . والواقع أنه ، منذ سنتين ، لم يكن يتحدث اللغة الانجليزية أو اللغة الفرموزية على الإطلاق . وقد أنبأنى أصدقائى فى تاى بيه أنه الموظف الوحيد فى الحكومة الوطنية الذى لم يوقع على تعهد بمناوأة الشيوعية .

وفى خلال بضعة أيام ، اختفت كل صحيفة نشرت صور رجال شينج - كوو ، كما اختفت كل نسخة من الصور بطريقة غامضة .

ومما زاد الأمر ضغثاً على إبالة أن اثنين من موظفى وزارة الخارجية الصينية المرموقين أخبرانى بمعلومات أخرى مروعة .

صرح الموظفان الصينيان بقولهما : لدينا من الأسباب ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن ليو ( الرجل الذى قتل ) والجندى الأمريكى كانا رفيقين ، وكان كل منهما يعرف حتى زوجة الآخر . كما أن لدينا شواهد قوية على أن ليو والأمريكى كانا شريكين فى عمليات خاصة بالسوق السوداء ؛ وأن ليو كان مدينا بمبلغ كبير

من المال للأمريكى . وقد تسربت إلينا أنباء تفيد بأن الأمريكى كان على وشك أن ينقل بعيدا عن فرموزا ، ولذا كان يلح فى طلب نقوده .

« وقد قال الطبيب الشرعى : إن العصا التى وجدت بجانب جثة ليو كانت صغيرة جدا بحيث لا يمكن أن تحدث إصابات جسمانية لأى شخص ؛ وأن الرصاصة الثانية التى نفذت فى ظهر ليو أطلقت من مسافة ثلاثين قدما تقريبا - مما يدل على أنها أطلقت بينما كان يعدو » .

فقلت : « ومادام لديكم هذا الإثبات القاطع ، أو حتى مجرد إشاعات تتعلق بهذه الأشياء ، فلم لم تبلغوا القضاء الأمريكى ؟ » .

فقال الموظفان الصينيان : إنهما أحجما عن الإدلاء بهذه المعلومات عمدا ، فقد كانت جمهورية الصين والولايات المتحدة على وشك إجراء مفاوضات بشأن تعديل اتفاقية خاصة بوضع القوات ؛ وكان من مصلحة الصينيين أن يثبتوا أن المحاكم الأمريكية لا تتسم بالعدالة . أى أن الصينيين كانوا يحاولون استخدام المحاكمة ( والمظاهرة ) كسلاح سياسى .

ليست هذه هى الصورة التى عرفناها عن شعب فرموزا رغم أن لدينا مئات الموظفين الأمريكيين هناك ينحصر عملهم الرئيسى فى معرفة ما يجرى من من أمور . كما أن لوكالة الأسوشيتد برس مندوبا متمرسا تقع على عاتقه مسئولية إبلاغ الولايات المتحدة . ولكنه لم يفعل . وقد قام مراسل اليونيتد برس ، وهو شاب يدعى براون بسرد الأحداث التى أدت إلى إثارة الشعب ثم وجد نفسه ، نتيجة لذلك ، منبوذا من الموظفين الأمريكيين والصينيين على السواء . كما اتهم بعدم تقدير المسئولية وبأنه ذو ميول « شيوعية » .

وتعتبر الصورة الزائفة التى عرفناها عن الحادث انتصارا لجهاز دعاية شان ، ذلك الجهاز الذى استطاع ، بوجه عام ، أن يملك قياد أمريكا طيلة ما يقرب من عشرين عاما .

يدرك شان تماما قيمة القول المأثور عن هتلر بأنك إذا دأبت على قول نفس الشيء مرة بعد أخرى بوسائل شتى ، فإن الجمهور سوف يتقبله فى النهاية . وهكذا أخذ الوطنيون الصينيون يقذفوننا عن طريق صحافتنا وحكومتنا ، بوابل من الروايات غير المؤكدة عن غزو شيوعى ، وبوابل من القصص المبالغ فيها عن تحصينات تقام استعدادا للغزو ، بالإضافة إلى وابل من البيانات التى لم يقم على صحتها دليل عن ثورات داخلية فى الصين الشيوعية .

وفى ثنايا هذه الروايات بشأن « الهجمات الوشيكة الوقوع » أطلق موظفو العلاقات العامة الوطنيون حكايات ملفقة لاحصر لها تمجد القوة والكفاية اللتين يتسم بهما جيش شان كاى - شيك ، وأسطوله ، وسلاحه الجوى . وتزعم هذه الحكايات سرا أن بوسع الوطنيين أن يلحقوا الهزيمة بالصين الشيوعية وحدهم ، وكل مايحتاجونه هو العتاد الأمريكى ، والمعونة الخاصة بنقل وحدات الجيش وتموينه . وهم يتشدقون بالشعبية التى يحظى بها الوطنيون فى فرموزا ؛ ويشمخون بأن فقاعة الصين الشيوعية توشك أن تنفجر .

هذه الترهات تسلم للصحفيين فى نشرات مطبوعة ، وتقص على مسامع كبار الزائرين فى بلاغات رسمية ، وتسر بها مدام شان كاى - شيك ، فى لهجة سرية ، فى أذن جماعات السائحين الذين يفدون إلى فرموزا .

وليس المهم هنا هو صحة هذه الروايات أم عدم صحتها ؛ بل الأمر المحزن حقا هو تسليمنا ، أنا وأنت ، ومعظم صحفنا ، ورجال حكومتنا بهذه الروايات دون تساؤل .

إن الطريقة المحكمة التى يجعلنا بها الوطنيون الصينيون ( ودول أخرى كذلك ) نبدو كأطفال رضع لا يحسنون التصرف لهى طريقة تفوق التصور . ومثال ذلك أنه عقب أن سمعنا بنظام الكوميون System of Communes المتبع فى الصين

الشيوعية بوقت قصير . كتب صحفي أمريكي مقالا ذائع الصيت عن هذا الموضوع . كان المقال يسيل علما ويقينا . وكان الجانب الأكبر من قصته مبنيا على حديث له مع أحد الصينيين الفارين من أحد الكوميونات الشيوعية .

ولقد اتفق لي أن كنت في هونج كونج آنذاك ، فأخذت أقتفي أثر شاهد العيان المزعوم لنظام الكوميون ، وبمجرد ما التقيت به وجدت أنه أحد الذين تعرفت عليهم في فرموزا . كان أحد رجال الدعاية الذين يعملون لحساب الحكومة الوطنية . كان المسئولون قد وضعوا هذا الشخص في مكاو Macao لكي يتظاهر بأنه أحد اللاجئين . وكانت مهمته تنحصر في أن يقص على مسامع السائحين والصحفيين الذين يتحدثون بالانجليزية نبأ الفظائع التي شاهدها ولاقاها في الصين الشيوعية .

لست أنكر أن نظام الكوميون أمر رهيب . فإن فكرة نجاحه في النهاية تملأ نفسي ذعرا ؛ إذ لو أمكن تسخير سبعمائة مليون صيني تسخيرا تاما ، لأصبح من المحتمل أن تتفوق الصين على الولايات المتحدة في الإنتاج بنسبة ٢ : ١ .

ينبغي علينا أن نلم بنظام الكوميون . كما ينبغي علينا أن نعرف كل شيء ممكن عن الصين ، ولكن يجدر بنا أن نتلقى هذه المعلومات مصورة بأبعادها الأصلية وعلى حقيقتها — لا عن طريق وسائل الدعاية الأجنبية أو الصحافة التي تحاول أن أن تثبت صحة وجهة نظر خاصة أو تروج عنوانا من عناوينها الرئيسية . لذا ينبغي علينا أن ندرس نظام الكوميون ، لا بصفته شيئا منافيا للأخلاق ( مما يؤدي بنا إلى الشعور بالتدين والتفوق ) ، بل على أنه سلاح اقتصادي أجنبي يمثل خطراً على بلادنا .

يوجد في أمريكا عدد قليل من المخبرين الصحفيين الحاذقين الذين يتكلمون اللغة الصينية ، ويعتبرون خبراء بشئون آسيا . ومن الملاحظات الشخصية لهؤلاء

الصحفيين عن الصين يتعين علينا أن نلم بنظام الكوميون . وقد دعتهم الصين الشيوعية منذ بضع سنوات لزيارتها ، بيد أن وزير خارجيتنا رفض أن يأذن لهم . وعلى هذا ، فكل مالدينا من معلومات عن أكبر دولة فى العالم — سواء معلومات رسمية أم غير رسمية — هى إما معلومات من الدرجة الثانية أو معلومات معدة مرتبة . ومع ذلك فنادرا ماشكونا من جهازنا المختص بجمع المعلومات ، ذلك الجهاز الذى تعوزه الكفاية والإحكام . وكان فى مقدور الصحف الأمريكية أن تجبر دلاس على تغيير رأيه حين منع المخبرين الصحفيين من الذهاب إلى الصين . ولكنها أخفقت . ذلك أنها بعد أن ولولت لبضعة أسابيع هدأت ثائرتها وانصرفت إلى مهمة ترويج بضاعتها مرة أخرى .

لا أستطيع أن أذكر مسألة كبرى تتعلق بفرموزا ، تلقينا بشأنها فيضا منتظما من المعلومات الدقيقة أو المشورة السديدة . فقد أعطينا ، على سبيل المثال ، جرعة من الروايات الملفقة عن جزيرتى كيموى Quemoy وماتسو Matsu النائيتين عن شاطىء فرموزا ، وقيل لنا :

(١) إنهما لازمتان للدفاع عن فرموزا .

(٢) إنه لو اضطر شان لنقل قواته من هاتين الجزيرتين لانهارت روح فرموزا المعنوية — ومعها الصينيون الأحرار فى جميع أنحاء العالم .

ولكننى أخالف هذا الرأى ، ويؤيدنى فى ذلك الصفوة من أولى الرأى . ذلك أنه حينما بدأت عملية إنزال القوات الوطنية فى كيموى وماتسو ، اعتبرت هذه الخطوة ضد مصالح الولايات المتحدة . وقد عارضت كل من وزارة الخارجية وهيئة أركان الحرب المشتركة الخطوة التى اتخذها شان ، فقد صرح الرئيس إيزنهاور سنة ١٩٥٨ فى مؤتمر صحفى بقوله : « اننى أعتقد ، بصفتى جنديا ، أنه لم يكن من المناسب القيام بهذا العمل ، أى القيام بتجميع كل تلك القوات هناك » .

كما صرح نائب وزير الخارجية والتر روبرتسون Walter Robertson بقوله : « الواقع أن أى إنسان يبلغ ذكاؤه العسكرى درجة عادية لايتبادر إلى ذهنه لحظة واحدة أن هذه الجزر تصلح قواعد للهجوم على البر » .

وفى سبتمبر سنة ١٩٥٨ وصف آتشيسن Achesen وزير الخارجية السابق الغرض الذى يرمى إليه شان بأنه « إثارة الفتنة بين الولايات المتحدة وبين أعدائها الشيوعيين » .

وكان يبدو غريبا حينذاك أنه على الرغم من أن الولايات المتحدة كان فى وسعها أن تمنع القوات الصينية من النزول فى كيموى وماتسو ( الرسائل المتبادلة بين دلاس ويه The Dulles - Yeh Letters ) ، فإننا لم نبذل جهدا يذكر فى سبيل منعها . لقد استطاع شان كاى ـ شيك ببساطة أن يناورنا ويفوقنا دهاء . ذلك أن الإشاعات كانت تتواتر فى ذلك الوقت بأن الشيوعيين الصينيين قد تقدموا بعروض للصلح مع فرموزا . والمغزى الخفى هو أن شان كان سينظر فى هذه العروض مالم تسانده الولايات المتحدة بشأن كيموى وماتسو. وهذا الابتزاز لعبة قديمة لشان ، فقد قام بنفس الخدعة خلال الحرب العالمية الثانية . إذ أنه حينما اختلفت معه حكومة روزفلت ، أشاع أن اليابان قد عرضت صلحا منفردا مع الصين . فلو أنه لم يحصل على المساعدة التى يطلبها من أمريكا ، لانهارت روح شعبه المعنوية ، ولأصبح مضطرا إلى قبول عرض الصلح الذى تقدمت به اليابان .

حاشية : ـ أجيب شان إلى مطالبه .

واليوم ، يقوم شان البارع بنفس الدور ، متذرعا بالخديعة ، وتفريق المعارضة ، والدعاية . فقد وقعنا اليوم فى أحبولة الجزائر النائية ؛ واستطاع شان كاى ـ شيك أن يزج بنا إلى الدفاع عنها دفاعا يكاد يكون كليا ـ حتى ولو كانت المعاهدة التى بيننا لاتقتضى منا إلا الدفاع عن فرموزا وجزر البسكادور فحسب .

لو كانت لدينا المعلومات الصحيحة ، ولو كانت لدينا الصلابة اللازمة عام ١٩٥٦ لاستطعنا أن نتجنب الوقوع فى هذه الأزمة . فنحن اليوم فى موقف حرج من

الناحيتين الدبلوماسية والعسكرية - ولكن لايعزب عن بالك أن إيزنهاور عقد هذه الصفقة بموافقة الشعب الأمريكى موافقة ضمنية .

دعنا نحلل الوضع الخاص بكيموى تحليلا واقعيا . تناول أولا الادعاء بأن جزيرتى كيموى وماتسو الصغيرتين (على بعد ثلاثة أميال من الصين الشيوعية) لازمتان للدفاع عن فرموزا . هاتان البقعتان الصغيرتان اللتان تكادان تتاخمان الصين الشيوعية - هل هما لازمتان لسلامة فرموزا ، التى تبعد عنهما أكثر من مائة ميل ؟ افحص الخريطة بعناية تجد أن الصين الشيوعية بها مايقرب من مسافة ثلاثمائة ميل من الساحل تصلح لإنزال السفن أو الطائرات فى حالة القيام بغزو الصين .

ومن المؤكد أن ٨٠ ألف جندى من الجنود الوطنيين فى جزيرتين صغيرتين لن يحولوا دون أى غزو شيوعى . إذ يمكن للشيوعيين أن يمروا بهم دون عناء كبير . أو من السهل أن تتغلب عليهم الصين الشيوعية ، إذا اقتضى الأمر ، بإمكانياتها الضخمة وسكانها البالغ عددهم ٧٠٠ مليون نسمة . بالإضافة إلى أنه بدون العون الذى تقدمه بحرية الولايات المتحدة من حيث نقل الجنود وتموينهم ، لتضورت القوات الموجودة فى كيموى وماتسو جوعا ، ولنفذت ذخيرتها .

لست بحاجة إلى أن أؤكد القول بأن قوات الصين الوطنية - سواء كانت فى كيموى أو فى فرموزا - ليست هى التى تفل من عزم الشيوعيين . فلن تستطيع قوة الوطنيين أن تصمد شهرا واحدا بمفردها فى وجه هجوم شيوعى حازم . إن الأسطول السابع الأمريكى هو الذى يحول دون الشروع فى القيام بغزو عسكرى .

ليس ثمة مايدعو الصينيين إلى الخوف من قوات شان كاى - شيك . ولكن الأسطول الأمريكى ، والجيش الأمريكى ، والسلاح الجوى الأمريكى ، والغواصات الأمريكية هى التى ستقوم فى النهاية بصد أى غزو . أى أن احتلال قوات شان لكيموى وماتسو لايكاد يكون له أى أهمية عسكرية . وكل ما فى

الأمر أن شان يستخدم هذا الاحتلال «كمعصرة» سياسية يمسك بين فكيها الولايات المتحدة ويعصرها .

ورغم أن هذه الجزائر التى تبعد ثلاثة أميال عن الصين ليست بذات أهمية من الوجهة العسكرية ، فإنها ذات قيمة عظيمة من ناحية الدعاية . ومما يؤسف له أن معظم فوائد هذه الدعاية تعود على الشيوعيين .

فالشيوعيون الصينيون يجدون أنفسهم فى وضع ملائم تماما ، وهم يستغلون حنق الشعب إلى أقصى حد . كما أنه سلاح من أجود أسلحة الدعاية التى يستخدمها الشيوعيون فى الداخل . ذلك أن الصين فى ضائقة ؛ فقد كان ثمة نقص ذريع فى المحاصيل ؛ ولم تسر خطة السنوات الخمس وفق ما قدر لها ؛ بالإضافة إلى أن نظام الكوميون قد احترق قبل الأوان . ولكى يصرف الزعماء الصينيون أنظار الناس عن هذا الإخفاق فى الداخل ، لابد أن يثيروا فى نفس الجماهير حالة دائمة من القلق والخوف من الشياطين الأجانب . وتعتبر كيموى وماتسو معيناً غنياً لهذا الذعر اللازم . وعن طريق الدور الذى نقوم به فى تعضيد الصين هناك ، فإننا نمد الشيوعيين بما يحتاجونه على وجه التحديد .

لقد قابلت فى سنة ١٩٥٩ لاجئين صينيين كانوا قد فروا من الصين الشيوعية إلى هونج كونج . وكانوا يرددون كلهم بلا استثناء قولا واحداً : إن السوط الذى يدفع بالشعب الصينى إلى أن يبذل مجهودات تفوق طاقة البشر هو الحقد على أمريكا والفزع منها ، فالحكومة تدخل فى روعهم أن أمريكا تستعد لغزو الصين ؛ وأن أمريكا تستعد لإلقاء القنابل الذرية على الصين . ولذا ، فإن كل شخص هناك يجد لزاما عليه أن يذعن لمطالب الشيوعيين ويكدح كدح العبيد فى تلك الكوميونات ، لكى يكتب له البقاء .

إن التعضيد الذى يلاقيه الوطنيون من أمريكا فى كيموى وماتسو — وهما جزيرتان على مسافة طلقة بندقية من الصين الشيوعية — هو الذى يدفع

بالشعب الصينى إلى نوبة من الحنق . مثل هذا الموقف يعتبر لقية من الدعاية بالنسبة للشيوعيين .

كما أن احتلال هذه الجزر يكلف شان والولايات المتحدة عطف العالم بأسره . فحيثما ذهبت فى كل من آسيا ، وأوربا ، ودول المحيط الهادى ، وغيرها من الدول ، وجدت أن الناس يعتقدون أن التمسك بماتسو وكيموى هو عمل تعسفى استفزازى * .

ويلوح أن أنصاف الحقائق التى يبتلعها الشعب الأمريكى لاتقف عند حد ، فبعض هذه الروايات الملفقة لها هياكل من الحقيقة ، ولكنها مطعمة بشذرات من الدعاية . هذه القطع والشذرات تتضخم عادة حتى تصبح صوراً كبيرة مزيفة .

وقد وقعت حادثة من هذا النوع حين أرسلت وكالة اليونيتد برس بصور للجنرال ولمدام شان كاى - شيك إلى الصحف فى جميع أنحاء الولايات المتحدة . وكان الخبر أسفل الصور كما يلى ، « تاى بيه — أحرز الرئيس شان كاى - شيك فى الأسبوع الماضى نصراً ساحقاً لم يكن متوقعاً فى الانتخابات التى أجريت فى الجمعية الوطنية لإعادة انتخابه . . . »

إن الخبر صحيح بما فيه الكفاية بالنسبة لشخص خبير بشئون الصين ، ولكن القارىء العادى استدل منه على أن شان أعيد إلى منصبه بناء على إجماع شعبى . وعلى هذا لم يعلم القارىء أولا أن دستور الوطنيين لايسمح للجنرال بأن يعمل رئيساً للدولة مرة ثانية . كما أن القارىء لم يدرك أن أعضاء الجمعية الوطنية الذين انتخبوا

---

* كل من يرغب فى دراسة المسألة دراسة مفصلة ومدعمة بالوثائق ، فليقرأ ، « معضلة كيموى : شان كاى - شيك والولايات المتحدة » بقلم تانج تسن Tang Tsen ، جامعة شيكاغو ، وقد نشرت فى : ذاوسترن بوليتكال كوورترلى — The Western Political Quarterly عدد ديسمبر سنة ١٩٥٩ .

شان قد عينوا بمعرفته . وموجز القول أن شان عزم ببساطة ، مخالفاً بذلك نص الدستور ، على أن يواصل حكمه الاستبدادى فى فرموزا — وليذهب رأى الناس إلى الجحيم . ولقد أثار الصينيون والفرموزيون مناقشات كثيرة فى هذا الشأن — فى الخفاء غالبا . وقد أنبأنى أصدقائى من الصينيين أن الرأى العام فى فرموزا كان ضد احتفاظ شان بالمنصب وما فى هذا العمل من خرق للدستور .

ناقشت هذا الحدث مع أحد كبار الموظفين فى الولايات المتحدة ، ثم أخبرته بكل ما علمته عن مجمل هذا الفصل بشأن فرموزا ، فأجابنى بقوله : « نعم ، إنك على حق فى كل ما قلته لى . ولكن لاتكتب عنه . فلم تنشر مخازينا ؟ إنها تؤذى حلفاءنا وتعين الشيوعيين » .

إنى أخالف هذا القول بشدة . فلو أن المواطنين الأمريكيين عرفوا الحقيقة — مهما بلغت من مرارة — فلسوف يتصرفون فى شىء من التبصر . إن حلفاءنا والشيوعيين يعرفون الحقائق سلفاً بشأن فرموزا . ولم يبق إلا شعب الولايات المتحدة الذى سمح لنفسه بأن يخدع .

إن سياستنا القومية فى الوقت الحالى هى تأييد شان كاى - شيك والدفاع عنه وعن آل سونج الذين أثروا بمساعدته .

وإذا كان لنا أن نستخدم إنساناً شريراً . فلنستخدمه متيقظين ، ولنفتح أعيننا جيداً . ولكن هذه لم تكن هى الحالة مع شان كاى - شيك والصين . فقد سمحت الأمة الأمريكية لنفسها ، فى رأيى ، أن تضلل بشكل ينذر بالخطر . ولم يسمح المواطنون الأمريكيون أن تحشى أدمغتهم بالأخطاء بشأن مسألة الصين فحسب ؛ بل خشوا كذلك فى كثير من الأحوال أن يتبعوا أجرأ التقاليد الأمريكية وأنبلها : ألا وهو توخى الحق فى الإفصاح عن آرائهم . أما هؤلاء الذين أبدوا شكوكهم فى تصرفات الولايات المتحدة فى الصين — صواباً كان أم خطأ — فكثيراً ما اتهموا بأنهم ذوو ميول شيوعية .

كان الشك فى الصورة المرسومة لشان كاى - شيك وأرباب البلايين من أسرته يكاد يعتبر إثما لايغتفر طيلة العشرين عاماً الأخيرة ، والويل كل الويل لمن كان يجادل فى هذه الصورة المجيدة . لقد ترددت بضع أسئلة وجلة : ولكنها غرقت فى غمار الصيحات التى تصدر عن سياسيين سيئى الاطلاع ، وعن حشد من الصينيين المهرة ممن يعملون فى العلاقات العامة . ونادراً ما عرفت الحقائق المجردة بشأن المسألة الصينية على وجه الدقة . كما أسهمت الصحافة الحرة[1] فى الولايات المتحدة بأكثر من نصيبها فى هذا الخلط والبلبلة .

ولا يسعنا إلا أن نستدل بهذا على أن كثيرا من الموظفين ( داخل الحكومة وخارجها ) إما كانوا على جهل بطبيعة الأحوال ، وإما كان جل اهتمامهم منصبا على تشكيل الرأى العام ومساندة الحكومة أكثر من اهتمامهم بتزويد المواطنين بالحقائق السليمة .

وإذا استمرت هذه الدعاية البهلوانية الحالية — واستمر معها التسليم ، دون اعتراض ، بكل شىء من جانب المواطنين ، شأنهم فى ذلك شأن الأغنام — فإننى أتنبأ بمستقبل عسير للولايات المتحدة الأمريكية . إذليس فى مقدور أمة عظيمة أن تبقى طويلا قائمة على أساس مقلقل زلق من خداع النفس والمعلومات الخاطئة .

(١) ( الصحافة ) هنا تشمل الصحف ، والتلفزيون ، والإذاعة ، والمجلات ، وغيرها من وسائل الإعلام .

— ٤ —

## مالم يذكر عن كوريا

أدت أربعة عشر عاما من جهل أمريكا بكوريا ، وبشعبها ، وبأرضها وبحكومتها ، وبتقاليدها ، وبلغتها ، وقبل كل شيء ، برجلها الأول ، سنجمان رى ، أدت بلا هوادة إلى قيام ثورة أجبرت رى الذى يتمتع بتأييد أمريكا إلى الفرار فى النهاية من البلاد . وقد هللت الدعاية الشيوعية بأن الجماهير قد أطاحت للمرة الثانية بأحد الطغاة الذين تؤيدهم أمريكا .

أدت الحقائق الجارية فى كوريا — التى خفيت بادىء الأمر على موظفينا المدنيين ، وعلى رجالنا العسكريين ، وعلى صحافتنا ، ( والتى لم تصلنا قط ) أدت بنا إلى أن نساند حكومة فاسدة ، جائرة ، حتى وقع المحظور .

ولكى تتفهم ما حدث ، يجدر بك أن تعرف الكثير مما لم توضحه لنا صحفنا أو حكومتنا .

كنت فى كوريا فى فصل الشتاء ، ترتجف أوصالى ، وتصطك أسنانى ، وتؤلمنى خياشيمى من شدة البرد ، ولا أكاد أحس بأصابع يدى وقدمى . وقد شاهدت نساء كوريات متقدمات فى العمر ، وهن يتئدن فى مشيتهن على الثلوج ، ينتعلن خفافا رقيقة كأنها خفاف الباليه ورغم أن بلادهن كانت تعانى ويلات الحرب ، وقراهن قد ضربت بالقنابل ، وخزاناتهن خاوية من الطعام ، وملابسهن لا تكاد تسترهن ، والجو قارس البرودة ، إلا أنهن كن يسرن مبتهجات الأسارير ، منتصبات القامة ، موردات الخدود ـ وهن يأبين ألا يعترفن بأن كل شيء ليس على ما يرام بينهن وبين العالم .

يمتاز الكوريون بأنهم صلاب العود ، فلديهم القدرة على تحمل المشاق والمتاعب دون كلل ، ودون جزع أو ضجيج . وهم يبدون فى نظر الغربى فى بعض الأحيان أن أعصابهم فى غاية القوة والجبروت .

كنت ذات مرة فى سيول Seoul حينما قبض على لص وهو يسرق سروالا من عربة جيش . ولما جيء بالمذنب أمام القاضى الكورى ، طلب منه أن يعترف . ولكنه احتج بأنه برىء . وأخذ القاضى يأمر بأن تكسر أصابع اللص واحداً فى إثر آخر حتى يحمله على الاعتراف . ولكن اللص لم يعترف قط ، واستسلم للألم المبرح الذى سببه له تشويه جسمه ، دون أن تبدر منه أنة أو يبدو عليه التذمر .

هؤلاء الكوريون قوم من العتاة . وقد تكون طبيعة بلادهم الوعرة وطبيعة مناخهم هى التى غرست فيهم هذه الصفة . إذ لم تستطع حتى أربعون عاما من الاستعمار اليابانى الغاشم أن تذل نفوسهم . فقد انتشرت المنظمات الثورية السرية فى هدوء ، وتقدمت الآداب والفنون والثقافة الكورية بطريقة ما رغم قسوة اليابانيين .

إن الكوريين خبراء . بل أكثر من هذا ، فنانون فى العيش والبقاء فى ظروف قاسية . ولذا فهم يعدون إذا اقتضتهم الضرورة ، من بين أكفأ لصوص العالم . فلا ينجو جيب مهما أحكم زراره ، أو مستودع أحكم رتاجه ، من أصابعهم الخفيفة وروح المخاطرة التى يتسمون بها . وجيش الولايات المتحدة خير شهيد على ذلك .

هؤلاء هم الكوريون ، اثنان وثلاثون مليونا من العتاة ، الأشداء ، المشاكسين ، المجازفين . بشرتهم فى لون الجلد الذى أحسن دبغه ، وأرواحهم مثل براميل صغيرة قد شدت إلى فتيل قصير يصعب التنبؤ بمكانه .

وهذا هو أيضا ، سنجمان رى — العجوز الذى كان يمنى النفس بإقامة كوريا متحدة مستقلة ينصب نفسه رئيساً لها . لا تنسى هذه الجملة الأخيرة . ينصب نفسه رئيساً لها .

استمع إلى الدكتور رى ، دمثاً ، مقنعاً ، وديعاً حين يتحدث عن أمانيه — وهو يعلم أن كل إنسان يعيره آذانا صاغية ، ويرنو إليه فى إعجاب . ثم إذا ما عارضه أحد ، سرعان ما تتقلص عضلات فكه ، وينفغر فوه الواسع كأنه فخ من الفولاذ ، ومن ثم تنهال منه سيول من الاتهامات اللاذعة .

فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥ تجمهر الآلاف من الكوريين فى شوارع مدن كوريا الجنوبية وهم يهتفون ، ويصرخون مهللين ، يلوحون بالرايات ، ويضرب بعضهم على ظهور بعض ، ويرقصون . عاش الكوريون الذين حاق بهم الظلم أربعين سنة فى انتظار هذه اللحظة التى جاءت فى ذلك اليوم . فقد وصل جيش الولايات المتحدة بقيادة الجنرال هودج Hodge ( وكان الجيش الروسى قد احتـــل كوريا الشمالية قبل ذلك بثلاثة أسابيع ، دون سابق إنذار كما فعلنا تماماً ) لكى يتقبل استسلام اليابانيين ، ولكى يقيم حكومة عسكرية . مؤقتة تعاون الدولة فى محنتها حتى تخف وطأة الفوضى والفتن التى اقترنت بالحرب والآن سوف يطرد أخيراً ، المستعمرون والمستغلون اليابانيون ، وسوف تصبح كوريا التى كانت وحدة مترابطة تجمعها لغة واحدة وجنس واحد وثقافة واحدة ، منذ ألف وثلاثمائة عام ، سوف تصبح حرة مستقلة مرة أخرى .

وتجمهر الكوريون السعداء ، الذين أضناهم الجوع ، حول المبانى الحكومية الفسيحة حيث كان اليابانيون المبغضون يعيشون ويعملون . سوف تمتلىء هذه المبانى بالمواطنين الكوريين فى القريب العاجل . وكانت الحشود الكورية تريد فى بعض الحالات أن تجر الموظفين اليابانيين إلى الخارج ؛ بيد أن وجود الجيش اليابانى — على الرغم من أن اليابان كانت قد سلمت — أثناهم

عن استخدام مثل هذا العنف . ثم كان هناك أيضاً شعور سائد بأن الجنرال هودج سوف يسوى مثل هذه الأمور فى عزم وإصرار .

وكان أمام هودج ، وهو ضابط بارع نشط ، آلاف من المهام المدنية المعقدة ، عليه أن ينجزها فى الحال : الشروع فى تدبير نظام للتموين ، وإقامة حكومة محلية ، وتشجيع قيام تنظيم سياسى كورى ثابت غير شيوعى ، وإصدار قوانين بشأن صيد السمك ، وإعادة اليابانيين إلى وطنهم ، وتعيين موظفين يتسلمون زمام الأمور من اليابانيين ، وإعادة تشييد محطات القوى ، والتخلص من القاذورات ، ومد المياه ، وإعادة تأسيس النظم المدرسية ، وبدء العناية الطبية — وغيرها من المهام اللازمة لدولة قوامها عدة ملايين من الناس .

كان من الواجب القيام بكل هذه الأعمال على وجه السرعة . وكان الطقس البارد على الأبواب ، ولم تكن كوريا مهيئة لاستقبال الشتاء أو مواجهة مستقبلها السياسى . كانت الفوضى الاقتصادية والإدارية قد شلت حركتها مؤقتاً .

وكان عدد كبير من زعماء كوريا الجنوبية وجماعاتها السياسية يحتالون من أجل الاستيلاء على السلطة . ولم يكن يعرف أحد فى الواقع كيف يميز بين المبادىء التى كان يعتنقها هؤلاء الزعماء . أما فى كوريا الشمالية ، فقد كان الروس المنهمكون ، يعاونهم آلاف من الشيوعيين الكوريين المتمرسين ، جادين فى إشاعة الفوضى وعرقلة جهود الأمريكيين فى الجنوب .

كان من الضرورى إقامة نواة للحكم - وبصفة عاجلة ، بيد أن ضباط الجنرال هودج لم يكونوا مهيئين لتسلم زمام الأمور فى الوظائف الإدارية . فما من أحد منهم كان لديه إلمام باللغة الكورية أو بالطابع القومى ما يحتاج إليه . ولم ترسم حكومة الولايات المتحدة مخططات لاحتلال كوريا .

ولم يكن هناك سوى هيئة عاملة واحدة معترف بها ، قوامها قدامى الموظفين اليابانيين الممتهنين ، ولذلك لم يجد هودج بدا من استخدام هؤلاء الموظفين بصفة

مؤقتة ، حتى يسير دولاب العمل ، لعدم توفر عناصر كورية تتوفر فيها الكفاية وتكون محلا لثقة . وكان فى هذا أكبر إساءة للكوريين ، فى مثل هذه الفترة العاطفية الملتهبة من تاريخ كوريا . ذلك أنه حينما سمع الكوريون بأن الجنرال هودج أمر بمواصلة استخدام الموظفين اليابانيين ، كادوا يخرجون عن طورهم . هل كان الأمريكيون يخدعونهم ؟ .

ساد التوتر والانفعال إذن منذ البداية بين الأمريكيين وزعماء المستقبل الكوريين . ووقف الجنرال هودج ، بناء على أوامر صادرة من مكارثر Mac Arthur ، بمنأى عن القلة التى حاولت أن تنظم الحكومة .

وفى هذا الوقت بالذات ـ عقب احتلال الكتيبة الرابعة والعشرون الأمريكية لكوريا بخمسة أسابيع فقط ـ وصل سنجمان رى إلى سيول . فأخذ يستنشق هواء أكتوبر البارد فى انفعال كبير . وكان يبلغ من العمر سبعين عاما ، وعاش فى أمريكا حوالى نصف قرن ، وهو يتآمر بدافع من حب وطنه والإخلاص له ، ويحلم باليوم الذى يستطيع فيه أن يحرر كوريا ويصبح رئيس دولة . وها هى الفرصة قد حانت الآن وأكد صحة اعتقاد رى الشعب المتحمس الذى أخذ يهتف خارج الفندق الذى كان ينزل فيه ( بعد أن أذاع الجيش الأمريكى نبأ وصوله على الملأ ) ـ بأن سنجمان رى هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يتزعم كوريا فى هذه الحقبة المجيدة ، وإن كانت عصيبة .

ولم يضيع رى موقتا ، فشمر عن ساعد الجد . وكان أول عمل له هو أن يكسب تأييد الأمريكيين . فقام بزيارة القواد الأمريكيين . ولما كان يتحدث الانجليزية بطلاقة ، فقد أنبأهم بأنه يحمل درجة الدكتوراه من برنستن Princeton ؛ وادعى أنه كان صديقا لوودرو ويلسن Woodrow Wilson . وكان من الطبيعى أن يسر رجال الإدارة الأمريكية الذين أخذ منهم الضجر كل مأخذ ، بلقاء أى كورى آت من الغرب ، فى هذا البلد الغريب ؛ فأعاروه أذنا صاغية . وتمكن رى من تدعيم مركزه عن طريق الإيعاز بأن الزعماء الكوريين الآخرين ذوو ميول شيوعية . وأصبح التخويف بالشبح الشيوعى ذريعته الدائمة

للاستيلاء على السلطة ـ والاحتفاظ بها ، إبان حياته العملية كلها . وكان جيش الولايات المتحدة ، فى هذه الأثناء ، يمنحه امتيازات يحرم منها غيره من الزعماء . فكان مصرحا له باستخدام محطة إذاعة الجيش ، وكانت توضع إحدى العربات « الليموزين » تحت تصرفه ، كما كان الجنود الأمريكيون يحرسونه أربعا وعشرين ساعة يوميا . وعلى ذلك لم يكن من المحتمل أن يستولى على السلطة بدون مساعدة الولايات المتحدة .

أصبح رى سنة ١٩٤٨ أول رئيس للجمهورية الكورية . وكانت وزارته تتألف من أخدانه[1] ؛ وقد لاحظت اللجنة المؤقتة التابعة للأمم المتحدة أن « الأشخاص الذين عينوا فى الوزارة يتعرضون لنقد واسع النطاق ، ويسود الشعور بأن الرئيس قد أخفق فى أن يفيد فائدة كاملة من خير الكفايات الموجودة » . ولكن رى لم يعر هذا القول أى انتباه . فقد زعم أنه ، ولا أحد سواه ، يعرف ماهو فى صالح كوريا .

وبدأ رى خلال السنتين الأوليين من حكمه فى كوريا ـ حينما قويت شوكته ـ يعامل الأمريكيين ، الذين أحسنوا إليه ، فى ترفع . ذلك أنه لم يقتصر على إثارة النفوس من أجل المطالبة بانسحاب قوات الولايات المتحدة العسكرية فحسب ، ولكنه أحرج القائد الأمريكى ، الجنرال هودج ، باتهامه علانية بأنه يعمل على تأسيس « الحزب الشيوعى » . وقام كذلك بنشر الحكايات الملفقة ـ مثل بيانه عن عزم وزارة الخارجية الأمريكية على إجراء انتخابات تقتصر على كوريا الجنوبية ـ متخلية بهذا عن فكرة توحيدها ، على حين أن وزارة الخارجية لم تبرم مثل هذا الاتفاق ، ولم يصدر عنها مثل هذا التصريح .

وكان يبدو جليا أنه على الرغم من أن رى كان فى حاجة إلى عون الولايات المتحدة الاقتصادى ، والعسكرى ، والسياسى ، إلا أنه كان لايزال يستخدم أمريكا ، سواء رضيت أم لم ترض ، مطية يصل بها إلى أغراضه .

---

(١) الخدن : الصديق الحميم .

وكان يلوح أن الأمريكيين لا يبدون أى اعتراض ؛ فقد احتملوا ثرثرته وتصرفاته الجائرة فى إذعان ورضوخ . وهكذا أخذ ري يزداد طغيانا كلما استبدت به شهوة السلطان ؛ وفى هذه الأثناء - رغم أنه لم يمر سوى عام واحد على توليه منصب الرئاسة - كان اهتمامه الذى يوليه لإدارة كوريا يقل شيئا فشيئا . وفى هذا الصدد يقول ريتشارد س . آلن Richard C.Allen فى كتابه ، « كوريا تحت حكم سنجمان رى Korea's Syngman Rhee » فى المجلس الذى تتنازع فيه الأحزاب ، كانت هناك جماعات متعددة تعمل لحساب مصالح أصحاب الأراضى والمناجم ، ولكن ما من شخص واحد على وجه التقريب كان يعمل لمصلحة كوريا كلها . كان الموظفون فى جميع الأجهزة الحكومية يلجئون إلى الوسائل العتيقة فى سد النقص فى مرتباتهم الهزيلة عن طريق الرشاوى » . أما هؤلاء الذين كانوا يبدون أى اعتراض فكانت حكومة رى تسىء معاملتهم . إذ أن هذه التصرفات لم ترق فى نظر الوطنيين الغيوريين من الكوريين . وقد اغتيل أحد هؤلاء ، ويدعى كيم كو Kim Koo لأنه جاهر برايه . وأنكر رى أنه قام بأى دور فى هذه الجريمة . ومهما يكن من أمر ، فإن القاتل ، وهو الليفتنانت آن تو - هى An To-hi لم يقض سوى ثلاث سنوات فى السجن لارتكابه هذه الجريمة ؛ وبدا الأمر غريبا حقا ، خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن الجرائم السياسية التى كانت أقل شناعة من هذه الجريمة كانت تصدر فيها أحكام أشد صرامة ، غالبا ما كانت تصل إلى الحكم بالإعدام .

وبمرور الوقت ، وفى غمار الحرب الكورية ، كان الرجل العجوز يمعن فى اضطهاد كل من يعارض آراءه ، ويتهم الخارجين عليه بأنهم شيوعيون ، ويعتبر كل من يخالفه الرأى خائناً ( على أقل تقدير ) . وقد كان رى يطمئن بنفسه إلى أنهم كانوا يعاملون جميعاً على هذا الاعتبار . كما كانت هناك حركة اعتقالات واسعة ، وتعذيب بالجملة ، وأحكام متعددة بالإعدام .

وعلى كل فقد كان مخلصاً متسامحاً مع هؤلاء الذين كانوا يتفقون معه فى الرأى ، ولم يكن يتجشم حتى عناء مراجعة تصرفات ذوى الحظوة لديه . وإليك مثلا واقعة

كتائب الدفاع الوطنى . ذلك أنه حينما اخترق الشيوعيون خط عرض ٣٨ وقاموا بغزو كوريا الجنوبية ، أرسلت كتائب الدفاع الوطنى للتصدى لهم . وأبلت هذه الكتائب بلاء حسناً ، ولكنها هزمت هزيمة منكرة . وعاد هؤلاء الذين قدر لهم البقاء ، والذين استطاعوا أن يجدوا طريقهم إلى الجنوب ، وقد نال منهم التعب كل منال ، عادوا ليقصوا حكايات مذهلة . لقد خاضوا غمار المعركة بكمية غير كافية من البنادق والعتاد . لم يكن لديهم ما يقتاتون به ، وأسفر التحقيق عن فضيحة مخزية . لقد دس قائدكتائب الدفاع الوطنى الأموال المخصصة لتموين القوات فى جيبه . وكان اللص الكبير زوج ابنة وزير الدفاع فى وزارة سنجمان رى .

والغريب أنه أثناء كل هذا الجور ، والطغيان ، والاختلاسات ، كانت تزداد شهرة رى ذيوعاً فى الولايات المتحدة على أنه مكافح ومناوىء للشيوعية ، على حين أن الحقائق التى كانت كفيلة بالنيل من شهرته ظلت طى الكتمان . كان يعرف باسم الرجل العجوز العظيم ، المقاتل الصنديد فى سبيل الحرية ، عضد أمريكا فى الشرق .

وفى ربيع سنة ١٩٥٢ ، كانت الغالبية العظمى من أعضاء المجلس الكورى تعارض رى ؛ وكان المجلس هو الذى يتولى انتخاب رئيس الجمهورية بحكم القانون . ولذلك اقترح رى الذى كان يرغب فى البقاء فى منصبه مدة أخرى ، أن يعدل الدستور بحيث يتم انتخاب الرئيس عن طريق الاقتراع العام . وكان السر فى ذلك بسيطا ؛ إذ كان رى على يقين من أن منظمته تستطيع أن تتحكم فى اقتراع شعبي — خاصة وأن حوالى ٧٥ ٪ من الأصوات تصدر عن مناطق ريفية نائية . ولكنه لا يستطيع أن يتحكم فى أعضاء المجلس المناوئين .

وحينما اعترض أعضاء المجلس على ذلك ، عاود رى اتهامه بأنهم عملاء شيوعيون . ثم أخذ يقلق راحتهم ، فقبض على بعض الأعضاء ( الذين يعدون بمثابة رجال الكونجرس فى الولايات المتحدة ) ، كما هوجمت منازل البعض

الآخر وفتشت . وظل يواصل هذه الإساءات حتى سلم أعضاء المجلس الذين خارت قواهم ، وأقروا التعديل .

وحينما جاء أوان المعركة الانتخابية الفعلية سنة ١٩٥٢ ، أطلق الرصاص على منافس رى ، شوبونج - آم Cho Bong-am ، وهاجمه أفراد حزب رى العتاة ، وضيق البوليس عليه الخناق . وهكذا عجز عن القيام بحملة انتخابية بصفته مرشحاً لانتخابات رئاسة الجمهورية . وقضى الأسبوعين السابقين للانتخابات متوارياً عن الأنظار . ورغم ذلك ، فقد لجأ رجال رى في الانتخابات ، التى أجريت فى مراكز علنية ، إلى الإرهاب لكى يضمنوا فوزه فى هذه الانتخابات .

لم تقف غطرسة رى عند حد . ففى ربيع سنة ١٩٥٣ كانت تسعى الولايات المتحدة إلى إنهاء مفاوضات الهدنة الخاصة بالحرب الكورية . ولكن رى عارض فى ذلك . لم يكن يرغب فى أن تنتهى الحرب ؛ إذ كان قد استقر عزمه على أن يحكم كوريا كلها . وبذل كل ما فى وسعه لكى يعترض سبيل مفاوضات الهدنة ؛ وأراد بدلا من ذلك ، أن يزحف شمالا ويحتل كوريا الشمالية . وعارضت الأمم المتحدة ، وهى واثقة من أن مهمتها قد أنجزت . فقد طرد المعتدون الشيوعيون من كوريا الجنوبية ؛ وكانت ترى أنه ليس من واجبها أن تكون وسيلة لبسط نفوذ رى . وتجهمت أسارير رى ، بينما كانت مفاوضات الصلح تسير قدماً . ولما بدا أن معاهدة الهدنة سوف يتم التوقيع عليها ، ولم يبق إلا تسوية مسألة تبادل الأسرى ( سحب رى البساط من تحت قدمى الأمم المتحدة ) . ففى ١٨ يونية ، قام رى بإطلاق سراح أسرى كوريا الشمالية من تلقاء نفسه دون الرجوع إلى الأمم المتحدة . أفرج عن ٢٦ ألف أسير من أسرى الحرب ؛ لكى يجوسوا خلال كوريا الجنوبية ، وكان المفروض أن تقوم لجنة محايدة باستجواب هؤلاء الرجال لمعرفة ما إذا كانوا يرغبون فى العودة إلى وطنهم فى كوريا الشمالية .

وقطع الشيوعيون فى بانمجنجوم Panmunjom المفاوضات فى الحال . واستمرت الحرب ، وقتل الآلاف من الأمريكيين دون أى داع .

وأخيراً وقعت معاهدة الهدنة — رغم اعتراض رى — وبدأت عملية إعادة بناء كوريا وأنفقت ملايين الدولارات الأمريكية ( بلغت ٢½ بليوناً ) فى إنشاء المصانع والشركات التى كان يدير معظمها أصدقاء مقربون إلى سنجمان رى . واستطاع معظمهم أن يثروا ثراء عريضاً .

واستشرى الفساد فى كل شىء تقريبا فى كوريا ، بما فى ذلك الأمريكيين السذج . وكان أوضح الأمثلة على ذلك قيام السوق السوداء التى كانت وصمة فى جبين كل من الولايات المتحدة وكوريا على السواء . وكان الآلاف من الأمريكيين المقيمين هناك على علم بهذا الوضع ، بيد أنهم لم يبذلوا أى جهد فى سبيل تصحيحه . فلم ينج أى مستودع أمريكى أو مخزن للمعونة الأمريكية من الاختلاس . وكانت سرقة مؤن ومهمات حكومة الولايات المتحدة وبيعها تعدان من قبيل الأعمال الروتينية مثل تناول طعام الإفطار تماما . وقد سمعت أحد الحراس الكوريين يقول أثناء عملية إنزال بعض العتاد الأمريكى : « أنعشم ألا يحضروا مزيدا من هذه الأشياء إلى البلاد . فالسوق السوداء مكتظة بها » .

ومنذ بضع سنوات تلقى جيش الولايات المتحدة شحنة من سيارات الچيب من طراز جديد فى سيول . وكانت هذه السيارات تعد من أحدث المهات التى وصلت ، ومن ثم أودعت إحدى مخازن الجيش التى يحرسها حراس مدججون بالسلاح .

وبعد ذلك ببضع شهور قام البوليس الحربى الأمريكى بمراجعة عدد السيارات التى فى شوارع سيول - وهى مراجعة روتينية - فوجدوا حوالى خمس وعشرين سيارة من سيارات الچيب ذات الطراز الجديد - التى كان مفروضا فيها أنها مودعة فى مخزن مغلق . وكانت هذه السيارات قد تحولت إلى سيارات مدنية يسوقها

سائقون كوريون ولما كانت النتيجة المنطقية التى وصل إليها البوليس الحربى هى أن السيارات قد سرقت ، فقد قام باحتجازها .

وفى الصباح التالى أرسلت وزارة الخارجية الكورية ممثلين لها إلى سفارة الولايات المتحدة؛ لكى يقدموا شكوى بشأن مصادرة السيارات الچيب ، إذ أصبح معظم هذه السيارات التى سرقت وبدلت معالمها ملكا خاصا من كبار الموظفين الكوريين ، بما فيهم أعضاء وزارة سنجمان رى . وهم يرغبون فى استرداد السيارات الچيب المسروقة بصرف النظر عن مصدرها الأصلى .

وانحنت السفارة أمام دفع وزارة الخارجية الكورية التهمة بتهمة مثلها ، متخطية بذلك اعتراض جيش الولايات المتحدة . وصدرت الأوامر إلى الجيش ، من باب اللياقة السياسية ، بأن يعيد العربات إلى الكوريين الذين كانوا قد سرقوها . ذلك أن السفارة لم يكن بودها أن تغضب « الرجل العجوز » . وانتهى الأمر عند هذا الحد .

ولقد قال لى ضابط من الجيش برتبة ميجور : « إن الكورى الذى لايسرق منا يعد مخبولا » .

وفى سنة ١٩٥٥ ، أدت الحملات والتهديدات التى قام بها سنجمان رى ضد الشيوعية إلى كسب تأييد ممثلى أمريكا تأييدا تاما ، واستطاع أن يظفر منهم بمعظم الأشياء التى كان يريدها . وتغاضى المسئولون الأمريكيون عن السوق السوداء ، والإرهاب ، والاحتيال السياسى ، والفساد . وفى أغسطس من تلك السنة رفع رى قيمة الضرائب المفروضة على رجال الأعمال الأجانب فى كوريا . وكان قانونا قاسيا ، جعله رى ذا أثر رجعى . وفى غمار الضجة التى قامت على أثر صدور هذا القانون ، حاولت السفارة الأمريكية أن تقوم بدور الوسيط . فاستشاط رى غضبا ، ورغم أنه سلم بشأن النص الخاص بالأثر الرجعى ، إلا أنه اتخذ

من السفير كبشا للفداء ، فقد استدعى بعد ذلك السفير ليسى Lacy ، الذى حاول أن يناقش الأمر مع رى .

وعلى الرغم من أن الناس توهموا أن الصحافة الحرة اشتركت فى مناقشة القانون ، إلا أنها فى الواقع لم تشترك اشتراكا فعليا فيما يختص بنقده . وحينما هاجمت صحيفة ميل Mail التى تصدر فى تايجو Taegu سياسة رى ، ظهر بعض المأجورين عند مبنى الصحيفة وقاموا بتدميره .

وكلما ازداد رى سطوة ، كلما استبد به جنون العظمة . وفى أثناء الانتخابات التى أجريت سنة ١٩٥٦ ، انطفأت الأنوار فى مراكز فرز الأصوات أثناء عملية الفرز . واختفت صناديق الانتخاب بطريقة غامضة . حينئذ كانت شعبية رى لدى الجمهور قد تضاءلت لدرجة أنه أحس بضرورة اتباع وسائل الغش والاحتيال ، حتى على الرغم من موت منافسه ـ الذى عاجلته المنية قبيل الانتخاب .

ومع ذلك ، فقد حصل الرجل المتوفى على عدد لابأس به من الأصوات .

ورغم كل الجهود التى بذلها رى ، فقد ارتفع منسوب الغضب لدى الجمهور لدرجة أن مرشح المعارضة لتولى منصب نائب رئيس الجمهورية فاز فى الانتخابات . ولكن هذا لم يعن أن مستر شانج Chang سوف يصبح نائبا فعليا للرئيس . فقد تولت أمره حكومة رى . ذلك أن أحد أتباع رى أطلق عليه الرصاص فى سبتمبر . ومن ثم قضى على نائب الرئيس بالعزل ، يحيط بيته حراس مدججون بالسلاح . ولما كان الحراس معينين من قبل الحكومة ، فلم يكن يدرى أحد ما إذا كان هؤلاء الحراس قد عينوا هناك لمنع الدخول إلى منزل نائب الرئيس أو الخروج منه .

وفى خلال الأربع السنوات التالية أخذ الشعب الكورى يزداد سخطا على الأحوال . واشتم رى رائحة السخط المتزايد ، فاتخذ خطوات كفيلة بقمعه ، وكان ذلك قبل انتخابات سنة ١٩٦٠ ببضعة شهور ؛ إذ قدم إلى المجلس مجموعة

جديدة من القوانين أطلق عليها «القوانين المناهضة للشيوعية» ، وجعل الإعدام عقوبة لانتهاك عدد كبير من هذه القوانين . ولما كان أى شيء يعترض سبيل رى يعد متعلقا بالشيوعية ، فقد بات من الواضح أن رى يعد العدة للتلاعب بالانتخابات المقبلة[1] . ولما اعترض رجال المعارضة فى المجلس على مشروعات القوانين المقترحة ، حملوا إلى خارج المجلس وحبسوا فى مكان ما . ومن ثم سنت القوانين الجديدة أثناء غيابهم .

إن أى مراقب أتحيت له فرصة استطلاع الأمور فى كوريا يعرف أن الكوريين المحبين للحرية ظلوا عشر سنوات يتململون من جراء الوسائل الهتلرية التى كانت تستخدمها حكومة رى . وحتى إذا ماعدنا إلى الوراء فى سنة ١٩٥٢ ، فإننا نجد أن إعادة انتخابه قد تمت بوسائل لاتتوفر فيها النزاهة . وفى سنة ١٩٥٨ أصبح البوليس الكورى من الفظاظة والشراسة بحيث لم يصبح أى شخص من الأشخاص يأمن من الاعتقال السياسى والإيذاء البدنى .

ولقد كنت فى زيارة قصيرة لكوريا فى ذلك الوقت . وكان كل كورى أتحدث إليه ـ وجلهم من الأساتذة والطلبة ورجال الصحافة ـ يخبرنى بأنه ينبغى طرد حزب رى من الحكم ؛ وأن الشعب لايستطيع احتمال الظلم أكثر من ذلك . ثم يقولون : « ولكنه طاغية ، لالشيء إلا لأن أمريكا تؤيده فى كل ما يحلو له » .

وكانت انتخابات سنة ١٩٦٠ لها نفس الطابع المعوج الذى تميزت به الانتخابات السالفة . فغالبا ما كان يعتدى بالضرب على كل من يعمل ضد إعادة انتخاب رى . وكان يلقى بالقائمين بحملة المعارضة فى غياهب السجون .

---

(١) فى هذه الآونة تقريبا قامت منظمة وطنية أمريكية « مؤسسة الحريات Freedoms Foundation » ، بمنح رى « وسام الحريات » كما منحت أوسمة مشابهة لشان كاى ـ شيك ، ونجو دين ديم Ngo Dhin Diem !.

كما كان الناس يهددون بأن «كتائب الشباب المناهضة للشيوعية» سوف تراقبهم أثناء اقتراعهم .

كانت مراجل العنف تغلى أثناء الانتخابات التى أجريت سنة ١٩٦٠ . وعلى أية حال ، لم تكن هناك مشكلة فى إعادة انتخابات رى ، فقد كانت هذه ثانى مرة يصطدم فيها برجل ميت . ولكن حينما هزم نائب الرئيس چون شانج ، الذى كان موضع إعجاب كبير ، هزيمة ساحقة ، أمام مرشح رى الذى لم يكن يحظى بتأييد شعبى — انفجر الشعب الكورى . إذ كان على يقين من أن عملية فرز الأصوات كانت غشاً وخداعاً — الأمر الذى ثبتت صحته فيما بعد . كانت الصناديق تحشى بالجملة (وتفرغ بالجملة كذلك) . وكانت أربعين فى المائة من تذاكر انتخاب رى مزورة .

لقد سئم الشعب بما فيه الكفاية . فطفق الشبان يتظاهرون . وحينما عثر على جثة طالب ملقاة فى الخليج ، كان قد قتله البوليس وشوه جثته ، طفح كيل الغضب فقامت المظاهرات فى جميع أنحاء كوريا ووضع رى وزر إثارة الشعب على عاتق الشيوعيون ؛ فقال إنهم هم الذين دبروا أمر كل هذا التآمر .

وكانت مظاهرات الطلبة إيذاناً بانفجار الشقاء الذى ظل مكبوتاً أمداً طويلا . فعقدت اجتماعات الاستنكار ، وخربت أقسام البوليس ، وحرقت مكاتب الحكومة ، فى معظم البلدان الكبيرة . فاستخدم البوليس الغازات المسيلة للدموع ، وأطلق فى بعض الحالات ، رصاص بنادقه على الجموع المتظاهرة . بيد أن غضب الأمة استولى على زمام الموقف فى النهاية .

فى هذا الوقت بالذات طرد الشعب الكورى رى وزمرته من الحكم . وفى هذا الوقت فقط — بعد أن أسقط الكوريون العزل الطاغية بأيديهم — أخذت أمريكا توجه إليه اللوم . لقد جاء هذا العمل متأخراً من جانبنا عشر سنوات . فنحن الذين ولیناه مقاليد السلطة وأعطيناه كل ما يحتاج للقبض على زمامه .

لقد تعرض الكوريون لطغيان دام ثلاث عشرة سنة ؛ ثم طهروا أنفسهم منه آخر الأمر وكان الشبان العزل من السلاح وحدهم هم الذين قاموا بعملية

التطهير — حتى رغم سقوط عدد كبير من الصرعى والجرحى أثناء المحاولة . هذه الوطنية نفهمها ونصفق لها . ولكن مالانفهمه هو الغفلة ، والجبن الذى لانهاية له ، وحجز الأنباء الخاصة بكوريا أمداً طويلا من جانب الولايات المتحدة . أما العذر الذى يبديه دبلوماسيونا فهو أننا لانستطيع أن نتدخل فى شئون كوريا الداخلية . مثل هذا التبرير يعد لغواً باطلا . فإننا ناصرنا كوريا بدماء جنودنا وبأموال من خزينتنا تزيد عن الأموال التى كانت من نصيب أية دولة أخرى . فلنا الحق إذن فى التدخل . ولكن لما كان رى خصما عنيداً للشيوعية ( وهو واحد من رفاقنا القلائل المناهضين للشيوعية ) فقد مرغنا وجوهنا فى التراب أمام مطالبه ، وحججه الزائفة ، ونوبات مزاجه الحاد . وكان المسئولون منا ، فى غمار جهلهم بالحقائق ، يصدقونه لمجرد أنه ( رى العظيم ) .

وقد أدت التصريحات التى أدلى بها المسئولون فى الولايات المتحدة ، والمدح الذى كالته المقالات الرئيسية فى الصحف الأمريكية إلى تشويه الصورة الحقيقية ( للرجل العجوز ) تشويها يكاد يكون تاماً .

يبين التاريخ أن رى كان سياسياً عملياً ؛ أى أنه يستطيع أن يرضخ حينما ترغمه الظروف . ولما كنا عضده الوحيد ، فلماذا — على فرض أننا كنا فى حاجة إليه — لم نضغط عليه من أجل القيام بتطهير بيته ، وإرساء قواعد الديمقراطية التى كان ينادى بها شخصياً ؟

لقد أخفقت أمريكا فى هذا .

وكل ما كان يحتاجه الأمر هو الحقائق ، والشجاعة ، وحسن الإدراك . ولكننا طرحنا هذه الصفات كلها جانباً . لم نعلم بما كان يجرى من أحداث ، تماماً كما لم نعلم بما كان يجرى فى ميادين إخفاقنا الأخرى فى لاوس ، والصين ، وتركيا ، وكوبا ، وشيلى ، وبوليفيا ، وأندونيسيا ، وفيتنام ، وفى إيران والعراق .

## البَمْرَج[1] فى برنامج الطلبة الأجانب

قد يكون الشيوخ أكثر الدبلوماسيين حنكة ، بيد أن الشباب هو الذى يغير وجه العالم . فالشبان هم الذين تخلصوا فى النهاية من الطاغية سنجمان رى فى كوريا . وفى كوبا التى كان قد حل بها الخراب والفساد ، كان عماد الثورة التى قضت على باتيستا Batista شبانا فى مستهل العقد الثانى من عمرهم ( ومنهم عدد كبير لم يدر دبلوماسيونا بوجودهم ) . وحينما قذف نيكسون نائب الرئيس بالحجارة ، وبصق على وجهه فى أمريكا الجنوبية ، كانت الحجارة والبصاق آتية من أيدى وأفواه شبان جامعيين غاضبين .

وفى اليابان ، أشعل الطلاب الذين كانوا يقاتلون فى سبيل فكرتهم عن الديمقراطية نار المظاهرات التى حالت بين الرئيس إيزنهاور وبين زيارته لطوكيو .

وقام الشبان المراهقون بطرد رئيس وزراء تركيا الفاسد الذى كانت تؤيده أمريكا بدبلوماسيتها وأموالها . كما قاد الثورة الناجحة فى أندونيسيا شبان لم يمر وقت طويل على تخرجهم من معاهدهم .

والحقيقة أن معظم الفشل الذى باءت به سياسة أمريكا مؤخرا فى جميع أنحاء العالم يرجع إلى حد كبير إلى سخط الشبان ونشاطهم ، هذه الحقيقة تصل بالإنسان إلى استنتاج لا محيص عنه ؛ وهو أن المسئولين فى الولايات المتحدة يهتمون بالشيوخ ،

---

(١) يقابل لفظ Boomerang فى الانجليزية ، وهو سلاح استرالى خشبى قديم يرتد إلى حيث رمى . وهذا اللفظ يدل هنا على إتيان الشيء بعكس المرجو منه . ( المترجم )

زعماء الأوضاع القديمة فى الدول الأجنبية أكثر مما ينبغى ؛ وهم إلى ذلك تنقصهم المعلومات الصحيحة ، والاهتمام الكافى بأمانى الجيل الجديد وفعاله . وهنا نجد أن الافتقار إلى المعلومات (لاإلى الأموال أو النوايا الطيبة ) هى التى تحبط مساعينا .

أما الشيوعيون فهم أكثر واقعية منا . فقد توفروا على دراسة ماتصبو إليه حركات الشباب وإمكانياتها ، وقاموا باستغلالها إلى أقصى حد ممكن . ففى جميع أنحاء كمبوديا ، ولاوس ، وفيتنام ، وبورما ، وتايلاند ، وأندونيسيا يجوس شيوعيون ذوو بأس شديد خلال الديار منذ سنوات ، ويقومون بزيارة المدن الصغيرة . وهناك اتخذوا من الحكام المحليين أصدقاء ؛ ثم تعرفوا عن طريقهم على أكثر شبان المنطقة تبرما وأوفرهم ذكاء وفطنة . ثم بعد ذلك تقدم لهؤلاء الشبان الذين ينتمون إلى القطاعات الريفية — وغالبا ما يكونون أميين — منح علمية سخية فى مدارس الصين وروسيا .

تحدثت فى تايلاند إلى طالبين قالا : إنهما التحقا « بكلية الشعب الأحمر Red People's College » فى « مقاطعة يونان Yunnan Province » ، فأخبرانى أن الطريقة المتبعة هو أنه فى البداية يقيد طالب واحد من كل مقاطعة ؛ ثم يقيد بعد ذلك شاب واحد من كل بلد ؛ ثم يتبعه واحد من كل قرية . والهدف من ذلك هو أن كل قرية صغيرة من قرى الأدغال التى يقيم فيها حوالى خمسون عائلة أو أكثر ، والمنتشرة فى أنحاء جنوب شرقى آسيا يكون فيها على الأقل خريج واحد من خريجى « كلية الشعب » .

يقيم طلبة كل قطر فى ثكنات ضخمة مع طلبة آخرين من وطنهم الأصلى . ويلقنون كل المعلومات بلغتهم الأصلية ، كما أن هناك معابد يختارون منها مايناسبهم — سواء كانوا بوذيين أو روحانيين أو مسلمين . أما رجال الدين فهم من نفس جنسية الطلاب .

تستمر الدراسة ثمانية عشر شهرا ، ويستطيع الطالب أن يختار المواد التى يميل إليها أكثر من غيرها . كما تعقد مناقشات يومية موجزة عن السياسة . وبعد انقضاء ثمانية عشر شهرا ، ترسخ بعض هذه المناقشات فى ذهن الطالب ، الذى يصبح واحدا من ذوى الميول الشيوعية .

قال لى الطالبان اللذان أبلغانى هذه المعلومات : إن هناك ٣٨٠٠٠ طالبا مقيدا فى سجلات المدارس الشيوعية فى يونان . وكلما أتيحت الفرصة ينتقى الشيوعيون أبناء أو أقارب زعيم القرية ضمن طلابهم . وهؤلاء يصبحون بعد ذلك أعضاء ومنظمين فى الحزب . ثم يتنقلون من مجتمع إلى آخر ، وهم يتحدثون إلى من هم أكبر منهم سنا . ومما هو جدير بالملاحظة أن الذى يقوم بعملية الإقناع ليس روسيا أو صينيا بل هو مواطن من بين أبناء جلدته . وتنحصر مهمة الروس أو الصينيين فى تدريب خلية صغيرة على قدر من الكفاية ـ قوامها شبان أحداث ـ حيثما كان ذلك ممكنا . وهذا النظام المتبع عن طريق زعماء القرى وأقاربهم يعتبر نظاما ناجحا.

وفى مايو سنة ١٩٦٠ ، فى الانتخابات المحلية فى جاوه ، حصل الشيوعيون الأندونيسيون على ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ صوتاً أكثر من الأصوات التى حصل عليها أى حزب آخر . وقد أوضح بنج كاسيمين Bung Kasimin ، وهو يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً ، ويعمل خادماً فى فندق صغير ، أوضح الموقف ، كما ورد فى صحيفة النيويورك تايمز ، فيما يلى : « عندما حل ميعاد الانتخابات ، أخبرنى رئيس قريتى كيف أدلى بصوتى . . . لقد أخبرنى أن أصوت فى جانب الشيوعيين » .

لم يكن بنج كاسيمين يعرف من هو خروشوف ، أو من ذا يكون زعيم الحزب الشيوعى فى أندونيسيا . كان رئيس قريته بالنسبة له هو الزعيم السياسى فى آسيا .

هؤلاء الشبان الذين يذهبون إلى المدارس الشيوعية هم بنات أخ ، وأبناء أخ وأبناء ، وبنات ، وأحفاد رئيس القبيلة . وهم بهذا يعتبرون رؤساء ، وعمد ، ووزراء ، ورؤساء جمهورية الأسبوع المقبل والسنة المقبلة .

وما يفعله الشيوعيون يخالف النظام المتبع فى برنامج الطلبة الأجانب الأمريكى . ولم تستطع أمريكا أن تصل إلى الشبان العاديين فى البلاد الأجنبية ؛ بل لم نحاول من جانبنا أن نصل إليهم . أما العدد الضئيل نسبياً من الطلبة الذى نأتى به إلى الولايات المتحدة فعادة ما يتكون من أبناء أو أقارب لشخصيات أجنبية بارزة . وهم يفدون من مناطق حضرية تمثل نسبة ضئيلة من السكان ، ويكون الأغنياء فيها هم أصحاب السلطة . كما أن الطلاقة فى اللغة الانجليزية هى فى الواقع شرط أساسى من شروط الاختيار .

منذ عدة سنوات كنت أتناول طعام الإفطار مع الرئيس ماجسايساى رئيس جمهورية الفلبين . وفى أثناء تناول الطعام ، أحضر أحد معاونيه قائمة بأسماء الطلبة الفلبينيين المرشحين لبعض المنح العلمية الأمريكية على نفقة الولايات المتحدة . كانت القائمة تحتوى على ٤٠٠ اسم .

وبدأ الرئيس ماجسايساى يفحص الأسماء . أخذ ينتقل ببصره من صفحة إلى أخرى ، وهو يشطب عدداً من الأسماء بلغ حوالى النصف . ثم قال ضاحكاً : « هؤلاء الأوغاد الأزنام أقرباء لبعض السياسيين . ولديهم من المال ما يكفى لذهابهم إلى أمريكا على نفقتهم الخاصة ، كما أنه ليس فى مقدور عدد كبير منهم أن ينجح فى الامتحانات على أية حال . هؤلاء هم الذين يريدون دائماً أن يستولوا على كل شىء ؛ فيسببون للمرء متاعب جمة . لماذا لاتصرون على أن نوفد شباناً من القرويين ؟ فهؤلاء هم عماد بلادنا » .

كثيراً ما نفشل فى اختيار الطلبة المناسبين . وقبل كل هذا لدينا موهبة خارقة لإهانة الطلبة الذين ندعوهم . ذلك أن عدداً كبيراً جداً من الطلبة الأجانب يحار من تصرفاتنا وينفر منها أثناء إقامته فى الولايات المتحدة . ونادراً ما يعرفنا هؤلاء الطلبة على حقيقتنا .

ومما يفسر إخفاقنا فى هذا المجال تفسيراً لايبشر بالخير هو أننا نلاحظ فى اليابان ، والصين ، وألمانيا ، أن كثيراً من الزعماء الذين كانوا ولا يزالون من ألد أعداء أمريكا ، هم الذين تلقوا تعليمهم فى الولايات المتحدة .

فى أوائل سنة ١٩٦٠ دعت حكومة الولايات المتحدة خمسة وثلاثين أفريقياً وأسيويا للحضور إلى الولايات المتحدة بمقتضى ( منحة قيادة ) . وكان الهدف من وراء ذلك هو أن نأتى ببعض الموظفين المدنيين ذوى النفوذ ونطلعهم على حقيقة أمريكا كانت فكرة لابأس بها . وقام هذا الوفد بزيارة جامعة هاواى University of Hawaii . وقد قضيت بعض الوقت مع هؤلاء الشبان الأجانب الذين كان أغلبهم من الأشخاص المهذبين المتحمسين . ولكن الشىء المهم هو توزيع ( الشخصيات البارزة ) فى هذه الجماعة . فقد أخبرنى أحدهم أنه دعى قبل ذلك إلى رحلتين تكفلت بهما وزارة الخارجية . وكانت السيدتان القادمتان من الصين الوطنية تدلان على غرابة الاختيار . كانت أكبرهما سناً رحالة محترفة قضت خارج فرموزا وقتاً أطول مما قضته فيها ، وجل هذا الوقت قضته فى أمريكا ، على حد قولها . أما الفتاة الأخرى فكانت شابة مليحة ، ابنة أحد الحكام . ولم تكن كلتاهما تعرف الكثير عن وطنهما . وكان الأعضاء الآخرون فى الوفد الأفرو آسيوى يعرفون تماماً هذه ( الشخصيات البارزة ) فكانت تبدر منهم تعليقات لاذعة .

ومن هاواى توجه الطلبة إلى الولايات المتحدة . وكتب عدد كبير منهم يقول : إنه استمتع بوقت طيب فى هاواى ، كما نوه على وجه الخصوص بعدم التفرقة العنصرية ، وبالفرصة التى أتاحت لهم مقابلة أناس عاديين ، وعلى كل ،

فقد أضاف الطلبة قولهم : إنهم منوا بالخيبة فيما يتعلق برحلتهم إلى أرض الولايات المتحدة . وأظهروا امتعاضهم بوجه خاص من مدينة واشنطن Washington D. C. [(1)] .

علق أحد الطلبة بقوله : « لابد وأن موظفى واشنطن قد دخل فى روعهم أننا بلهاء ، فقد أعطونا معلومات عن موضوعات قرأنا عنها فى صحفنا منذ شهور وسنين . وحال رؤيتنا هؤلاء الموظفين رسخ فى أذهاننا عنهم أنهم أناس مشغولون قد وكلت إليهم مهمة سقيمة ؛ وأنهم إن لم يدققوا فى اختيار ألفاظهم ، فقد يفشون أسرار الدولة » .

وقد تكدر الطلبة كذلك من سلوك السناتور هيرام فونج Hiram Fong ، عضو مجلس الشيوخ عن هاواى . ولما كان ينحدر من سلالة صينية ، فقد كانوا يتعشمون أن يدخلوا معه فى نقاش صريح عن المشاكل الأفرو آسيوية .

« بمجرد دخولنا ، التقط سماعة التليفون وطلب هيئة الاستعلامات الأمريكية التى أرسلت إلينا مصورا التقط لنا أفلاما ونحن نصافح السناتور . وكان من السهل أن نتخيله وهو يعرض هذه الأفلام فى مؤتمره السياسى التالى لكى يبرهن على وجود أصدقاء له فى آسيا وأفريقيا . ثم ألقى علينا السناتور محاضرة قصيرة غثة دلت على أنه لايعرف شيئا عن آسيا أو أفريقيا ، وختم محاضرته بتوجيه اللوم إلينا وهو ينصحنا بأنه ينبغى علينا أن نكف عن اضطهاد الأقليات فى بلادنا ، وبخاصة فى الصين . كان يتحدث كما لو كان عضو الشيوخ عن الصين » .

ومنذ أمد وجيز ، كان الأمر يقتضى ترجمة بضع تعبيرات كمبودية بسيطة إلى اللغة الانجليزية . ولم تستطع وزارة الدفاع الأمريكى أن تعين اسم شخص أمريكى يقوم بهذه المهمة . وعندما تصفحت جامعة كاليفورنيا ملفاتها الضخمة

---

(١) تمييزاً لها عن ولاية واشنطن فى أقصى الشمال الغربى من الولايات المتحدة (المترجم) .

الخاصة بخبراء الشرق الأقصى ، لم تجد سوى أحدى عشر شخصا فى الولايات المتحدة يمكن الانتفاع بهم آنذاك فى القيام بهذه الترجمة البسيطة . وكانوا كلهم من الكمبوديين ؛ عشرة منهم فى مدينتى نيويورك وواشنطون؛ أما الشخص الحادى عشر ، وهو طالب كمبودى شاب ، فقد كان ملتحقا بأحد المعاهد الصغيرة بالقرب من سان ديجو San Diego .

دعى هذا الطالب البالغ من العمر عشرين عاما إلى سان فرنسيسكو للقيام بمهمة الترجمة . وأقام فى بيت البروفسور يوچين بيردك Eugene Burdick ، الأستاذ بجامعة كاليفورنيا .

وحينما وصل الكمبودى كان خجولا ، لاينبس ببنت شفة، يميل إلى العزلة . ولكن لم تكد تمضى ساعتان - بعد أن أخذ أطفال بيردك يرتقون حجره - حتى تبدلت شخصيته كلها تبديلا تاما فطفق يمرح ويهرج مع الأطفال ( حتى كان يغير لهم ملابسهم الداخلية ) - على الرغم من أنه أصر مازحا على أن النظام الكمبودى المتبع فى تفصيل سراويل الأطفال بدون ظهر يعد أكثر فائدة لهم . وكان يساعد فى أعمال المطبخ ، فيغسل الصحون ، ويتطوع لطهى أصناف من الأطعمة الكمبودية لآل بيردك ؛ وهو فى أثناء ذلك كله يناقش فى ذلاقة بعض مشاكل كمبوديا والولايات المتحدة .

ويبدو أن الطالب كان يعيش بمفرده فى غرفة صغيرة أثناء دراسته فى المعهد القريب من سان دييجو ( زهاء سنة ) . ولم يدع قط لزيارة بيت أمريكى . ولم يطلب منه أحد أن يرافقه فى نزهة خارج الدار كان يومه يبدأ بالقيام من نومه ، والذهاب إلى المعهد ، ثم العودة إلى البيت . كان بلا أصدقاء تماما ، إذ أنه كان يخجل من الشروع فى تكوين صداقات من جانبه بصفته غريبا يتحدث بنبرة خاصة .

قال الطالب : « لديكم مدارس فى أمريكا أفضل من المدارس الموجودة فى فرنسا» ولكن ثمة مئات من الطلبة الكمبوديين يعيشون فى فرنسا بينما لايوجد

إلا حفنة صغيرة منهم فى الولايات المتحدة . والسبب فى هذا يرجع إلى أننا نحس بالوحدة فى أمريكا ، ونعامل معاملة الغرباء الذين يخشى منهم أن ينقلوا مرضا خطيرا عند اقترابهم من أحد . أما فى فرنسا ، فالناس يدعوننا إلى بيوتهم ويعاملوننا ، على الأقل ، معاملة الند للند ، أو ضيوف شرف فى أغلب الأحايين .

« وثمة سبب آخر فى وجود هذه القلة من الطلبة الكمبوديين فى الولايات المتحدة ، وهو أن من السهل أن نستبدل عملتنا الأصلية بفرنكات فرنسية ؛ بيد أننا نواجه كل أنواع العراقيل فى استبدالها بالدولارات . فإذا كان لك قريب فى الحكومة ، أصبح الأمر هينا . أما إذا كنت من عائلة متوسطة ، ولست من ذوى النفوذ ، فالأمر يكاد يكون مستحيلا ؛ ولذا ، فإن من العسير ، من الناحية الاقتصادية ، أن نفد إلى الولايات المتحدة » .

« وكذلك إذا كنت كمبوديا تريد أن تحضر إلى أمريكا بمنحة من حكومة الولايات المتحدة ، فينبغى عليك أن تتحدث الانجليزية قبل أن تصلح للترشيح . بيد أنه لايكاد يوجد خمسمائة شخص فى كمبوديا يتحدثون الإنجليزية . ولكى يقع عليك الاختيار يجب أن تكون أحد أعضاء الزمرة الصغيرة العريضة الثراء التى تحتضنها سفارة الولايات المتحدة فى بنوم بنه Pnompenh . وهذا يعنى ، بالطبع ، أنه يتعين عليك وعلى أفراد عائلتك أن تصيحوا بأعلى أصواتكم بأنكم مناوئون للشيوعية . وهكذا نجد أن عددا قليلا من الطلبة ـ يمكن عدهم على أصابع اليدين ـ فى مقدورهم الحضور إلى أمريكا ، حتى ولو كان هناك عدد كبير يرغب فى ذلك » .

« إن أمريكا تخطىء بتصرفها هذا . ذلك أن آسيا تحتدم فيها الثورة ، ولسوف يحل أبناء من عامة الناس محل الطبقة الارستقراطية الحاكمة فى القريب العاجل . والشيوعيون يدركون هذا ؛ فمها كان الكمبودى فقيرا ، يدعوه الشيوعيون للتحصيل فى المدارس الصينية ، مادام يتوفر فيه الذكاء والميول العدوانية » .

قابلت ذات مرة فى سنغافورة طلبة هنودا عادوا مؤخرا من الولايات المتحدة . كانوا مسرورين ؛ لأن الفرصة أتيحت لهم للسفر والدراسة ؛ ولكنهم قالوا : إنهم أحسوا بالتوتر أثناء إقامتهم فى أمريكا . ذلك أنهم لم يشعروا بالترحيب الخالص قط . وقص أحدهم كيف أنه توجه إلى أحد المطاعم فى أواسط ڤرچينيا ، ورفض أصحاب المطعم أن يقوموا بخدمته . وأبلغوه أنهم لايقومون بخدمة « الزنوج » فى نفس المكان الذى يجلس فيه البيض . ثم قال أحدهم ، « أراد بعضنا أن يدرس زراعة القطن ، ومن ثم طلبنا الالتحاق بجامعة زراعية من جامعات الجنوب . وكانت الحياة هناك لاتطاق . ولكن بمجرد أن انتشر الخبر بأننا هنود ولسنا زنوجا ، منحنا الامتيازات الاجتماعية العادية . وعلى أية حال ، لم ندع للخروج كثيرا ، وكان يخالجنا الشعور بأن الناس ربما كانوا يخجلون من الظهور فى رفقتنا . ولهذا انتقلنا إلى الشمال حيث كنا أسعد حالا » .

« لقد رسخ فى أذهاننا أننا حال وصولنا إلى الولايات المتحدة وإلى الجامعات التى التحقنا بها ، اعتقدت حكومة الولايات المتحدة والأمريكيون أن مسئولياتهم تجاه الضيافة قد انتهت . ومن ثم تركنا لأنفسنا » .

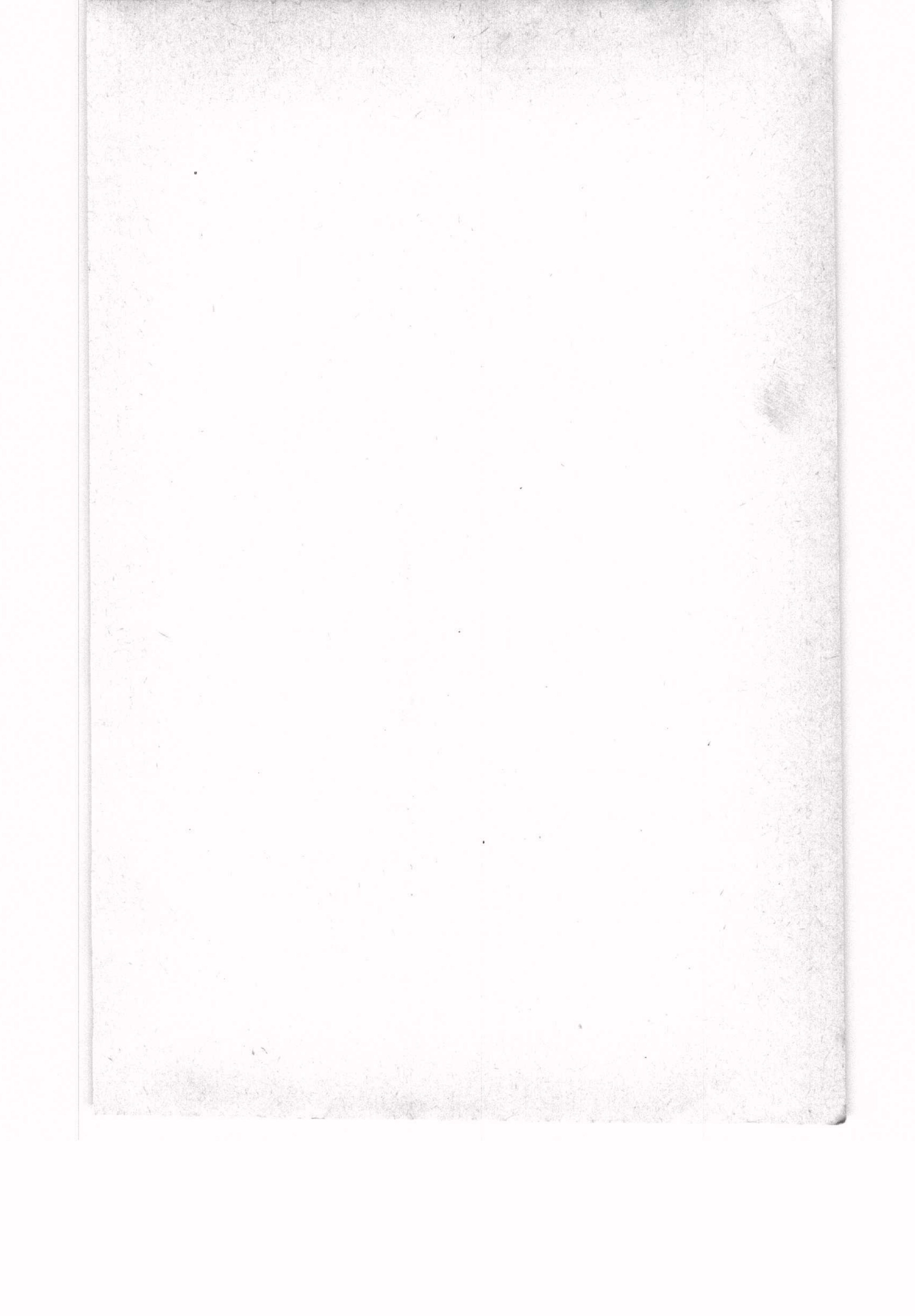
وقال آخر : « لقد لاحظنا أن الأمريكيين كرام أكفاء . وكان بودنا أن تتاح الفرصة للتعرف عليهم » .

وهكذا يبدو أن برنامج الطلبة الأجانب الخطير الشأن لايأتى بالنتيجة المرجوة منه ، من جراء الجهل من جانبنا . والحقيقة أنه يأتى بعكس المرجو منه فى كثير من الحالات . ثم يقال لنا بعد ذلك إنه برنامج ناجح .

---

# الباب الثاني

## المذنبون



## حكومة تجهل الحقائق

إن جهلنا بالعالم خارج حدودنا ، وظننا بأن كل ما يحتاجه رئيس دولة ما لكى يكون جديرا بتأييدنا هو اتخاذ موقف معاد للشيوعية ، خطآن يتضاعفان سريعا ويعودان بالفائدة على أعدائنا . كان ينبغى أن يكون ما حدث سابقا فى كوبا ، وكوريا ، وتركيا ، والعراق ، وفيتنام الشمالية ، قد لقننا دروسا مريرة . ومع ذلك ، يلوح أن حكومتنا — بموافقة الصحافة موافقة ضمنية — قانعة بأن تضع وزر الثورات الأجنبية كلها على عاتق الشيوعيين ؛ وما إن تنتهى إحدى الثورات حتى نسيرقدما ، كسابق عهدنا ، لكى نعين على خلق الجو الذى تكاد تصبح فيه الثورة أمرا لامناص منه .

فى هذه الحقبة من حقب التاريخ التى ينطلق فيها الناس — الشباب على وجه الخصوص — منادين بالحرية فى البلاد التى يطلق عليها اسم البلاد المتخلفة ( فى فترة تتميز بالثورة ضد الاستبداد لم يسبق لها مثيل منذ القرن الثامن عشر ) تؤكد لنا حكومتنا أن سياسة تأييدنا للأقليات المستبدة فى فيتنام الجنوبية ، ولاوس ، وفرموزا ، وجواتيمالا ، والأردن ، وإيران ، ونيكاراجوا تعد سياسة بناءة ناجحة . ومع ذلك ، نجد أن بوادر ثورة عارمة قد ظهرت فى كل من هذه البلاد ؛ وفى كل منها لاتقف إلا الولايات المتحدة حائلا بين الشعب وبين الإطاحة بعهد استبدادى فاسد . وفى كل منها ، كما حدث من قبل فى كوبا ، والعراق ، وفيتنام الشمالية ، وتركيا ، وكوريا ، سوف يفور البركان على أشده ، يجر فى أذياله الشيوعيين — وهم قريرو العين — كما لو كانوا قد جاءوا بناء على دعوة منا .

لم ؟ وعلى من يقع اللوم ؟ والجواب هو الجهل : الجهل المتفشى فى الدوائر البيروقراطية ، والجهل المتفشى فى الكونجرس ، من جراء التحكم البيروقراطى إلى حد كبير ، والجهل المتفشى فى الصحافة ، والجهل المتفشى بين صفوف الشعب الأمريكى . أما السؤال : على من يقع اللوم ؟ فله إجابات عديدة . فلنتناول أولا الجهاز التنفيذى للحكومة الفدرالية ، فإن وسائله فى اتخاذ القرارات توضح الكثير من الأمور .

دعنا نتصور أن رئيس الولايات المتحدة على وشك أن يتخذ قرارا يتعلق بسياسة الدولة . من المحتمل أن يكون الهدوء سائدا فى مكتبه فى البيت الأبيض ، ولكنه يسائل نفسه عما سوف يحدث لو أنه اتخذ قرارا خاطئا . قد يفكر فى أمر الرؤساء السابقين الذين واجهتهم مشاكل خطيرة مشابهة ذات أثر على بقاء الولايات المتحدة . ومن الطبيعى فى الوقت الحالى ، مع وجود الأسلحة الذرية ، أن يكون الأمر متعلقا بشىء أكبر من الولايات المتحدة . فالإنسانية كلها معرضة للخطر ويضغط الرئيس زرا على مكتبه ؛ ثم يصدر ، بعد بضع لحظات ، تعليمات إلى أحد مساعديه .

وخلال ساعة واحدة تبدأ عجلة الإدارة التنفيذية فى الدوران . ففى مبنى القيادة العسكرية الفسيح ، ينعقد اجتماع هيئة رؤساء أركان الحرب المشتركة . المسألة عاجلة ؛ والرئيس قد طلب المشورة .

ويهرع الجنرالات والأميرالات من ذوى النجمتين إلى داخل وخارج قاعة المؤتمر التى شددت عليها الحراسة ، وهم يقومون بدور صبيان المراسلة لرؤسائهم ذوى الأربع نجوم . فهم يحضرون المذكرات والرسائل الواردة من جميع أنحاء العالم ، وقد أشر على معظمها بكلمة « سرى » أو « سرى جدا » .

وعبر النهر فى المبنى الجديد لوزارة الخارجية ، ينشط كذلك كبار الموظفين المدنيين بناء على طلب رئيس الجمهورية . قد يكونون مجتمعين حول مائدة ، وهم

يجدون فى صياغة توصية من التوصيات ؛ سوف تقوم معظمها على النصائح التى تلقوها من السفراء الأمريكيين وهيئات موظفيهم فى جميع أنحاء العالم . هذه المائدة مكتظة كذلك بالأوراق « السرية » و « السرية جدا » .

ويعقد مجلس الدفاع الوطنى مؤتمرا فى نفس الظروف ؛ وكذلك تفعل إدارة المخابرات المركزية . إن صفوة العقول الأمريكية المختصة بالشئون الاستراتيجية والدبلوماسية والسياسية تعمل فى سبيل الحصول على صورة للأحوال فى العالم - قبل اتخاذ أى توصية . وهم يعتمدون فى ذلك على المعلومات التى تجمعها أجهزة ضخمة مختصة بجمع الأنباء .

وعلى هذا ، فالقرار الذى يوشك الرئيس أن يتخذه ( وكذلك القرارات التى سيتطلبها الأمن على مستويات أقل من ذلك) سوف يبنى على الملاحظات والتقديرات التى يقدمها الممثلون الأمريكيون فى المناصب الأجنبية . من هم هؤلاء ؟

هؤلاء هم السفراء ، والجنرالات ، والأميرالات ، وآخرون أقل منهم مركزا . وهم يكونون مجموعة موظفى السلك الدبلوماسى الأمريكى وراء البحار ، وموظفى إدارة التعاون الدولى ، وهيئة الاستعلامات ، وإدارة المخابرات المركزية ، والجيش ، والأسطول ، وسلاح الطيران ، وفيلق البحرية . وتنحصر مهمتهم فى التعرف على ما يجرى فى الدول الأجنبية من أمور . قد تنم الألقاب التى يحملونها على القيام بأعمال أخرى ، وقد يكونون منوطين بمهام أخرى ، ولكنهم جميعا مكلفون باستقصاء الحقائق ونقلها ، عن طريق سلسلة من الأوامر ؛ وغالبا ما يقومون باتخاذ توصيات يقدمونها إلى السلطات العليا . . . كما أن عددا غفيرا من هؤلاء يقتصر الأمر على تكليفه بهذه المهمة دون سواها .

ولندع الرئيس فى موقفه الذى تصورناه لاتخاذ قراره ، ودعنا نحلل المصادر التى نستقى منها المعلومات الخاصة بماوراء البحار ، والتى تحصل عليها بالفعل حكومة الولايات المتحدة . وهى مصادر متعددة ، ولكن أبرزها وأكثرها نفعا هى :

( ١ ) الموظفون المحليون الموثوق بهم .

( ٢ ) الصحف والمجلات والكتب والإذاعات . . . الخ المحلية ( الأجنبية ) .

٣ ) المخبرون المحليون المأجورون .

( ٤ ) الملاحظات الشخصية عن البلد من جانب ممثلى الولايات المتحدة ـ الملاحظات المبنية على معرفة الشعب ، وثقافته ، ولغته ، وأنماطه العاطفية ... الخ معرفة وثيقة .

( ٥ ) الصحفيون الأمريكيون .

فهل مصادر المعلومات هذه تتسم بالكفاية ؟ هل فى مقدورنا أن نثق بها كأساس تقوم عليه السياسة الخارجية للولايات المتحدة ؟ جدير بالاهتمام أن نتناول كلا منها على حدة .

## ١ — الموظفون المحليون الموثوق بهم

تتأثر آراء سفرائنا ، وجنرالاتنا ، وأميرالاتنا ، وتقديراتهم ، فى الواقع ، بالموظفين المحليين أكثر مما تتأثر بأى مصدر آخر .

هناك جنرال صينى يعد من أنجح هؤلاء الأجانب ، وهو نموذج للكثيرين من حيث قيمته كمصدر من مصادر الحقيقة . وهو مشهور ( فى أوساط الموظفين الأمريكيين ) ، ويعرف فى مسقط رأسه باسم « الخصى العظيم » . ( وهذه حقيقة لاخيال .) وهو شخص ضخم الجثة ، منبسط الأسارير ، تخرج من إحدى الجامعات الأمريكية ، ويتحدث لغتنا بطلاقة ، كما يلم بطرائق الحياة الأمريكية إلماما تاما .

يحمل هذا « الخصى العظيم » عدة ألقاب سياسية وعسكرية رنانة . وعلى كل ، فإن مهمته الكبرى تنحصر فى التأثير على الشخصيات الأمريكية البارزة (والواقع

فى توجيه الرأى العام الأمريكى والسياسة الأمريكية ) . وهو يشتهر بأنه خبير فى تحليل الموظفين الأمريكيين ؛ إذ أنه ينقب عن موضوعات أحاديثهم المفضلة ، ونقاط ضعفهم - سواء كانت النساء ، أو الطعام الجيد ، أو الشراب ، أو العاب الرياضية ، أو التملق .

سرعان ما يقوم الجنرال ( أو غيره ممن يعينون للعمل مع الأمريكى ) بمد الأمريكيين بلوازمهم ؛ فإذا كان الأمريكى قد أنجز شيئا ما فى حياته - كأن يكون قد ألف كتابا ، أو منح وساما ، أو قام بانقلاب ناجح ، أو جمع ثروة طائلة - غالبا مايورد ذكر هذا الانتصار فى سياق الحديث ، فى لهجة يشيع فيها الإعجاب .

وكان هذا الخصى الأكبر يستغل حتى أبسط الأشياء التى يتحمس لها الأمريكيون . كان أحد الأميرالات الأمريكيين مغرما بالأطفال . وكلما كان يحضر إلى تاى بيه ، كان « الخصى العظيم » يخف لاستقبال الطائرة ، وبصحبته مجموعة من الصغار الجذابين الذين يتكلمون الانجليزية - وبيد كل منهم باقة صغيرة من الأزهار .

ومن الوسائل الأخرى المتبعة تقديم رشاو مقنعة على هيئة هدايا ظاهرها البراءة . فالموظف الذى يميل إلى صيد السمك يصطحب إلى المكان الذى يكثر فيه سمك الأطروط - ويتلقى صنارة وبكرة أنيقتين . أما المحب للاطلاع فيتلقى الطبعة الأولى من كتاب مجلد تجليدا أنيقا ؛ ويحصل الصياد على بندقية صيد . ويدعى طالب العلم إلى حلقات بحث يديرها أشهر العلماء . وخلال هذه العملية ، يقع موظفونا فى الأحبولة بمهارة ، وتطوق أعناقهم بالأفضال .

ولا يهمل شأن زوجات الأمريكيين فى السباق من أجل تحريف فيض معلوماتنا الدقيقة . فالخصى العظيم يهتم بأمر السيدات كذلك . فلا مانع من أن يتناولن الشاى مع مدام شان كاى - شيك فى جو من الصداقة . وإذا كن على قدر

من الأهمية ، فلسوف يتلقين ، فى اللحظة المناسبة ، لفة من الحرير الفاخر أو الديباج[1] ، أو لوحة زيتية ، أو حجرا نفيسا . وسواء كن على قدر من الأهمية أم لا ، فإن الزوجات يحصلن على « شىء » ما .

وكما هو معروف جيدا ، غالبا ما يتلقى كل موظف أمريكى كبير مقيم فى تايوان Taiwan إما طاقما للمائدة مصنوعا من الفضة ومحلى بالنقوش ، أو يتلقى وساما ـ أو كليهما . وأقل مايحصل عليه هو لفيفة من الورق محلاة بالنقوش البديعة كتبت عليها عبارات الثناء والتقدير ، هذا إذا كان قد أدى خدمات لحكومة « الخصى العظيم » .

وإذا كان الأمريكى من الفضوليين المدققين المشاغبين ، وإذا كان ممن يوجهون الأسئلة ، أو كان صعب المراس لايلين ؛ وإذا كان يعمل مائة فى المائة من أجل أمريكا ولم يحاول أن يسترضى الأجانب ـ حينئذ لن يحصل على شىء فضلا عن أن الحكومة الأجنبية قد تطلب إلى أولى الشأن استدعاءه بحجة أنه « لايفهمنا » . وهذا من شأنه أن يوصمه فى نظر رؤسائه الأمريكيين بأنه فاشل ؛ مما يقلل من فرص ترقيته .

هذا المثال السالف الذكر ليس قاصرا على الصين وحدها . فإن الرشوة والتملق فى أى صورة من صورهما تنطبقان على الأمريكيين فى معظم البلدان الأجنبية فى العالم . وتكون النتيجة أن ينتهى الأمر ، فى أغلب الأحيان ، بالأمريكيين السذج بتكوين « صداقات حقيقية » مع الوزراء ورؤساء الدول . إذ أن الأمريكيين غالبا ما يصدقون ويثقون فى الجماعة الصغيرة من الأجانب التى تكون « الأعداد المقابلة لهم » . ومن هذه « الأعداد المقابلة » نستقى كثيرا من معلوماتنا الهامة ـ المعلومات التى يؤشر عليها بكلمة « سرى » و « سرى جدا » .

---

(١) القماش المقصب .

غالبا مايشعر موظفو واشنطون بأن من واجبهم أن يكملوا النقص فى الأوراق السرية التى يتلقونها من وراء البحار . لذلك يجدون لزاما عليهم أن يسافروا شخصيا إلى الخارج لكى « يروا بأنفسهم » . فهم يريدون أن يجسوا نبض قطر من الأقطار . ولكن مايحدث لهم فى الغالب لايرضى الإدراك السليم . ذلك أنهم يلقون مايعرف باسم « الرسميات » ، أى أن كل وزير خارجية أو رئيس هيئة يصر على أن يكون له شرف استضافة كبار الزوار وإمدادهم بالمعلومات . وينصح السفراء والجنرالات الذين يعملون عبر البحار الشخصيات الأمريكية الهامة التى تقوم بالزيارة بأنه ينبغى عليها أن تقبل الدعوات وإلا شعر أهل البلد بالامتهان . وهكذا تنفق الأيام القليلة المخصصة « للمعاينة » فى سيل عارم من الاجتماعات ، والحفلات ، وحفلات العشاء ، يتخلل كل ذلك فى العادة التردد على الحوانيت للشراء . والنتيجة : يرحل الأمريكى فى حالة إجهاد وجهل ـ بيد أنه محمل بمجموعة فاخرة من الهدايا على سبيل التذكار ـ علبة سجائر فضية محفور عليها اسم رئيس الوزراء ، وأشياء تمثل الفن المحلى . . . الخ . وهكذا يكون قد قضى كل وقته بين اثنين أو ثلاثة من المبانى الحكومية ، وغرفتين من غرف الاستعلام ، وعدة حوانيت ، ولم ير أو يعلم جديدا عن القطر اللهم إلا مايريد موظفونا ـ ومايريده الموظفون الأجانب ، وهو فى الغالب نفس الشىء ـ له أن يعرف . حقيقة إنه تظهر من وقت لآخر شخصيات بارزة أمثال السناتور مانسفيلد Senator Mansfield وعضوا الكونجرس بورتر Porter وليندساى Lindsay ، على سبيل المثال لا الحصر ، يقومون بخدمات ممتازة فى مجال معاينة منطقة من مناطق عبر البحار . ولكن هؤلاء يعدون من الشواذ .

وفى كوريا ، توجد مجموعة صغيرة من الموظفين الكوريين كانوا من المقربين للرئيس سنجمان رى لهم صلات ـ تكاد تكون يومية ـ اجتماعية وتجارية

مع أعضاء الحكومة الأمريكية . هذه « الأعداد المقابلة » كانت تذهب سوياً إلى عدد من حفلات الكوكتيل ، وتتناول العشاء معاً ، وتشترك سوياً فى الألعاب الرياضية ، وتجلس فى مواجهة بعضها الآخر فى كثير من المؤتمرات . هؤلاء الكوريون ذوو الكياسة ، المتألقون ، أصبحوا سمع وبصر الحكومة الأمريكية الرسميين فى كوريا . وقد أدرك هؤلاء أن موظفينا كانوا منهمكين جداً بحيث لم يجدوا بين أيديهم من مصادر المعلومات الأخرى سوى القليل . ولما كان موظفونا لايتحدثون اللغة الكورية فلم يكن لديهم مجال كبير للاختيار بين مصادر استقاء المعلومات .

وحينما نشبت الثورة سنة ١٩٦٠ وطرد سنجمان رى من منصبه بأيدى مواطنيه ، ألقى بكبار موظفيه فى غياهب السجون . وقد علمنا ، حينئذ ، لأول مرة ، أن الكثيرين منهم كانوا فاسدين مبتزين أفاكين . ولم ينقصنا الدليل على ذلك . لقد خدعنا الموظفون — الذين وضعنا ثقتنا فيهم واعتمدنا عليهم — مدة ثلاثة عشر عاماً . ومن ثم تركناهم فى السجون وأخذنا نبحث عن شرذمة جديدة .

ويلوح أن هذا النمط شائع . ففى شونكنج سنة ١٩٤٠ توجهت نخبة ممتازة من المراقبين العسكريين وموظفى السلك الدبلوماسى الأمريكيين إلى جبهة القتال وعاينوا بأنفسهم المنطقة الشيوعية . ثم كتبوا فى تقريرهم أن الشيوعيين كانوا منظمين تنظيماً دقيقاً ، وأن لديهم جهازاً عسكرياً قوياً . وعلى أية حال ، فقد نصح السفير باتريك هيرلى Patrick Hurley الذى حصل على معلوماته بالتسكع حول آل شان ، وآل كونج ، وآل سونج ( يعاونه عدد قليل من المقربين إليه فى السفارة المؤمنين على آرائه ) نصح واشنطون بألا تصدق مراقبينا المحترفين القلائل . وقال : إنهم ببساطة لايعرفون عم يتكلمون . كما أضاف قوله : إنه ليس ثمة داع للخوف من الشيوعيين ، ذلك أنه حصل على معلوماته من مصادر

موثوق بها. وقد يكون قبولنا لنصيحة هيرلى هو الخطأ الأساسى الذى قامت عليه سياستنا الصينية برمتها .

وفى مرة أخرى ، تلقى هيرلى من أحد موظفيه فى السلك الدبلوماسى تقريراً سرياً بشأن نقاط الضعف فى الوطنيين الصينيين . ولكى يتحقق من صحة المعلومات ، أرسل هيرلى فى طلب ه . ه . كونج ، زوج أخت مدام شان ، ثم قرأ عليه التقرير بصوت مرتفع ، وطلب منه أن يبدى رأيه . فقال ه. ه. كونج : إن المعلومات غير صحيحة . وكانت النتيجة أن السفير لم يرسل بهذه الحقائق إلى واشنطن على الإطلاق .

---

## ٢ — الصحف والمجلات والكتب والإذاعات الأجنبية

تحتوى الصحافة الأجنبية على كثير من المعلومات النافعة ، هذا بالطبع إذا كانت الصحافة . حرة ولكنها ، على أى حال ، ليست حرة فى الصين ، وفرموزا ، وأندونيسيا ، وكمبوديا ، والجزائر ، وغانا ، والعراق ، وجنوب أفريقيا ، وفيتنام ، وعدد كبير من دول أمريكا اللاتينية ، ودول كثيرة غيرها — فضلا عن دول الكتلة الشيوعية .

وحتى إذا كان هذا هو الحال ، فنى وسع المحلل البارع أن يتعلم الكثير من وسائل الإعلام المحلية . هذا إذا كان يلم بلغة البلد ، وفى مقدوره أن يطالع صحفها. وهذا ما يحدث فى النادر مع الأمريكيين ، فنى معظم سفارات الولايات المتحدة وقنصلياتها فى جميع أنحاء العالم (بالإضافة إلى جميع الإدارات الحكومية الأخرى التابعة للولايات المتحدة ) يقوم بترجمة الصحف الأجنبية لحسابنا مترجمون أجانب يتقاضون أجوراً ، ويستخدمون فى العادة ، على الفور ، بناء على توصية الحكومة الأجنبية . نحن الذين نعتبر من أغنى دول العالم قاطبة وأكثرها ثقافة ، نعجز ونقصر عن القيام بتفسيراتنا وترجمتنا الخاصة بنا .

ليست كل الأخطاء الناجمة عن التفسيرات المغرضة والترجمة المحرفة تعد أخطاء جسيمة . ولكن حين تضاف هذه التحريفات ، فى جميع أنحاء المعمورة ، إلى بعضها البعض ، فمن الممكن أن تصبح عاملا يوهن من فاعليتنا القومية . ففى سنة ١٩٥٦ . على سبيل المثال ، حينما كنت فى بانكوك أخذت تراجم الصحف التايلاندية التى تقوم بها السفارة ووازنت بينها وبين التراجم التى قمت بها بمعرفتى عن طريق ثلاثة مصادر أخرى مستقلة .

كانت إحدى المقالات الافتتاحية ( حسب ما ورد فى ترجمة السفارة ) تمدح السفير الأمريكى لحرصه ودقته فى معالجة المشاكل الشيوعية . وجاء فى النسخة الرسمية أنه توفر على دراسة النشاط الشيوعى فى جد وأناة .

وكانت التراجم الثلاث التى قمت بها ( كل منها على حدة ) تحكى قصة مختلفة . فالواقع أن ما ورد فى المقال التايلاندى كان يفيد بأن السفير كان يقضى جل وقته فى البحث عن الشيوعيين تحت كل مقعد . ومن الجلى أن المعنى المقصود هو أنه كان أحمق . وكان التقرير الذى أرسل رسمياً إلى وزارة الخارجية هو التقرير الخطأ .

أخبرنى أحد رجال هيئة الاستعلامات الأمريكية أنه قام بنفس الشىء فى أندونيسيا . فقد دأب مترجمو السفارة الأمريكية الأندونيسيون طوال سنوات عديدة على أن يبدلوا معانى الأنباء الواردة فى الصحف الأندونيسية بالقدر الذى يدخلوا به فى روع الأمريكيين أن كل شىء يسير على مايرام — فى حين أن الواقع أن ما جاء فى الكتابات الأصلية كان يدل دلالة واضحة على وجود الاضطرابات والتغلغل الشيوعى فى أنحاء البلاد .

كما أخبرنى عالم كورى سياسى — يحمل درجة الدكتوراه فى فلسفة العلوم السياسية — أنه كتب سلسلة من المقالات باللغة الكورية يصف ويحلل فيها الوضع السياسى فى بلاده . ثم قال : إنه اطلع فيما بعد على التراجم التى عملت لحساب المسئولين الأمريكيين ، فذهل حينما وجد أن هذه التراجم قد جاءت بعكس النتائج التى توصل إليها .

## ٣ — المخبرون المأجورون الأجانب

ليست فى حوزتى شواهد واضحة كافية عن هذا الموضوع حتى يمكننى أن أقوم بأكثر من مجرد الحدس والتخمين استنادا إلى ما هو فى متناول يدى . ولكن

يبدو من المعقول أن نشك فى أنه إذا كان ممثلونا يتلقون دوما معلومات خاطئة من جانب الموظفين الأجانب الذين يتحدثون الانجليزية ويعدون « أصدقاء » مقربين لنا ، فلا شك أنهم يتلقون أنباء لا تقل عنها خطأ من جانب أجنبي مأجور من أرباب العباءة والخنجر .

## ٤ — الملاحظات الشخصية للموظفين الأمريكيين عن البلاد الأجنبية

تقبل كثير من الأنباء التى ترد إلى الولايات المتحدة على أنها حقائق واقعة لأن صاحب النبأ يقول « كنت هناك » . وعلى كل ، فإن المعروف عن موظفينا فى جميع أنحاء العالم هو عدم توخى الدقة فى ملاحظاتهم الشخصية . وهم يستحقون هذه الشهرة عن جدارة . والدليل القاطع على جهلنا هو أن العالم اليوم تضطرم فيه الثورة ، دون أن نحاول اغتنام هذه الفرصة . فالشعوب فى كل بقعة ترغب فى الاستقلال . والاستعمار أصبح كلمة بغيضة . والناس يثورون على الطغيان . ونحن كأمريكيين ، نشاركهم هذا الشعور . ولكن بدلا من أن تقوم بلادنا بالمساعدة فى مجال تصفية الاستعمار ، غالباً ماتقوم بمساندة حكومات العهود البائدة — الحكومات التى يبغضها المواطنون . والشعوب بصدد الإطاحة بهذه الحكومات واحدة فى إثر أخرى بينما يدعى الشيوعيون أنهم أصحاب الفضل فى ذلك . هذه مأساة كبرى . فالسوفيت استعماريون ومستبدون أصلا ؛ ومع ذلك ، فقد اشتهروا بمساعدة الشعوب المضطهدة المظلومة ، وذلك من جراء المعلومات غير الدقيقة التى تصلنا ، والسياسات العمياء التى تنجم عنها . إن الشيوعيين لا يستحقون هذه الهالة ، ولكن المهم هو أنهم يحيطون أنفسهم بها .

لو أن ممثلى الولايات المتحدة فى الخارج كانوا حاذقين فى ملاحظاتهم لأدركوا أن الثورة فى كوبا كانت موشكة على الاندلاع . ومع ذلك واصلنا تأييدنا لباتيستا حتى طرده الشعب . وعلى ذلك أصبحنا مكروهين فى حين أن الشيوعيين — الذين لم يفعلوا شيئاً — يحرزون الثقة والنفوذ والمركز والسلطان .

لم يكن لدى موظفينا فى كوبا ببساطة معلومات كافية عما كان يجرى من من أمور . ونحن معشر المواطنين الأمريكيين لم نكن نعلم كذلك .

تسارع وزارة الخارجية الآن ، وعلى حين فجأة ، فى إرسال أناس إلى افريقيا ، وفى إنفاق الأموال هناك . وقد نسق برنامج المعونة إلى أفريقيا بحيث يكون نصيبها أكبر من نصيب أى منطقة أخرى - بما فى ذلك آسيا . لم كل هذا التأخير؟ إن مراجل القومية تغلى فى أفريقيا طيلة عشر السنوات الأخيرة . ولكننا لم نفعل شيئا فى هذه المنطقة حتى أيقظتنا الثورات والحروب الأهلية والتغلغل الشيوعى من سباتنا . وقد سبقنا إلى أفريقيا الروس والصينيون الذين يتحدثون اللهجات الأفريقية المحلية . ومن الواضح أن الروس كان لديهم معلومات عن تزايد أهمية أفريقيا ، قبل أن تصلنا هذه المعلومات بوقت طويل . لماذا ينبغى أن يكون الموظفون الروس أكثر اطلاعا من موظفينا ؟

## ٥ - الصحفيون الأمريكيون كمصدر من مصادر المعلومات

يمكن التقاط كثير من المعلومات الصحيحة من الملاحظات التى يبديها المراسلون الأمريكيون المحنكون فى البلاد الأجنبية . وعلى كل ، فقد جرت العادة على أنه لا تقبل مادة الصحفى على أنها معلومات دقيقة يمكن الانتفاع بها إلا إذا كانت تؤكد ما جاء فى تقريرات السفراء (أو إدارة التعاون الدولى أو هيئة الاستعلامات الأمريكية أو العسكريين الأمريكيين) . ومثالا على ذلك أنه حينما كتب إرنست ك . لندلى Ernest K. Lindley فى « النيوزويك » يقول : إن برامج المعونة العسكرية وإدارة التعاون الدولى الخاصة بلاوس قد حققت النجاح المنشود وكسبت لاوس فى صف الغرب ، ولذا يعتبر النقد الذى وجهه الكونجرس لغوا باطلا قامت وزارة الخارجية بتوزيع مقاله على نطاق واسع ، كما لو كان دليلا على النجاح . ويؤكد تحول لاوس القريب العهد من المعسكر الغربى إلى « المعسكر المحايد » قيمة مثل هذا « الدليل » .

إذا ما كتب الصحفى أن مساعى أمريكا تكلل بالنجاح عبر البحار ، أصبح قرة عين البيروقراطيين ، ويجد من السهل أن يحصل على رحلات مجانية . أما إذا اتخذ موقف الناقد ، فعادة ما يطلق عليه أنه غير مقدر للمسئولية ، أو فى بعض الأحيان يشير إليه المسئولون على أنه قد يكون « لا أمريكيا » .[1]

منذ عدة سنوات حدث فى تايلاند أن أحد مراسلى صحيفة النيويورك تايمز كتب سلسلة من المقالات يقول فيها : إن الحكومة التايلاندية بلغت درجة شنيعة من الفساد بحيث أصبحت معرضة لخطر العزل . ونفت السفارة الأمريكية هذا النبأ علنا . على أن الصحفى كان على حق بينما كان السفير مخطئا ؛ ذلك أنه لم يمر وقت طويل على هذا الحدث حتى نحيت الحكومة التايلاندية عن السلطة لأن الشعب كان قد سئم وضاق ذرعا بفسادها .

كما حدث أن نشر روبرت كولجروف Robert Colgrove أحد محررى مجموعة صحف « سكريبس هوارد Scripps Howard مقالة مشهورة كشف فيها عن الأخطاء والفساد المتفشيين فى ڤيتنام . فما كان من وزارة الخارجية وإدارة التعاون الدولى إلا أن عبآ قواهما ضد كولجروف وحاولا فى جلسة من جلسات الكونجرس أن يعرضا لاحقاقه فحسب بل بأخلاقه كذلك .

وحاول شهود وزارة الخارجية أن يهدموا قصة كولجروف بأن نددوا ببعض التفاهات ، وكاد يقع تحت طائلة العقاب . وعلى كل فقد أثبتت حوادث سنة ١٩٦٠ أن كولجروف كان محقاً وأن وزارة الخارجية اضطرت منذ ذلك الوقت أن تعترف بصحة كثير من اتهاماته — بيد أن هذا حدث بعد مضى وقت طويل ، وبعد أن كاد الشرر يتطاير من عينى الحكومة بسبب نشر أنباء تحط من قدرها .

---

(١) المقصود بهذا اللفظ هنا الشخص غير المساير للأساليب الأمريكية ( المترجم ) .

وكانت ثمة جلسات عديدة عقدها الكونجرس بشأن برامج المعونة — تناولت بعضها الهند الصينية — كشفت عن أشياء مذهلة فاقت تلك الأشياء التى كتب عنها كولجروف . ومهما يكن من أمر ، فقد شهر بكولجروف لأن المقالات التى نشرت فى صحف « سكريبس هوارد » كان يقرؤها عدة ملايين من الأمريكيين . أى أنها تؤثر فى الرأى العام . ولسوء الحظ ، لايطلع الأمريكيون على تقارير لجان الكونجرس ، وعادة ما تهمل الصحف نشرها .

قضيت ذات مرة أمسية من الأمسيات أناقش فيها موضوع « نشاط الأمريكيين الخاص بجمع المعلومات عبر البحار » مع جماعة من الخبراء فى جامعة هارفارد . وحضر هذه المناقشة إثنان من موظفى السلك الدبلوماسى السابقين . فقالا : إن تمثيلنا يعد رائعاً فى الدول الأوروبية الكبرى مثل انجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، ولكننا نخفق فى تمثيلنا فى الدول الصغرى فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية . فالموظفون الأمريكيون لايعرفون ماذا يجرى هناك . ولهذا يكون نصيبنا الفشل .

وأضاف الموظفان السابقان فى السلك الدبلوماسى قولهما : إن موظفينا كأفراد أذكياء مخلصون لوطنهم ؛ بيد أن « النظام » يحول بينهم وبين القيام بعمل منتج . ووضحا ما يعنيانه بكلمة « النظام » .

فأولا ، من التقاليد المعمول بها فى حكومة الولايات المتحدة ألا يكون الشخص متخصصاً . ذلك أن أعضاء الحكومة الكبار الذين تتكون منهم هيئات اختيار الموظفين يرقون فى العادة الشخص الذى يمتاز بخبرة متنوعة وشخصية لطيفة متخطين بذلك المتخصصين العلماء ذوى العقول الراجحة . ثم قالا : إن هذا ينطبق على الهيئات الحكومية .

ولهذا ، فليس ثمة فائدة تعود على الشخص من أن يكون متخصصاً فى منطقة من المناطق تخصيصاً يتسم بالكفاية والإخلاص ، وخاصة إذا كانت هذه المنطقة قطراً صغيراً نائياً مثل لاوس أو كوريا .

ثم أردف موظفا السلك الدبلوماسى السابقان بقولهما : إن معظم الموظفين الحكوميين يفضلون وظائف فى المراكز التى تبعث على البهجة أكثر من غيرها . فالعيش مثلا فى أوروبا يعتبر مريحا ؛ فهناك الطعام الجيد والبيئة الصحية ، والمسارح والسيمفونات ، والثقافة التى نألفها .

وعلى العكس من ذلك ، نجد أن المعيشة فى مكان مثل بنوم بنه أو ڤينتيان معيشة خشنة كئيبة . فهناك عوامل تورث الوهن تندرج تحتها الملاريا والطفيليات المعوية ، والثعابين السامة . فضلا عن أن المناخ غير ملائم ؛ كما أن الكماليات والملاهى مما يندر وجودها .

فلم ، إذن يتعين على صاحب الوظيفة أن يتطوع لكى يصبح متخصصا فى منطقة لا تكاد تجلب له نفوذا أو ترقية أو راحة جسمانية ؟

ثم ذكر الموظفان السابقان فى السلك الدبلوماسى عاملا آخر من شأنه أن يقلل من فاعلية الأمريكيين فى الخارج . فالبلاد الأجنبية نفسها لا ترغب فى وجود أمريكيين أقوياء ذوى دراية . إذ أن مثل هؤلاء الخبراء الحاذقين يعرفون الأساليب والفخاخ والدسائس التى يستخدمها أهل البلد بالنسبة للموظفين ، الذين يحاولون إرضاء الناس ، والذين تنقصهم الخبرة والدراية .

ففى أثناء الحرب العالمية الثانية مثلا ، حينما أنشئت قيادة أمريكية فى الصين ، أبلغ أحد المسئولين الصينيين القائد الأمريكى بأنه لما كانت الصين قد أصبحت تتمتع الآن بوضع مستقل ، فليس من الصواب بالنسبة للصينيين أن يتحملوا الإهانات والشتائم التى كانوا يتعرضون لها سابقا من جانب « الأمريكيين القدامى فى الصين » . ولهذا طلب من المسئولين ألا يرسلوا إلى الصين إلا أمريكيين عديمى الخبرة لا يتحدثون اللغة الصينية .

لقد انطلت هذه الخطة على القائد الأمريكى تماما ، وحيل بين الخبراء بشئون الصين وبين وجودهم فى هذه المنطقة . وكان أن التحق بالقيادة الأمريكية بدلا

من هؤلاء الخبراء جماعة من الأمريكيين المتحمسين الجهلة ( بشئون الصين ) . وعين لكل منهم مترجم صيني رسمى . ولم يكن من قبيل الصدف أن هؤلاء المترجمين كانوا أعضاء فى بوليس شان كاى — شيك السرى المدرب تدريبا ممتازا .

ومرة أخرى تدار شئون الولايات المتحدة — التى تنطوى على تحركات مئات الآلاف من الجنود ، وينفق عليها آلاف البلايين من الدولارات — على أساس من المعلومات الملفقة . واليوم أصبحت الصين ، أكبر دول العالم ، بلدا شيوعية ، وليس لنا معها أية علاقات دبلوماسية من أى نوع من الأنواع .

وعلى هذا فنحن نقوم بتصريف شئون علاقاتنا الخارجية على أساس حقائق يشتبه فى صحتها . إن مثلنا مثل فريق واهن أرسل للاشتراك فى المباريات الدولية . فلا غرو أن كثيرا من زعمائنا أصبحوا من الجبن بحيث لا يجرءون على اتخاذ قرارات صعبة . ولا غرو أنهم يسوفون الأمور ، ويبدو عليهم أنهم يأملون فى أن تصل بنا السمعة الطيبة التى تتمتع بها أمريكا إلى بر السلام بطريقة من الطرق . ذلك أنهم لا يملكون معلومات دقيقة يبنون عليها قراراتهم . وكل مالديهم ، على الأكثر ، هى الإشاعات البالية ، والأنباء القائمة على الحدس والتخمين ، والدعاية التى يبثها هواة يجهلون الحقائق .

---

## السرية فى الحكومة

إن عقيدة السرية فى الحكومة آخذة فى النمو * .

ولقد انتشر هذا الإجراء على نطاق واسع وروتينى بحيث أصبح عدد الموظفين الذين يعهد إليهم بحفظ المعلومات أكثر من مليون موظف فدرالى ، حسب ماورد فى الشهادة التى أدلى أحد المسئولين بها أمام اللجنة الفرعية للمعلومات الحكومية التابعة للكونجرس . وهذا يعنى أن واحداً من كل مائة وثمانين أمريكيا يقوم بطبع كلمة «سرى» على الأوراق . وهكذا أصبح جهازنا الوقائى من الضخامة بحيث لم يعد ذا أثر فعال بالنسبة للموضوعات السرية فعلا ؛ وبدلا من ذلك تحول إلى وحش ضخم غالباً ما يزدرد الأنباء التى ينبغى أن تكون معلومات علنية .

طلب النائب دانيل چ . فلد Daniel J. Flood صوراً للأثاث الذى فرشت به طائرات النقل الحربية ، وكان هذا الأثاث قد صنع من نوع ردىء من القطيفة ، وقد طبعت على هذه الصور كلمة « سرى » . ولم يسلم حتى خطاب عضو الكونجرس الذى طلب فيه الصور من أن يختم بكلمة « سرى » . ومن ثم قال النائب فلد : « يلوح لى أن الغرض من هذه السرية هى حماية البيروقراطيين من الحرج ، وليس الغرض منها حماية الأسرار العسكرية من خصوم البلاد الألداء » .

---

* معظم الأمثلة النوعية الواردة فى هذا الفصل قامت بجمعها ونشرها « لجنة سيجما دلتا تشى لتشجيع حرية نشر المعلومات .
Advancement of Freedom of Information Committee of Sigma Delta Chi ».
وهى جمعية أخوية مؤلفة من بعض الصحفيين المحترفين . وحملتهم التى يقومون بها للقضاء على السرية التى لا ضرورة لها فى الحكومة تعد حملة بارعة .

من الواضح أنه من الضرورى الاحتفاظ بالمعلومات الحيوية المتعلقة بشئون الدفاع والسياسة بعيداً عن متناول أيدى الأعداء . لاينكر المواطنون هذا . فإن السهر على حراسة المعلومات التى يحتم القانون صيانتها بحق لهو أمر بالغ الأهمية ، ولكن هذا الأمر ينطوى على بعض الأخطار الكامنة فيه — ذلك أنه إذا تسربت بعض هذه المعلومات ، فمن الممكن أن تؤدى بالأمة إلى الدمار أكثر مما يؤدى إليه فقد معلومات مبوبة كمعلومات سرية .

ففى الثانى من شهر يولية سنة ١٩٥٧ نشرت صحيفة الديلى نيوز Daily News التى تصدر فى شيكاغو أن أحد التقارير بشأن جشع الموردين الأجانب الذين يتعاملون مع الهيئات العسكرية الأمريكية وإدارة التعاون الدولى قد اعتبر سرياً ولن ينشره ديوان المحاسبة العام . وقد ورد فى هذه الصحيفة أنه قد تم التستر على هذه الفضيحة لكى يحال دون إثارتها أثناء نظر الكونجرس لمخصصات الدفاع والمعونة الخارجية فى الميزانية .

غالباً ما تصبح الادراج التى أحكم غلقها على الأسرار الحكومية مخبأ للمشاكل العامة التى يخشى الموظفون مناقشتها ؛ أو لتشريع يودون تعطيل صدوره ؛ أو لفضائح يرغبون فى إخفائها . وهى ، فضلا عن ذلك ، تمد الحكومة بوسيلة غير مشروعة للإفراج عن المعلومات العلنية بالقدر الذى يلائمها فحسب .

ولا شك فى أن تقريرات المخابرات التى تصدر عن إدارة المخابرت المركزية تعد فى أعلى مراتب السرية . ومع هذ ففى التاسع عشر من نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، عشية اليوم الذى كان موظفو إدارة المخابرات المركزية سيدلون فيه بشهادتهم أمام لجان الكونجرس عن مدى فاعلية نشاطهم ، أسر رجال المخابرات إلى بعض الصحفيين المقربين بأنهم قد أنذروا البيت الأبيض بأن هجوماً بريطانيا — فرنسياً — اسرائيلياً سوف يقع على مصر فى ظرف أربع وعشرين ساعة . ولو أن ما جاء

بتقرير المخابرات كان على العكس من هذا ، لما كان هناك أدنى شك فى الزعم بأن الأمر كان سريا للغاية بحث لايمكن إفشاؤه .

ولقد بدأت نوبة الذعر من أجل السرية مع اكتشافنا للقنبلة الذرية ، فطالما كانت أمريكا تحتكر هذا السلاح ، كان بوسعها أن تحافظ على النظام فى العالم ، وكان فى مقدورنا أن نرفع أصواتنا بمطالبنا الدبلوماسية فى قوة وصراحة . فقد كان تفوق أمريكا العلمى والفنى يجعل علاقتنا الدولية ميسرة . وكانت السرية التامة بشأن القنبلة تضمن استمرار هذا الموقف السار . ثم كانت الصدمة العنيفة حينما علمنا بأن الروس يملكون القنبلة كذلك .

فمن ذا الذى عكر صفو طمأنينتنا ؟

هنا توالت ضربات ساحقة : اعترافات إيجور جوزنكو Igor Gouzenko الكاتب القانونى الروسى الذى اعترف بوجود شبكة ضخمة فى أمريكا وكندا — شبكة معظم أعضائها من الأمريكيين والكنديين . كما صدمنا أيضاً بمحاكمة الجرهيس Alger Hiss ؛ والشهادات التى أدلى بها بنتلى Bentley وتشيمبرز Chambers ؛ وإدانة آلن ماى Allen May ، وكلاوس فوخس Klaus Fuchs ؛ والحرب الكورية ؛ وأخيراً النصر الذى أحرزه الروس بإطلاق الصاروخ « سبوتنيك Sputnick » .

وبدا أن الجواسيس ، وناقلى الأسرار ، ومشيعى الفتن ، والمفسدين يزحفون من كل مكان ، من تحت السجاجيد ، ومن خلف النوافذ والأبواب . وانتابت البيروقراطيون نوبة هستيرية ارتاعت لها أفئدتهم . من أين يمكن أن تأتى هذه العوامل التى تعكر صفو الأمن والطمأنينة ؟ ( ومع ذلك ، ورغم الإجراءات الخانقة فى سبيل توطيد الأمن ، فإن كل سفارة ، ووحدة عسكرية ، ومكتب للاستعلامات الأمريكية ، ومؤسسة تابعة لإدارة التعاون الدولى عبر البحار —

وحتى إدارة المخابرات المركزية - كانت تستخدم الأجانب فى وظائف عمال للتليفونات ، وموظفين للاستقبال ، وسائقين ، وخدم - وفى بعض الوظائف الأخرى حيث يطلعون على ما يدور من أحاديث بين موظفى السلطة التنفيذية الحكومية ، ويلتقطون الأوراق ، ويشهدون ما يجرى فى المكان كل يوم ، ويلاحظون وصول ورحيل شخصيات يحملون أوامر سرية .. الخ ) ومن ثم بدأنا نؤشر بكلمة « سرى » على كل شىء .

رفضت وزارة البحرية أن تأذن للكابتن چورچ وكامبل Captain George W. Campbell بأن ينشر قصة الطرادة إنديانا پوليس Indianapolis - التى غرقت أثناء الحرب العالمية الثانية - فى صحيفة « ساتر داى إيڤننج بوست Saturday Evening Post » بحجة أن نشرها سوف يحول دون تعبئة الجنود . وحينما حصلت صحيفة « ساترداى إيڤننج بوست » أخيرا على إذن بالإفراج عن القصة من وزير البحرية ، أرسلت إدارة هيئة موظفى البحرية خطابا ختمت عليه عبارة « رسالة خاصة » إلى الكابتن كامبل تهدده فيها بتوجيه اللوم إليه .

لقد كانت نتيجة استفحال جنون السرية أن أنكر على المواطنين معرفة ماتقوم به الحكومة التى يعتبر هدفها الرئيسى خدمة المواطن . فقد أصبح الرجل البيرواقرطى شخصا مغرورا يحيط نفسه بهالة من التقديس ؛ وهكذا حيل بين الرجل العادى وبين أن يعرف مايقوم به هؤلاء البيروقراطيون ، ناهيك بالسيطرة عليهم .

وقد نفت مصلحة البريد الأنباء التى وردت فى صحيفة « إنديانا پوليس نيوز Indianapolis News » بشأن أسماء الأشخاص الذين قاموا بتأجير مبانى مكتب البريد فى إنديانا للحكومة ، وقيمة الإيجار ، ومدة العقد .

وتنحصر المشكلة فى : إلى أى مدى يمكن أن يتنازل المواطنون للحكومة ( و المصالح العامة الأخرى ) عن « حقهم فى أن يعرفوا » دون أن ينزلقوا تجاه النزعة الكلية ؟ فإذا اختار الأمريكيون الأحرار عن طواعية أن يتنازلوا عن جزء من حقهم فى معرفة ماتقوم به الحكومة - وذلك لأن طارئا ما يقتضى ذلك - فإن هذا من حقهم بصفتهم أعضاء فى مجتمع حر . بيد أن هذا لم يحدث بعد. فنحن نريد فى الوقت الحاضر أن نكون على بينة مما يجرى ، ولكن هذا قد أنكر علينا.

وقد أفتت وزارة الدفاع أنه ما من شخص يخول له أن يعرف مواقع القواعد العسكرية - حيث تباع زجاجات المشروبات الروحية - سوى هؤلاء الأشخاص الذين لهم « مصلحة شرعية » فى ذلك . وقد ذكرت الفتوى على وجه الخصوص تجار الجملة للمشروبات الروحية ، ولكنها أشارت إلى أن أية عضو مثلا فى اتحاد السيدات المسيحيات لمنع المسكرات ، لاينبغى أن يباح لها معرفة هذه المواقع لأنها ليست ذات مصلحة « شرعية » فى ذلك .

وقد كتب السناتور ت . س . هننجز الابن T. C.Hennings Jr. فى عدد ابريل سنة ١٩٥٩ من مجلة بروجرس Progress يقول : « قد يكون من أبرز الأمثلة على إخفاء المعلومات إخفاء صريحا فى السنوات الأخيرة هو رفض الوزارة الإفراج عن تقرير جيثر Gaither Report لكى يطلع عليه الكونجرس . وكان هذا التقرير قد رفع إلى رئيس الجمهورية بواسطة جماعة من المواطنين البارزين بعد دراسة مستفيضة لمطالب الأمن القومى . وتفيد الأنباء أن هذا التقرير كان يحذر بأن الولايات المتحدة تواجه أعظم خطر فى تاريخها . ورغم الأهمية الكبرى لتقرير جيثر بالنسبة للأمة جمعاء أحجمت الوزارة عن الإفضاء بفحواه إلى الكونجرس أو إلى الشعب ، ويبدو أنها كانت تخشى من الحرج السياسى البالغ ، والاضطراب العام اللذين كانا من المحتمل أن يسودا نتيجة لذلك » .

ولقد دار نقاش طويل حول تقرير جيثر ، ويعتقد كثير من المسئولين أنه كان من الصواب أن تخفى المعلومات عن كل من الكونجرس والشعب على أساس

أنها فى ، الواقع ، أبحاث قامت بها لجنة تابعة لرياسة الجمهورية كتوصية للرئيس .
وعلى كل ، حينما تسربت الإشاعات القائلة بأن اللجنة كانت تعتقد أن الأمة تتعرض لخطر محدق ، رأى كثير من المشرعين والمحررين أنه ينبغى أن تواصل بعض هذه المعلومات طواعية إلى الكونجرس . ولكن هذا لم يحدث قط .

حاول أحد الناشرين لبضعة شهور أن يحصل على قائمة بأسماء خمسين من الموظفين الكبار فى وزارة الدفاع كانوا حاصلين على « أجازة بمرتب » . ومعنى هذا التعبير أن هؤلاء الأشخاص كانوا يتقاضون مرتباتهم المنتظمة من أصحاب الأعمال الخاصة الذين يعملون لديهم وكذلك مرتبات كاملة من وزارة الدفاع . ورفض القائمون بالأمر أن يعطوا الناشر هذه القائمة .

تفاقمت هذه السرية فى الحكومة فى السنوات الأخيرة . ولقد كان جورج واشنطون George Washington هو الذى سن مبدأ حق السلطة التنفيذية ، لكى يحافظ على سرية مشروعات البيت الأبيض ، ومباحثاته ، ومراسلاته . مثل هذا الإجراء الوقائى كان لازما لرئيس السلطة التنفيذية آنذاك ، ولكن الآن ( سنة ١٩٦٠ ) قد عم هذا المبدأ بموجب قرار جمهورى وفتوى أصدرها النائب العام بأن يشمل هذا المبدأ كل أنواع النشاط التى تهيمن عليها السلطة التنفيذية وهى تشمل ، بطبيعة الحال ، وزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، وإدارة التعاون الدولى . وبالإضافة إلى ذلك ، نجد أن معظم أجهزة السلطة التنفيذية — وقوامها حوالى ألفى وكالة نشيطة ، ومكتب ، وإدارة ، وأكثر من خمسة آلاف مكتب استشارى — تصرف أمورها فى سرية تشبه سرية « الجلسة التنفيذية » . ومثالا على هذا « الستار الحديدى » نذكر أن الخمسة آلاف مكتب استشارى لاتسمح حتى بجعل مضابط جلسات اجتماعها فى متناول أيدى الموطنين — الذين يدفعون الضرائب — لكى يقوموا بفحصها .

يحدث أن ترسل وفود من موظفى وزارة الخارجية وإدارة التعاون الدولى إلى الدول الأجنبية لتقييم البرامج الأمريكية هناك . وهذه التقريرات التى تكتب

لاتوضع تحت تصرف الكونجرس ، وذلك بحجة « حق السلطة التنفيذية » . كيف يمكننا إذن أن نعرف ما يجرى من أمور ؟ هل ينبغى على أعضاء الكونجرس أن يذهبوا عبر البحار ؟ أم يجدر بنا أن ننتظر حتى يحدث انفجار دولى قبل أن نفيق من سباتنا ؟

إن مبدأ العمل « بالمعلومات ذات المكانة الخاصة » هو وسيلة أخرى من وسائل الحكومة لإخفاء ما يجب أن يكون مشاعا بين أفراد الشعب فى كثير من الأحيان . كما يستخدم المسئولون خاتم « المعلومات ذات المكانة الخاصة » لكى يحجبوا « الأسرار » الكريهة أو المرة المذاق عن الناس . فمن المستحيل أن تحصل على قوائم بأسماء أعضاء الكونجرس وزوجاتهم وتابعيهم الذين يقومون برحلات مجانية فى جميع أنحاء العالم ، ( ومع ذلك ينفقون مبالغ يحصلون عليها لنفس الغرض مما يسحبونه بلا انقطاع من أموال سفاراتنا فى الخارج . ) وهذه الأموال تعتبر « للإنفاق على المهام الرسمية فقط » .

وخشية أن يؤدى غضب الشعب إلى وضع حد لهذه الرحلات ، فإن رحلات « الاستطلاع » التى يقوم بها معظم الموظفين الرسميين وزوجاتهم تعتبر سرية . وهذا الخوف من جانب الموظفين قائم على أسباب وجيهة . ذلك أنه إذا عرف الشعب سر هذه الرحلات ، فإن معول الرأى العام سرعان ما يقضى عليها . ففى العام الماضى ثبت أن أكثر من ألف من الشخصيات البارزة قاموا « برحلات استطلاعية » إلى هونج كونج وحدها — وهى مكان لايحتاج إلى كبير استطلاع ، ولكنها مكان ممتاز لابتياع الأشياء ، وحافل بالمناظر الجميلة .

ويبدو أن مدى إخفاء الحقائق لا يقف عند حد . فقد رفضت وزارة الزراعة أن تعطى صحيفه « أبردين إجزامنر Aberdeen Examiner » ( التى تصدر فى مسيسبى ) أسماء فلاحى مسيسبى الذين تدفع لهم مبالغ نظير عدم قيامهم بزراعة القطن .

لقد بلغت السرية الفدرالية درجة كبيرة حتى أن السجلات التى تقيد فيها المصروفات الفدرالية المتحصلة من دولارات الضرائب لا يباح للمواطنين الاطلاع عليها ، وكذلك الحال فيما يختص بسجلات المدينة والمقاطعة ، وحكومة الولاية فى جميع أنحاء البلاد .

عجزت صحيفة « ذا دايتون هرالد - جورنال The Dayton Herald-Journal » عن الحصول على إحصاء رسمى بقيمة المبالغ التى أنفقت على المعرض السنوى القومى الطيران ، على الرغم من أن سلاح الطيران قام بتأثيث معظم الطيارات وتجهيز معظم الطيارين على حساب دافعى الضرائب .

لقد صرفت مبالغ تقدر بحوالى ثمانين بليونا من الدولارات على المعونة الاجنبية . وإذا كنا نعرف مدى المبالغ الى صرفت فى مناطق برمتها ؛ فإن قيمة المبالغ التى تصرف على كل دولة على حدة تعتبر سرية ، وعلى هذا كيف يمكن للشعب الأمريكى ، مع هذه السرية ، أن يتأكد مما إذا كانت بلايين الدولارات من الضرائب التى يدفعها تنفق بأمانة فى أوجهها المشروعة ، وفى الحدود المرسومة ؛ خاصة وأن تاريخ إنفاق هذه المبالغ فى الماضى تفوح منه رائحة العجز والفساد ؟

وقد شهد على ذلك وليم ه . فيتزپاتريك William H. Fitzpatrick ، أحد رؤساء تحرير صحيفة « وول ستريت جورنال Wall Street Journal » بقوله : « إذا أصرت الحكومة على السرية فكيف يمكن للناس أن يجتمعوا لمناقشة حالة الدولة أو يتقدموا للحكومة بمطالبهم التى تمس حياتهم الشخصية وثرواتهم ؟ إذ أن هذا هو الهدف الأسمى من وراء ازدياد السرية . . . ولكن الشعب الذى لايزود بالحقائق لابد وأن ينتهى به الامر إلى أن يصير شعباً مزوداً بمعلومات خاطئة ، وهذا الشعب الذى يلم بمعلومات خاطئة ، لايعد شعبا حرا ، رغم أن البعض قد يخبرونه بأنه أكثر أمنا وسعادة فى ظل الخضوع للسرية » .

— ٨ —

## الحكم القائم على الدعاية

وقف حارس خارج الباب المغلق يمنع الأشخاص الذين لا يحملون تصريحا بالدخول . وفى الداخل ، كانت إحدى لجان التحقيق التابعة للكونجرس تنتظر بفارغ الصبر أن تشرع فى العمل . وكان رجال الكونجرس يطالعون قصاصة من الورق تحمل كلمة « سرى » ، وهم ينفثون دخان غلايينهم وسجائرهم . وفى وسط الجماعة وقف خبير من خبراء الشئون العامة ؛ كان يتحدث فى تؤدة ، وهو يشرح بعناية بالغة ماجاء فى الورقة السرية . كانت صحيفة تعليمات تبين كيف يمكن الحصول على أكبر قدر ممكن من العناوين الرئيسية والدعاية للتحقيق المقبل الذى سوف يقوم به الكونجرس .

وقد أوضح الخبير لأعضاء اللجنة كيف ينهون الجلسات اليومية بحيث يمكن أن تحتل أعظم مكانة بين الأنباء ، وكيف ينتزعون أكبر مساحة ممكنة مما تفردها الصحف لنشرة صحفية ، وكيف يحركون الشهود بحيث لاتتلف زاوية الدعاية التى قد تسعى اللجنة لاستغلالها فى ذلك اليوم * .

هذه الرغبة فى الدعاية من جانب اللجنة هى أمر شائع فى الدوائر الحكومية . فكل موظف تقريبا ، من الرئيس إلى أصغر موظف ، متهم بالتلاعب بالأنباء

---

* هذه النقاط الوارد بيانها بشأن التعليمات السرية قد ذكرت فى كتاب « الشعبة الرابعة فى الحكومة The Fourth Branch of Government » تأليف « دوجلاس كيتر Douglass Cater » .

والتحكم فيها ، فى مجال الصراع من أجل احتلال ونهب العناوين الرئيسية . ويلقى موظفو واشنطون قدرا ضخما من المساعدة فى « حكومتهم القائمة على الدعاية » . ففى واشنطون يبلغ عدد رجال العـــلاقات العامة الحكومية ضعف عدد الصحفيين .

وفى غمار المجهودات التى تبذل لمحاولة التأثير على أصواتنا وآرائنا غالبا ماينسى رجال الكونجرس ـ ومعهم معظم الموظفين العموميين الآخرين ـ أن إحدى مهامهم الرئيسية هى أن يطلعوا الشعب على أحوال ومشاكل أمتهم ، وأن يشرحوا لنا المسائل الهامة حتى يمكن أن نفهمها . ولهذا الغرض بالذات أنشئت وظيفة « موظف الاستعلامات العامة » (أو موظف الشئون العامة أو الملحق الصحفى) .

ومهما يكن من أمر ، فإن الواقع أن موظفى الاستعلامات العامة ( الذين ينطقون بلسان الوزارات الحكومية المختلفة ) قد ضلوا سواء السبيل . فقد كفوا عن القيام بخدمتك وخدمتى . وتحولوا بدلا من ذلك إلى عملاء صحفيين . فإنهم يسخرون جل طاقاتهم ومواهبهم لكى يظلوا هم ورؤساؤهم ممسكين بزمام السلطة ، يحصلون على بعض المنافع ، أو « يزوقون » مكاتبهم ، ولو على حساب المكاتب الأخرى فى أغلب الأحيان . وقصارى القول ، أن كثيرا من مجهودات الحكومة تبعثر فى سبيل الحصول على رأى عام مرسوم سلفا . فالموظفون يسعون عن طريق بعض النشرات الاستعلامية المنتقاة أن يملوا علينا مايعتقدون أنه الصواب ؛ كما لو كانوا يخشون القرارات التى قد نتخذها بأنفسنا لو أننا اطلعنا على الحقيقة كلها .

ويلوح أن أعضاء الشيوخ ورجال الكونجرس ( الذين ينحون هذا النحو ) يقومون بالدعاية لأنفسهم بقوة وبراعة تفوقان القوة والبراعة اللتين يستخدمهما الموظفون العموميون الآخرون . وربما يكون السبب فى هذا هو أن الأضواء القومية التى تسلط على منصات مجلس الشيوخ والنواب أقوى من أى أضواء أخرى .

وعلى الرغم من أن السناتور جوزيف مكارثى Josep MhcCarthy أصبح الآن فى عداد الأموات - ويكاد يكون فى زوايا النسيان - إلا أنه كان أستاذا فى التلاعب بالرأى العام من أجل الوصول إلى أغراضه التى كانت تنحصر فى النفوذ الشخصى ، فقد كان يستخدم العناوين الرئيسية بطريقة فعالة لإرهاب الناس ، وإبطال مفعول الموظفين ، وإقصاء أى شخص يعترض طريق نزواته .

لقد لاقى مكارثى نجاحا كبيرا ؛ لأنه اكتشف وأفاد فائدة تامة من تقليد تتبعه الصحافة الأمريكية ، وهو أن معظم الصحفيين ينقلون الأنباء « مباشرة » ، أى أنه إذا صدر عن شخص ذى مكانة كلام مثير - حتى ولو لم يكن صادقا - فعادة ماتنقل الصحافة تصريحه بالحرف الواحد ، دون اعتراض على مادة الحديث ؛ كما أنها لا تذكر للقارئ أية مناقشة لصحة الحديث ( أو لافتقاره إلى الصحة ) . أى أن الصحافة ببساطة تقوم بعمل المرآة . ولذلك فإن الهذر الفارغ الذى يصرح به أحد الحمقى يحصل على نصيب من الدعاية يعادل نصيب الحديث المتزن المدروس الذى يدلى به أحد الوطنيين العباقرة ، إذا كان ذلك الأحمق يعتبر «خبيرا» وقت الإدلاء بهذا الهراء . وكلما كان الحديث أشد قوة وأكثر استحالة ، كلما كبر فى العادة العنوان الرئيسى الذى يدل عليه والمساحة التى يشغلها فى الصفحة الأولى .

وحينما يثور أحد كبار رجال الكونجرس أو الموظفين العموميين ممن هم فى مركز مكارثى ثورة كلامية علنية ، فإن الصحافة تقوم بمجرد وصف ما حدث . ولاتذكر بالطبع الظروف التى قيل فيها هذا الحديث أو أهميته . والأمر متروك للقارئ ( الذى لايستطيع أن يوجه أسئلة أو يعارض الحقائق المزعومة ) لكى يميز بين الصدق والكذب . ويؤكد رجال الصحافة أن هذه المسئولية تقع على عاتق القارئ ؛ حتى ولو لم نكن ، أنا وأنت ، غير مهيئين عموما لحمل مثل هذا

العبء بمفردنا . ومن الجلى أنهم ينسون أننا نعتمد عليهم فى إمدادنا بالمعلومات الكاملة عن الأحداث .

وحينما أعلن مكارثى من منصة مجلس الشيوخ أن بين يديه قائمة بأسماء مائتين وخمسة موظفين من موظفى وزارة الخارجية يحملون بطاقات عضوية الحزب الشيوعى ، لم يكن ثمة داع للشك فى أن لديه مثل هذه القائمة حقيقة . فهذا هو ما جاء فى الصحف . ولو أن صحفيينا طلبوا من مكارثى أن يلقوا نظرة على الأسماء ثم رفض ، لدخل فى روعنا أن الصحافة سوف تقوم بفضح أمر هذا الأفاك بالخط العريض .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث . فقد قال مكارثى بطريقة مسرحية : إن بحوزته أسماء مائتين وخمسة شيوعيين مدونة على قصاصة من الورق ( والواقع أنها لم تكن فى حوزته ) ؛ ونقلت لنا الصحف حديثه « مباشرة » — مضاعفة الخديعة بهذه الكيفية .

كان مكارثى يعرف أن هذا سوف يحدث ؛ وكانت هذه الثقة العمياء هى التى سمحت له بأن يفرغ ما فى جعبته طيلة عدة سنوات — وهو يحصل دائما على الدعاية من اتهاماته وثرثرته وهذيانه . كانت خطبه تعتبر أخباراً ، فنشرتها الصحف ، مشيدة بهذا مجد المكارثية .

هذه الطريقة قد فعلت أكثر من مجرد التأثير فينا . ذلك أنه حينما يبرز جانب واحد من مسألة من المسائل فى جميع الصحف يوما بعد يوم ، فمن الممكن أن تحدث ظاهرة خطيرة : إذ أن الاستمرار فى نشر وجهة نظر ما يدخل فى روع الحكومة بطريقة لا شعورية أن وجهة النظر هذه صحيحة ؛ وأنها تمثل تفويضا من الشعب . فالصيحات التى تتعالى فى التلفزيون والإذاعة والصحافة تؤخذ على أنها تمثل الرأى العام ، على حين أنها فى الواقع لا تمثله .

وغالبا ما يكون هذا هو الهدف الذى ترمى إليه تحقيقات الكونجرس ، بالإضافة إلى المجد الشخصى ، الذى يحرزه الأعضاء — هذه التحقيقات التى تجرى على غرار الألعاب البهلوانية ، والتى تظهر على المسرح أمام التلفزيون والإذاعة والصحف . لقد سمحنا لهذه المهازل أن تقام حتى ولو كان الهدف الشرعى الوحيد من وراء التحقيق والاستقصاء هو الحصول على المعلومات من أجل الوصول إلى تشريع فعّال نافع . ويوضح دوجلاس كيتر ، أحد صحفيي واشنطون ، فى كتابه الرائع ، « الشعبة الرابعة فى الحكومة » يوضح بجلاء أن كثيراً من التحقيقات التى يقوم بها الكونجرس هى ببساطة عبارة عن وسيلة لصنع الأنباء وتوجيهها . وعلى هذا فالتحقيقات كثيراً ما تكون استعراضات جذابة يقوم بها الكونجرس لإثارة اهتمام الشعب ، وهى وسيلة لتشكيل الرأى العام الوطنى أو إضفاء الشهرة على القائمين بالتحقيق .

كتب كيتر يقول : « نادراً ما تكون أبرز التحقيقات التى تقوم بها لجنة من اللجان « تحقيقات » تكشف عن وجه الحقائق . ذلك أنها مرسومة عمداً لكى تخرج من فكرة مرسومة أصلا إلى نتيجة مقررة سلفاً ، وتقف براعة وفطنة الرئيس والعدد الغفير من الأعضاء والموظفين حجر عثرة فى سبيل أى مجهود يبذل لتحويل الخطة عن مجراها الأصلى ، فمهما يجرى من تحقيق يأخذ فى الواقع شكله النهائى قبل أن يصل إلى الجلسة العلنية . فالجلسة هى الفصل الختامى فى المسرحية . أما القصد الذى يرمى إليه التحقيق ، عن طريق القيام بتمثيل مشهد مثير ، فهو لفت أنظار الشعب ، أو توجيه الإنذار أو التهدئة من روع الناس ، أو تنويرهم ، أو الحصول على موافقتهم ، أو لزيادة الأمور غموضاً ، فى بعض الأحيان » .

ويحكى كيتر كيف أن المعلومات التى اكتشفتها اللجنة فى بعض التحقيقات المثيرة كانت فى الواقع معلومات غير ذات قيمة من الناحية التشريعية ، « ولقد

حاول الرئيس أن يستغنى كلية عن الإجراء الرسمى الذى يقتضى كتابة تقرير ، فى الوقت الذى كان كل عضو يصرح بكلام مبهم عن أن الشعب أمامه « الحقائق » ، ويستطيع كل فرد أن يصدر أحكامه الشخصية عليها » . ثم يقول : « بوسع الصحفيين الذين ظلوا ساعات طويلة يرقبون هذه التحقيقات أن يشهدوا على أنه من الصعب بالنسبة لشاهد من الشهود أن يتغلب على قوة الدعاية الهائلة التى تتمتع بها لجنة متحيزة »

هناك بالطبع بعض اللجان ، مثل لجنة مجلس النواب المختصة بنشاط الحكومة ، والتى تمتاز جلساتها بالتواضع والنزاهة ودقة البحث . وقد اكتشفت هذه اللجنة بطريقتها التى تتسم بالرزانة ، معلومات ذات أهمية بالغة بالنسبة لأمريكا — معلومات ذات أثر على تشريعات الولايات المتحدة وسياستها الخارجية . ومع هذا — وعلى الرغم من أن تقارير هذه اللجنة قد صيغت بعبارات واضحة ، ولغة سهلة ، ولاتدخل فى نطاق التقارير السرية ، إلا أن الصحافة لاتكاد تورد سطراً منها ؛ وهكذا لايدرى الشعب بما أنجزته هذه اللجنة من مهام .

فهل جهلنا نتيجة للخطأ الذى وقعت فيه الصحافة بعدم إيرادها عناوين رئيسية من شأنها أن تلفت نظرنا لأعمال اللجنة ؟ أم هو خطأ رجال الكونجرس أعضاء اللجنة لأنهم يتصفون بالنزاهة والعدل والبحث العلمى الدقيق — بدلا من أن يظهروا بمظهر استعراضى ؟ أم هل من الممكن أننا لانهتم إلا بالمسرحيات السياسية الهزلية فحسب ؟ .

ومع أن الكونجرس خاصة هو الذى يترك أثراً فعالا فى نفوس الشعب عن طريق الاستفادة من الدعاية ، فإن كل نشاط حكومى آخر على وجه التقريب ، يحاول بنفس الطريقة أن يحث أمريكا على قبول وجهات نظره .

وفى خلال رحلاتى القليلة الأخيرة إلى واشنطن قابلت عددا كبيرا من موظفى الاستعلامات العامة ، وبعضهم من الأصدقاء القدامى . وقد وجهت إلى كل منهم هذا السؤال : « ماهو المشروع الذى تعمل فيه الآن ؟ » وتدل خلاصة إجاباتهم على مغزى هام .

قال ممثل سلاح الطيران : « تدخل القذائف فى نطاق اختصاص سلاح الطيران . ولكن ينبغى علينا أن ننتزع صاروخ « البولاريس Polaris » من البحرية . »

وقال ممثل البحرية : « يجب أن نعمل شيئا فى سبيل أن نحول بين سلاح الطيران وبين أن يخدع الشعب بشأن برنامج « رجل الدقيقة » .

وقال ممثل وزارة الخارجية : « إننا صابرون حتى نرى ما سوف يحدث حين يتولى كنيدى الحكم » .

وقال ممثل الجيش : « إن سلاح الطيران يستأثر بكل الأموال ، بينما يقاسى الجيش من جراء ذلك . إننا نطالب بقسط من الأموال التى يستحوذ عليها رجال الطيران ويبددونها فى معظم الأحيان » .

إن المهام التى يسعى رجال العلاقات العامة الحكومية أن ينجزوها قد تتوفر فيها النزاهة والشرعية ؛ وقد لا تتوفر . بيد أنهم يستخدمون حيلا نفسية لكى يفرضوا عليك وعلى فكرة مرسومة . وهذه الصورة التى يحاولون أن يطبعوها فى أذهاننا ترسمها التصريحات الصحفية المعوجة ، والخطب التى تلقى فى الأوقات المناسبة ، والاستعراضات الجذابة ، و « تسرب » الأنباء الملائمة للصحفيين ، ودفع المجلات والتليفزيون إلى نشر مقالات وأحاديث الثناء ( وهى مقالات أو أحاديث يسعون بها إلى تحطيم منافسيهم ) . وليست هذه الدعاية من الشرف فى شىء . فإننا نعامل كما يعامل الزبائن الذين أصابهم الملل وهم يبحثون عن زجاجة من زجاجات المواد التى تزيل الروائح الخبيثة ، أو كمن يبحثون عن سيارة جديدة ، لا كمواطنين تقرر آراؤهم الحرة مصير ديمقراطيتهم .

ليس لدينا ما يؤكد ما إذا كانت المعلومات التى ترد من واشنطون صحيحة أم لا . وبعض الموظفين المدنيين يدلون بالمعلومات لعدة أسباب مختلفة ؛ أقلها طلاع الشعب على الحقائق . وفى بعض الأحيان يستخدم مسئول من المسئولين الصحافة ( والشعب ) كمحك لاختبار سياسة مقترحة . وهو تصرف يدل على عدم تقدير المسئولية — كما كان يفعل جون فوستر دالاس فى أغلب الأحايين : كان دالاس يعقد اجتماعا خاصاً لبعض الصحفيين المقربين . ثم يطلب إليهم «ألا يذكروا المصدر الذى ينسب إليه كل ما قاله لهم ، أى أنهم لا يستطيعون استخدام اسمه . وتكون النتيجة أن تبدأ المقالات هكذا : « يصرح كبار المسئولين فى واشنطون أن ... »

أذاع دالاس ذات مرة قصة « غير مقرونة بالمصدر الذى تنسب إليه ، يلمح فيها بأن الولايات المتحدة قد تدافع عن كيموى وما تسو . وبعد أن نشرت على الملأ ، ولوحظ رد الفعل الذى أحدثته بين الجمهور ، أصدر البيت الأبيض بيانا ينفى أن مثل هذا الإجراء الخاص بكيموى وماتسو كان محل بحث فى ذلك الوقت . ورغم أن هذا البيان لم يكن مقرونا باسم دالاس ، إلا أنه كان مؤلف القصتين معا . وبهذه الوسيلة التى كان يتم بها التلاعب بالأنباء اكتشف ما كان يود معرفته عن رد فعل الجمهور . ولكنه أحدث ارتباكا للأمة كذلك .

كتب آر ثر م . شلزينجر الابن فى مجلة « ذاريبورتر The Reporter » يقول : « لا يكاد يدرى اليوم صحفيو واشنطون ما إذا كان عليهم أن يصدقوا وزير الخارجية أم لا ، إذ أنهم لا يدرون ما إذا كان يتحدث إليهم بصفتهم صحفيين أم أنه يحاول استخدامهم كأداة للحرب النفسية ... ما هى مسئولية الصحفى حين يكتشف أن ما يشاع عن بعض تطورات السياسة ليس سوى خدعة من خدع الحرب النفسية ؟ هل ينبغى عليه أن ينشر الحقيقة معرضا بذلك مشروعات وزير الخارجية للدمار ؟ أم ينبغى عليه أن يكتم الحقيقة ، ويخدع نفسه ، ويخدع معه الشعب الأمريكى ؟ »

ومن الوسائل المشابهة التى تستخدمها واشنطون للتأثير فينا وسيلة «تسرب» الأنباء بطريقة خفية إلى أحد الصحفيين . فلا يكاد يمر يوم دون أن نطالع نبأ يتضمن جملة « بناء على تصريحات مصادر مطلعه » .

وهذا يعنى أن شخصا ما قد صرح بأنباء لم يكن فى مقدوره أن يصرح بها بصفة رسمية وأمينة . قد تكون معلومات ضد سياسة الحكومة ؛ وقد تكون سرية ؛ أو قد تكون مشوهة تشويها صارخا بحيث يخجل الموظف من أن يقرن اسمه بها .

وقد تكون القصة بطبيعة الحال مجرد إشاعة مثيرة التقطها أحد الصحفيين فى أحد المشارب ولم يكن لديه الوقت أو الجهد الكافى لتتبع الإشاعة والتحقق من صحتها .

وهذا التفسير الغامض المبهم الذى يقول : « بناء على ماصرحت به مصادر مطلعة » يشبه كتابة خطاب مجهول إلى الشعب .

لم تخجل الحكومة من المجهودات التى تبذلها فى سبيل لفت أنظارنا إلى وجهة نظر معينة ، وتشكيل الرأى العام بهذه الوسيلة . فغالبا ما نقع فى شباك آراء يتم تقريرها سلفا بواسطة نفس الأشخاص الذين ننتخبهم ونؤيدهم — الموظفين الذين يفترض فيهم القيام بتنفيذ ما نريده نحن .

---

لقد صرح سلاح الطيران لموظفى العلاقات العامة التابعين له ، حسب ما جاء على لسان كيتر ، بأن « إغراق الشعب بالحقائق مفيد للغاية . ولكن تراكم الحقائق لايرجى منه فائدة مالم يؤد إلى نتائج منطقية ؛ إذ يجب أن تكون الحقائق مقنعة ، موضحة ، وكأنها سلع متداولة ذات فوائد عملية . هذا هو النوع الوحيد من الحقائق الذى يستطيع تشكيل الرأى وتوجيه الآراء المشتتة للتفكير العام إلى حيث يريد ؛ وهذه الحقائق هى التى تقرر الأمور فى النهاية ، وتؤثر فى السياسة العسكرية كما تؤثر فيها الهزيمة وقت الحرب تماما — بالإضافة إلى أنها تجعل من

الرأى العام أقوى سلاح فعال — أقوى من الحرب نفسها » .

ولقد حاول سلاح الطيران فى جد ونشاط أن يعمل دائما بهذه النصيحة ، فأحرز نجاحاً باهراً فى التأثير على تشريع القوانين تأثيراً موفقاً ، وذلك بفضل دعايته البارعة . وربما كان سلاح الطيران أقل الأسلحة العسكرية الأربعة فاعلية خلال السنة الأولى للحرب الكورية . ولكنه استطاع أن يحصل على أقوى الدعاية أثراً فى الصحافة * .

وكذلك كانت هناك دعاية واسعة النطاق من جانب واحد ، وأنباء مهوشة ( تسيطر على الرأى العام هنا ) خلال أزمة الشرق الأوسط سنة ١٩٥٨ بحيث أن بلادنا لم تقم بأية مناقشات فى مجال السياسة القومية - سواء من جانب الكونجرس أو من جانب الشعب . وكان هذا هو الهدف الذى ترمى إليه الحكومة . فهؤلاء الذين كانوا يبدون أية معارضة كانوا عرضة للوم — الذى لم يكن يوجهه إليهم سوى رئيس مجلس النواب والرئيس إيزنهاور نفسه ؛ وكان يصحب هذا اللوم المعنى الضمنى بأن كل من يوجه أسئلة أو يبدى اعتراضا يعتبر شبه خائن .

ولكن ما هى نتيجة كل ذلك ؟ النتيجة هو أننا - أنت وأنا - نزلاء سجن من صنع الدعاية التى تقوم بها حكومتنا لنفسها . فإننا لا نعرف حقيقة ما يجرى من أمور فى معظم الأحيان ، وإذا ما أردنا أن نكتشف الحقيقة فلا بد من أن نستخدم المشاعل .

---

* موجز ثمانية شهور من العلاقات العامة العسكرية فى مؤسسة نيمان Nieman Foundation سنة ١٩٥٠ — سنة ١٩٥١ .

## — ٩ —

### الصحافة

من دواعي الأسف أن أجد لزاما على أن أقرن الصحافة بهؤلاء الذين يشتركون فى تزويد الولايات المتحدة بالمعلومات الخاطئة . ومع ذلك ، فإن المراسلين فى الخارج والصحفين المحليين هم أول من يعترفون بوجود بعض التصرفات الخاطئه ؛ وهم يقضون الساعات الطوال يناقشون ما يمكن عمله لتقويم هذا الوضع . (ولكن الناشرين وأصحاب دور الصحف هم فى العادة الذين ينكرون وجود أخطاء كثيرة فى صحافتنا الحرة ) . لاشك فى أن ثمة أخطاء عديدة ، وخير وسيلة لتفهم هذا الوضع هو إيراد بعض الأمثلة .

أراد اثنان من المصورين الصحفيين الأمريكيين ، منذ عدة سنوات خلت ، إبان حرب الهند الصينية أن يقوما بمحاولة التقاط فيلم سينمائى عن أهل ڤيتنام وهم يناقشون موضوع الشيوعية . ومن ثم سافرا إلى منطقة ريفية تقع شمال سايجون Saigon بعد أن اصطحبا معهما أحد المترجمين . وهنا قاما بمقابلة شيوخ القرية من زعمائها المحليين ، والتقطا لهم بعض الصور المتحركة .

وكان هذا الفيلم التسجيلى الذى التقط رائعاً حقاً . ولذا عرض على نطاق واسع فى جميع محطات التلفزيون . وحينما شاهدته وجدت أنه غاية فى الإقناع .

بدأ الفيلم بأحد المصورين الأمريكيين وهو جالس فى أحد الأكواخ مع المترجم الڤيتنامى وزعيم القرية الذى كان الأمريكى يوجه إليه بعض الأسئلة مثل « كيف حال المحاصيل ؟ » .

وأعاد المترجم السؤال بلغة أهل ڤيتنام . ونظر زعيم القرية فى الفضاء ، وفكر لحظة ، ثم أجاب فى تؤدة . وحينئذ قال المترجم باللغة الانجليزية : « يقول : إن المحاصيل سيئة للغاية ، وإن التذمر يشيع بين قومه » .

وكانت بعض الأسئلة الأخرى تدور حول موضوع السياسة وشعور الناس تجاه الفرنسيين .

وفى كل مرة كان المترجم يعيد سؤال الأمريكى على مهل باللغة الڤيتنامية ؛ وكان زعيم القرية الذى كان يبدو عليه أنه لم يعتد على مثل هذه الأحاديث — يدير رأسه دائماً ، ويفكر لبضع لحظات ، ثم يجيب فى تردد .

وفى سرعة فائقة ، كان المترجم ينقل ما قاله الڤيتنامى ، فى أسلوب انجليزى طلى: قال : إن الأمور سيئة فى القرية ؛ وإن الجو مشحون بالتذمر ؛ وإن المنطقة أصبحت مرتعاً خصباً للشيوعية .

كان المترجم قديراً للغاية فى توضيح دقائق المعنى . وحينما عرض الفيلم بعد ذلك فى واشنطون ، علق عدد كبير من موظفى وزارة الخارجية على حسن حظ السفارة التى يوجد بين موظفيها مثل هذا الرجل المثقف الطلق . ثم استخدم هذا الفيلم التسجيلى بعد ذلك كشريط تعليمى يعرض على الأمريكيين الذين سوف يشغلون مناصب فى ڤيتنام — وكمثل لما يجب أن يكون عليه المترجم البارع .

وحدث بعد ذلك بعدة شهور ، عن طريق الصدفة أن دعى أحد الزائرين من أهل ڤيتنام لمشاهدة عرض الفيلم . فبدت عليه أمارات الاضطراب أثناء العرض . وحينما انتهى الفيلم ، قال : أنتم تعلمون ، بالطبع ، أن هذه خدعة » .

اتضح أن المترجم لم ينقل مطلقا إلى اللغة الانجليزية ماقاله زعيم القرية بلغة أهل ڤيتنام . بل غالباً ما قلب المترجم المعنى الذى قصد إليه الشيخ . والواقع ، أنه فى بعض الأحيان لم يكن حتى يوجه إلى رئيس القرية الأسئلة التى كان يوجهها

الأمريكيان . بل كان ، بدلا من ذلك ، يقول له باللغة الڤيتنامية ، « اسمع أيها الشيخ ، إفعل كما أقول لك ، وإلا جررت على نفسك المتاعب : حينما أتوقف عن الكلام ، أريد منك أن تنظر فى الفضاء وتفكر لمدة برهة ، ثم تعد من واحد إلى عشرة فى بطء بالغ » . وحينما كان يفرغ العجوز من هذا ، كان المترجم يلفق أجوبة من عنده . أخبر الأمريكيين كيف أن الحالة فى المنطقة كانت سيئة للغاية ، وكيف أن الشعب قد حان قطافه للشيوعية .

وماذا كانت النتيجة النهائية ؟ لقد قام اثنان من المصورين الصحفيين المبرزين اللذين لاتنقصهما الدراية ، أو الشجاعة ، أو النزاهة ، بتصوير فيلم تسجيلى يقوم على المعلومات المزيفة . وقد عرض هذا الفيلم على عدد كبير من النظارة فى أمريكا فأخذوه على محمل الصدق . ولم يقتصر الأمر على هذه الأعداد الغفيرة من الجماهير فى الولايات المتحدة التى صدقت رسالة الفيلم ، ولكنه تعداها أيضاً إلى خبراء الأمة الرسميين .

ولم تكتشف هذه المعلومات الخاطئة التى أعطيت لأمريكا إلا بمحض الصدفة . ولكن هب أن الصحفيين اللذين كانا فى ڤيتنام قد قاما بتسجيل هذه الواقعة كتابة بدلا من التقاطها فى فيلم ناطق . فى هذه الحالة كانت الصحف ( ومعلقو الإذاعة والتلفزيون ) ستقوم بنشر مقال رئيسى عن الموضوع على هذا النمط :

« بها هو Bha Ho ، ڤيتنام الجنوبية فى ١٤ أكتوبر . إن الفلاحين هنا فى ڤيتنام الجنوبية ـــ هذه المنطقة الغنية بالأرز ـــ على استعداد تام لتقبل الشيوعية . وقد ظللنا طوال الأيام الثلاثة الماضية نتحدث شخصياً إلى عدد كبير من رؤساء القرى الذين يتزعمون هذا الوادى الخصيب ذا الموقع الاستراتيجى . لقد استمعنا أكثر من مرة إلى قصصهم التى تحمل بين طياتها التذمر والفقر ، كما استمعنا

مرار إلى تهديدات بطلب المعونة من الشيوعيين فى الشمال ما لم تقم بتحسين أحوال معيشتهم ... » .

كنا سنقبل مثل هذه القصة على أنها رواية واقعية رآها الصحفيون الأمريكيون رؤيا العين . وأى خيار لنا فى هذا ؟ لم نكن لنعلم قط أن اللقاء مع زعماء القرية قدتم عن طريق أحد المترجمين. ولم نكن لنشك مطلقا فى أمانة المترجم وطلاقته . وكنا سنفترض أن الصحفى الأمريكى قد اتخذ كل الاحتياطات اللازمة للتثبت من الرواية والتحقق من صحتها .

ولكننا لسوء الحظ ، نضع ثقتنا العمياء فى الصحافة فى غير موضعها . حقيقة إن لدينا بعض الممتازين من المراسلين المحترفين المختصين بالأنباء الخارجية مثل أبى روزنثال Abe Rosenthal ، وكيز بيتش Keyes Beech ، وپپر مارتن Pepper Martin ، وروبرت س . إليجانت Robert S. Elegant ، وتيلمان دردين Tillman Durdin ، وروبرت ترمبول Robert Trumbull ، وهؤلاء قليل من كثير ، وكلهم صحفيون عاملون أكفاء . إن عمل هؤلاء القلة من الصحفيين الذين يؤلفون دعامات قوية راسخة فى هذا الميدان هو الذى يمكن أن نصدقه . فإن مجهوداتهم تقف مانعا دون تحول الأنباء التى تنقلها الصحافة الأمريكية إلى عملية من نسج الخيال . وعلى كل ، فقد أثبت مراسلونا فى الخارج ، فى مناسبات كثيرة ، أنهم لايعلمون ما فيه الكفاية عن ثقافة البلد الذى يكتبون عنه ، أو تاريخه أو لغته ، بحيث يستطيعون كتابة قصة من الدرجة الأولى . كما أنهم لا يجدون متسعا من الوقت لكى يميزوا بين الدعاية والحقيقة ، أو يستطلعوا الظروف التى جرت فيها الأحداث . وحينما تصل قصصهم إلى صحفنا ، يقوم رؤساء التحرير ، الذين لايعلمون سوى القليل ، إذا كانوا يعلمون شيئا على الإطلاق ، عن الأنباء الخارجية ، يقوم هؤلاء ببتر هذه القصص وإعطائها بعض العناوين الرئيسية . وليس لدينا ـ أنت وأنا ـ وسيلة يمكن بها التأكد من صحة مانطالعه ، كما أننا لانستطيع الاعتماد على حكومتنا لكى تساعدنا فى هذا السبيل .

حاشيه : لقد أطلعت چون بروجر John Broger الذى يعمل فى وزارة الدفاع على قصة الفيلم التسجيلى الخاص بڤيتنام . ويرجع إليه الفضل فى أنه استطاع أن يعثر على هذا الفيلم ويقوم بعرضه ـ مع قصته الحقيقية ـ على بعض الرجال العسكريين من جميع أنحاء آسيا . ولما كان هذا الفيلم غير محظور عرضه ، فإنى لأهيب بالجماعات المختصة بالشئون العالمية ، وغيرها من الجمعيات الوطنية ، أن تقوم باستعارته من وزارة الخارجية وتعرضه فى اجتماعاتها .

ولقد توجه الصحافة فى بعض الأحيان اللوم إلى الموظفين الحكوميين لأنهم يحجمون عن الإدلاء بالمعلومات ـ وهذا كثيرا ما يكون فى موضعه . وعلى كل ، فهناك حالات متعددة ينبغى على المراسلين فيها ألا يلوموا إلا أنفسهم لهذا الصمت من جانب الموظفين .

ظللت عدة أعوام أعمل كمساعد خاص وضابط للمعلومات العامة للقائد العام لمنطقة الباسيفيك . وقد توالى على الرئاسة أثناء مدة خدمتى ثلاثة من الأميرالات النشطاء ، هم الأميرال رادفورد Radford ، والأميرال فليكس ب . ستمب Felix B. Stump ، والأميرال فلت Felt . ويعتبر القائد العام لمنطقة الباسيفيك رئيسا لجميع العمليات الحربية الأمريكية من الساحل الغربى لأمريكا الشمالية والجنوبية عبر المحيط الهادى وآسيا ـ حتى الباكستان . وهذه القيادة العسكرية تمس أو تتصل بدول تملك حوالى نصف تعداد سكان العالم كله . وترد من هذه المنطقة أنباء هامة كثيرة ، نظرا لأنها تشمل أقطارا مثل الصين الشيوعية ، وفرموزا ، والفلبين . وكوريا ، واليابان ، ولاوس ، وكمبوديا ، وڤيتنام الجنوبية ، وأندونيسيا ، وبورما ، والهند . ولذا فإن كثيرا من الصحفيين يجوبون هذه المنطقة .

كانت نسبة كبيرة من هؤلاء الصحفيين تمر بجزر هاواى ، وتقابل القائد العام الذى كان مقر قيادته فى بيرل هاربر Pearl Harbor . وقبل مقابلتهم مع الأميرال ، كنت فى العادة أدلهم على بعض قصاصات الجرائد ، وبعض المقالات

التى نشرت فى المجلات ، وبعض الكتب التى سوف تمدهم بمعلومات توضح الظروف التى وقعت فيها الأحداث الأخيرة فى الشرق الأقصى . وعلى كل ، فقد كان حوالى ثمانين فى المائة من هؤلاء الصحفيين يفدون إلى بيرل هاربر دون أن يطلعوا على المادة التى أوصيتهم بقراءتها أو على أى شىء آخر . ولم يكونوا يعرفون ما يكفى من معلومات بحيث يستطيعون توجيه أسئلة وجيهة إلى الأميرال ؛ وغالبا ما كانوا يبدءون حديثهم بتوجيه أسئلة كهذه : « قل لى يا أميرال : متى يهاجم الشيوعيون فرموزا ، فى اعتقادك ؟ » ... « سيدى ، أود أن أكتب بعض الطرائف ، فهل بوسعك أن تقص على بعض النوادر التى مرت عليك أثناء توليك منصب القيادة ؟ » ... « هل نستخدم القنابل الهيدروجينية فى ضرب أرض الصين إذا هاجم الشيوعيون إحدى منشآتنا ؟ » .

وحينما كان القائد يستمع إلى مثل هذا الحديث ، كان يقوم بإنهاء المقابلة بأسرع ما يمكن . وحتى لو أنه كان يميل إلى الإجابة على هذه الأسئلة المحيرة ، فقد كان يعلم أنه من العسير عليه أن يناقشها فى شىء من الفطنة والكياسة مع صحفى تعوزه المعلومات .

أما العشرون فى المائة الآخرون — من أمثال ترمبول ، وبيتش ، ودردين ، ومارتن — فقد كانوا يطلعون سلفاً على المعلومات اللازمة ، بل يزيدون عليها . وحينما كان هؤلاء الجهابذة القدامى يقومون بأخذ حديث من الأميرال ، فغالباً ما كانوا يخبرونه بأشياء لم يكن يعرفها ؛ ويدرك القائد العجوز ، بعد مضى خمس أو عشر دقائق على المقابلة ، أن أمامه شخصاً يستطيع أن يتحدث معه حديثاً منطقياً معقولا دون أن ينسب إليه مالم يقله . وتكون النتيجة أن يسمح باستمرار الحديث مدة ساعة أو ساعتين ، وغالباً ما ينهى المقابلة بدعوة الصحفى لتناول طعام الغداء أو العشاء .

لقد رأيت هذا الطراز من الصحافة فى جميع أنحاء العالم . والقلة من الصحفيين المحترفين ـــ القلة النادرة ـــ الذين يصبحون خبراء هم الذين يعرفون كيف يستفيدون من المعلومات الهامة حين تقع بين أيديهم . فلم تكن محض مصـــادفة ، أن كيز بيتش الذى يعمل فى صحيفة « شيكاغو ديلى نيوز Chicago Daily News ، كان هو المراسل الوحيد الذى حذرنا بصفة قاطعة من وقوع ثورة فى كوريا . لقد أدى واجبه عن طريق التوفر على قراءة الصحف الكورية ، والتأكد من صحة مضمونها بالذهاب إلى سيول ، والتحدث إلى بعض الكوريين. ولم تكن مجرد صدفة أيضاً أن يكون بوب إليجانت Bob Elegant مراسل النيوزويك فى الشرق الأقصى هو أول من أفضى إلينا بقصة نظام الكوميون فى الصين . فقد قضى عدة سنوات يتعلم كيف يتحدث ويقرأ ويكتب اللغة الصينية ؛ كما قضى عدة شهور مضنية يقرأ خلالها الصحف الصينية ويستمع إلى اللاجئين .وحينما تلقى نبأ هاما عرف كيف يكون مما لديه قصة متكاملة .

ولكن ما بالنا بالمئات من الصحفيين ـــ الذين يقلون كفاءة عن هؤلاء ـــ والذين يبعثون كل يوم بنسخة من الأنباء من جميع أنحاء العالم ؟ من هؤلاء نتلقى مادة غثة مهوشة رديئة الصياغة .

فهل مما يدعو إلى العجب بعد ذلك أن أصبحت الأنباء الخارجية من الموضوعات التى يقل إقبال القراء عليها عن غيرها من الموضوعات الكبرى ؟ فالصحيفة العادية لاتخصص سوى أربعة فى المائة من مساحتها الكلية للشئون الخارجية . وهذا يعنى أننا ، معشر القراء ، نقضى حوالى ثلاث دقائق فقط فى اليوم فى الاطلاع على الأحداث العالمية .

ومهما يكن من أمر ، فإن من داعى الخزى أن تخفق الحكومة ، فى بعض الحالات ، فى تقديم العون للصحافة ( وبذلك تسهم فى رسم الصورة الزائفة التى تعلق بأذهاننا عن الأحداث ) .

فى عام ١٩٥٥ على وجه التقريب نشرت فى الصحف قصة مثيرة عن هجوم صينى شيوعى على جزيرة ماتسو . ذلك أن أسطولا من سفن الشيوعيين الحربية حاول أن يستولى على ماتسو . وبعد معركة دامت ليلة بأكملها ، استطاع المدافعون الوطنيون أن يردوا العدو على أعقابه ، بعد أن خسر الشيوعيون عدداً كبيراً من السفن والرجال .

ذهبت إلى تاى بيه فى ذلك الحين ؛ وعند وصولى قابلنى حشد من المراسلين الأمريكيين وهم ثائرون ( وكنت فى البحرية آنذاك ) . ثم قالوا : إنهم تلقوا قصة المعركة البحرية الكبرى من وزارة الدفاع الصينية الوطنية فى مؤتمر صحفى . ورغم أن هذا الحدث يعتبر من الأحداث الهامة ، إلا أن السلطات الصينية لم تسمح للصحفيين بالتوجه إلى ماتسو لمشاهدة المعركة بأنفسهم . وقد صرح موظفو العلاقات العامة التابعون للصين الوطنية بأنهم سوف يوالون الصحافة بالأنباء اللازمة .

وأراد الصحفيون أن أجعل الأميرال الذى أعمل تحت إمرته يتدخل لصالحهم ، فقلت : إن هذا ليس من حق الأميرال لأن المسئول الأمريكى الأول فى فرموزا هو السفير .

فقال أحدهم : « لم نستطع أن نحصل على كلمة واحدة من هذا الوغد الزنيم » .

ذلك أنهم كانوا قد ذهبوا إلى السفارة من قبل وسألوا عما إذا كانت قصة المعركة حقيقية أم لا ، ثم طلبوا بعد ذلك أن يسمح لهم بالذهاب إلى ماتسو ، وأجابت السفارة بقولها : « ليس ثمة تعليق » ، وقد أحيط رجال الصحافة علما بأن حكومة الولايات المتحدة لاتستطيع أن تتدخل فى الشئون الداخلية لدولة ذات سيادة ؛ وأن الوطنيين الصينيين لهم الحق فى أن يصدروا التصريحات الصحفية عن أى موضوع يروق لهم .

وأصبح المراسلون الأمريكيون فى موقف حرج . فإذا كانت الرواية صحيحة ولم يتسن لهم الإبراق بها إلى بلدهم ، فقد يفوتهم هذا النبأ الهام . ولهذا — ودون أن يتحققوا من صحة النبأ — قاموا بإرسال تقرير عن المعركة إلى الألفى صحيفة أو نحو ذلك التى تصدر فى أمريكا . وذكروا فى النص عبارة « جاء على لسان متحدثين باسم الوطنيين الصينيين بأن معركة نشبت فى الليلة الماضية . . . » .

وحينما نشرت الصحف فى أمريكا هذا النبأ ، رأى القراء العناوين الرئيسية الجريئة ؛ ولكن تصادف أنهم لم يلحظوا عبارة . « جاء على لسان متحدثين باسم الوطنيين الصينيين ، وحتى إذا كانوا لاحظوها ، فإنها لم تكن لتعنى كثيراً بالنسبة لهم . ذلك أن الصحف لم تخبرنا بأن القصة ليست مؤكدة ، كما أنها لم تنبئنا بأنه لم يسمح للمراسلين بأن يشاهدوا الواقعة بأنفسهم . فضلا عن أنها لم تخبرنا بأن سفارة الولايات المتحدة رفضت مساعدتهم . وهكذا ، عند مطالعتنا لصحفنا اليومية ، قبلنا المعركة على أنها حقيقة واقعة .

وتصادف لحسن الحظ أن سافرت إلى ما تسو بالطائرة . وأثناء إقامتى هناك سالت مراقبى الجيش الأمريكى عن محاولة الغزو السالفة ، فقالوا : إنهم لم يسمعوا بها . وأخيرا تذكر أحدهم حادثة كانت قد وقعت منذ بضعة ليال . كان أحد الصيادين قد ضل طريقه . وتصادف أن توغل بقاربه فى منطقة دفاعية ، فرآه الحراس وأطلقوا بضعة قنابل من عيار عشرين ملليمترا على مقدمة قاربه لكى ينذروه بالابتعاد . وهنا أدار الصياد مركبه وعاد به ، يلفه الظلام ، إلى عرض البحر ، وكان ذلك هو كل ما حدث من تلك المعركة البحرية الكبرى . ولكننا لم نسمعها بهذه الكيفية فى أمريكا .

تثير هذه الواقعة سؤالا هاما : هل تقع مسئولية تزويد الشعب الأمريكى بالحقائق اللازمة على عاتق الحكومة ؟ وفى حالة « غزو ماتسو » مثلا ، أكان

ينبغي على الحكومة أن تدين بالولاء لدولة أجنبية أم لمواطنى الولايات المتحدة ؟
هل لحكومتنا الحق فى أن تخدعنا باسم البروتوكول الدولى ؟

وهل من واجب الصحافة أن تتجشم مشقة إعطاء القارىء فكرة عن أن مثل هذه المعلومات ليست إلا معلومات من الدرجة الثانية — أى أنها غير موثوق بها، وربما تكون مزيفة ؟ وهل من واجب الصحافة ، فضلا عن ذلك ، أن تضع عناوين تمثل دائما القصة بأكملها ، كما تمثل إمكان الاعتماد عليها كحقيقة واقعة ؟

لقد حدث مثل هذا النوع من عدم توخى الدقة فى نقل الأنباء فى فرموزا ، وكوريا ، ولاوس . فهل نستطيع أن نقول : إن نفس هذه الأعمال الشائنة تجرى فى جميع أنحاء المعمورة ؟ تدل الشواهد على صحة هذا . فقد بعثت الأسوشيتدبرس، فى الليلة السابقة لفرار باتيستا ، برقية من هافانا تفيد بأن تهديد الثوار لهافانا قد « خفت وسط عاصفة من نيران الحكومة » ، وأن قوات الحكومة « قد سحقت الليلة قوات الثوار المنسحبة حول سانتاكلارا Santa Clara وطاردتها شرقا خارج مقاطعة لاس ڤيلاس Las Villas . والواقع أن باتيستا كان يتأهب للفرار ، وكان كاسترو هو الذى عقد له لواء النصر .

فليس عجيبا إذن أن ترتكب الأسوشيتدبرس هذا الخطأ . وكانت اللهجة العامة للأنباء الواردة من كوبا طوال ست السنوات الماضية هى أيضا لهجة لم تلتزم فيها الدقة . ذلك أن الشعب الأمريكى ( وبالتالى حكومتنا أيضا ) كانا على جهل بمدى القسوة والاستبداد اللتين كان يحكم بهما باتيستا أهل كوبا . وإننى لعلى يقين من أننا لو علمنا بهذه الحالة ، لقام الرأى العام الأمريكى الثائر يطالب بوقف المعونة المادية والمعنوية عن باتيستا .

والسبب الوحيد الذى أستطيع أن أبديه فى تفسير قيام صحافتنا فى كوبا بخداعنا، هو أن عددا كبيرا من الصحف ومحطات الإذاعة كانت تعمل فى خدمة باتيستا

فلم يكن هناك بد من الثناء على الدكتاتور وكتابة القصص التي تسبح بحمده . هذه الصحف بعينها كانت من زبائن هيئاتنا التلغرافية ، كما كانت المصادر التي استقت منها صحفنا كثيرا من الأنباء الخاصة بكوبا .

واليوم بينما تصل إلى أسماعنا أنباء التذمر من الفساد ، وعهود الاستبداد ، والطغيان ، وسوء الحكم السائد فى الدول الأخرى الواقعة فى أمريكا الجنوبية والبحر الكاريبي ، نجد أن الشيوعيين قد بدءوا فى استغلال هذا الموقف . هذه المواقف السيئة لا تحدث بين يوم وليلة ، بل تحتاج إلى سنين طويلة لكى تنمو وتتطور . لماذا ، إذن ، لم نسمع بها قبل حدوث هذه الانفجارات ؟

وقد تعمد إحدى الحكومات الأجنبية فى بعض الأحيان إلى إفساد الصحافة فى حذق ومهارة . ومثالا على هذا ، تلقت « الريدرزدايجست » مقالا عن فرموزا كتبه أحد الصحفيين المعروفين الذين يعملون لحساب أنفسهم . ثم أرسلت المقالة إلى لكى أراجعها ، فوجدتها مشحونة بالأخطاء . ولم أستطع أن أفهم كيف يمكن لمثل هذا الصحفى المتمرس أن يرتكب أخطاء عديدة واضحة كهذه . كما تعجبت من السبب الذى من أجله بعثت « الريدرزدايجست » ، بهذا الكاتب إلى الصين ، إذ لم تكن لديه أية معلومات أو خبرة عن تلك المنطقة .

وقد دفعنى حب الاستطلاع إلى أن أجد فى اكتشاف الطريقة التى استطاع بها الكاتب أن يرتكب مثل هذه الأخطاء الفاضحة العديدة . وإليك ما اكتشفت :

اتصلت أحد أجهزة العلاقات العامة التابعة لشان كاى — شيك فى نيويورك بالكاتب ، وعرضت عليه أن تتكفل بكل نفقات رحلة يقوم بها من نيويورك إلى فرموزا وبالعكس إذا استطاع أن يرتبط مبدئيا مع صحيفة من الصحف الواسعة الانتشار . وقالت « الريدرزدايجست » : إنه يسرها أن ترى قصته عن فرموزا بعد أن تكتمل وتتم . واستنادا إلى هذا استطاع الكاتب أن يحصل على رحلة

مجانية إلى تاى بيه . وفى أثناء إقامته هناك « ساعدته » مصلحة الدعاية الصينية بإمداده بالمعلومات اللازمة والمترجمين اللازمين ؛ وهكذا كتب الصحفى القصة التى أرادها الصينيون .

وهذا يعنى ، بالإضافة إلى أشياء أخرى ، أن أموال المعونة الأمريكية التى يأخذها الوطنيون بغرض الدفاع يستغلونها فى الدعاية لأنفسهم فى الولايات المتحدة . كان ينبغى أن ينظر إلى هذا الكاتب فى واشنطون على أنه عميل أجنبى ، بعد أن تقاضى من حكومة أجنبية عدة آلاف من الدولارات ، هى قيمة تكاليف الرحلة .

ولحسن الحظ أن « الريدرزدايجست » كانت حريصة فى هذه الحالة بحيث طلبت مراجعة المقال ؛ وكانت النتيجة أنه لم ينشر . ولكن ما بالنا بالصحفيين الأمريكيين الآخرين الذين تقاضوا كذلك أموالا من الصينيين ، فى حالات أخرى؛ لكى يكتبوا قصصا كهذه ؟

والصين الوطنية ليست هى الدولة الوحيدة التى ترشو الكتاب الأمريكيين ؛ إذ أن هذه الطريقة متبعة فى أماكن أخرى . فكلما احتاجت إحدى الدول إلى القيام بالدعاية لأمر يهمها ، تلجأ إلى استخدام الرحلات المجانية . . فقد أرسلت الحكومة البلجيكية طائرة مملوءة بالكتاب إلى الكنغو منذ بضع سنوات ؛ مما أدى إلى ظهور سيل من المقالات التى تمتدح البلجيكيين على إدارتهم المستنيرة فى الكنغو فكيف تتفق هذه المقالات مع الأحداث التى جرت فى الكنغو سنة ١٩٦٠ ؟

ليس هناك سوى عدد قليل من الدول الأجنبية لا يقدم مثل هذه الرحلات والنفقات المجانية ، فى صراعها من أجل الحصول على الدعاية الملائمة لها .

ن الغالبية العظمى من صحفيينا وكتابنا رجال شرفاء ؛ ولكن حينما تقوم دولة أو هيئة بنقلهم على أنهم شخصيات بارزة - وخاصة إذا كانوا من رقة الحال بحيث لايستطيعون عادة أن يتكفلوا بنفقات رحلة فاخرة فى ظروف أخرى - فإن مايحدث هو أن بعض الدعاية سوف تجد طريقها إلى الصحف الأمريكية . وهذا هو السبب فى أن دور الصحف الكبيرة لا تشجع موظفيها على قبول رحلات مجانية . فإذا ماكانت المنطقة مصدر أنباء هامة ، وكانت على طريق الطائرات التجارية ، فإنها تستحق فى هذه الحـــالة أن تتكفل الدار بدفع نفقات الصحفى .

فى بعض الأحيان لاتنقل إلينا الصحف أنباء مايجرى من الأحداث ، بدافع الشعور بالوطنية . ففى بداية الحرب الكورية ، كانت القوات الأمريكية - العسكرية والدبلوماسية - فى حالة مريعة من الفوضى . وكانت العمليات التى قامت بها قوات الجيش وطائرات سلاح الطيران ، فى الشهور القليلة الأولى ، فى حالة يسيئنا أن نذكرها . حقيقة إن بعد حادثة بيرل هاربر قدم القائدان العسكريان إلى محاكمة عسكرية ، بتهمة السماح للعدو بمباغتتهما . ولكن جنودهما وطياريهما كانوا مدربين تدريبا جيدا ، واستطاعوا بعد أن أفاقوا من هول الصدمة أن يؤدوا مهمتهم فى مهارة وكفاية . أما فى كوريا فلم تكن القوات مدربة تدريبا كافيا وكانت قاصرة عن آداء مهمة احتلال المدن . وحتى معداتها كانت فى حالة يرثى لها . وفى اعتقادى أن الأمور ساءت لدرجة كانت تستدعى أن يقدم القواد إلى محاكمة عسكرية .

إننا نعلم أن القوات المسلحة لن تصرح لنا طواعية بمثل هذه الأحداث الشائنة . وعلى كل ، فإن الصحفيين الأمريكيين الذى شاهدوا كل شىء بأعينهم ، لم يصرحوا لنا بشىء كذلك .

لقد أدخلوا فى حسبانهم أنه لم يكن فى صالح الولايات المتحدة آنذاك أن تعلم شيئا عن القوات غير المدربة ، ونقص البنادق ، وقصور القوات الجوية عن حماية القوات البرية ، وقذف بنى وطننا بالقنابل ، والفوضى الإدارية فى الهيئات المدنية . وقد كانت وجهة النظر القائلة بأن من حق الصحافة أن تخفى هذه المعلومات عن الشعب الأمريكى موضع أخذ ورد . ولكن قرار إخفاء المعلومات ، فى رأيى ، قد دل على سوء الحكم على الأمور ، خاصة وأن نقائصنا لم تكن خافية على الشيوعيين .

وقد ساد الجهل بالمعلومات فى أوائل الحرب الكورية لدرجة أن الجنرال ماك آرثر نفسه لم يكن لديه معلومات كافية . فمثلا حاولت مخابرات سلاح البحرية الأمريكى أن تخطر الجنرال ماك آرثر بأن الصينيين سوف يشنون هجوما من شمال نهر « يالو » ، وأن القوات الشيوعية تحتشد فى هذه المنطقة . ولكن أركان حربه نصحوه بألا يصدق هذه المعلومات وكلنا يذكر جيدا النكبة التى لحقت بنا من جراء ذلك .

فى يوم ٢٦ أكتوبر أبلغت الفصيلة السادسة الكورية مقر القيادة الأمريكية أن القوات الصينية تشن عليهم هجوما على مقربة من نهر « يالو » . ولم يصدق المسئولون هذه المعلومات . وفى يومى ٢٧ ، ٢٨ أكتوبر هاجم الصينيون أربعة فصائل كورية أخرى . ثم التحم الصينيون بقوات الولايات المتحدة ، ولم يعترف ماك آرثر بأن الصينيين قد دخلوا الحرب إلا بعد مرور أسبوعين تقريبا ، أى فى يوم ٦ نوفمبر . لقد كان الصينيون والروس على علم بما يجرى ، بيد أن أولى الأمر أنكروا على المواطنين الأمريكيين أن يلموا بهذه المعلومات ، أنكرتها عليهم حكومتهم وصحافتهم اللتان كانتا تعلمان الحقيقة .

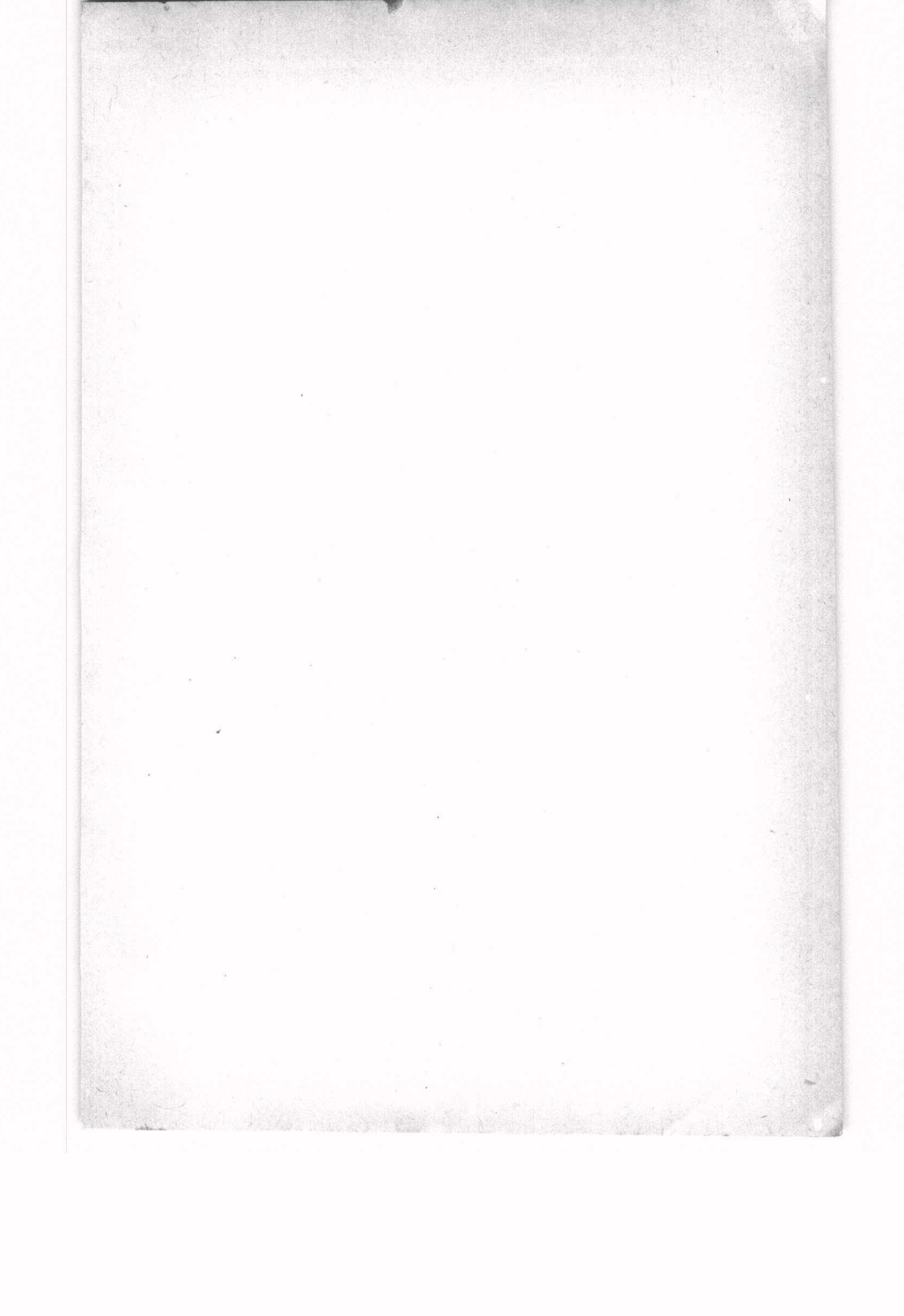
ما الذى آل إليه حال السلطة الرابعة ؟ هل ينبغى علينا أن نقبل قول أحد مديرى وكالات الأنباء بأن وكالته لاتحتاج إلى أن تجمع وتنشر الأنباء الخارجية؛ لأن المشتركين لايرغبون فى إيراد كثير من الأنباء الخارجية ؟ أيجب علينا أن نوافق على رأى المحرر الذى يقول : إنه لايستطيع أن يفرد فى صحيفته مساحة كبيرة للأنباء الخارجية لأن قراءه يفضلون عليها المواد الهزلية ؟ هل نكتفى بالضحك حين يخبرنا أحد الباحثين فى مجال الصحافة أن الشخص الذى يعيش فى تكساس ويرغب فى معرفة شىء عن بقية بلاده ، ناهيك بالعالم الخارجى ، يجدر به أن يقرأ ال « تورنتو ستار Toronto Star » بدلا من أية صحيفة يومية فى تكساس ؟ .

ما الذى آلت إليه الفكرة الأساسية التى تنادى بأن الصحافة مهنة أكثر منها صناعة ؟ .

---

# الباب الثالث

## ما يجب علينا عمله



## ١ — بعض المقترحات المحددة على المستوى القومى

ما الذى يجب عمله فى هذا السبيل إذن ؟

إن فشلنا القومى مرده إلى نقص معلوماتنا . فالمسئولون عنا — بما فيهم الرئيس ، ووزارة الخارجية ، ووزارة الدفاع ، والكونجرس كثيراً ما اتخذوا قرارات قائمة على الجهل ، والمعلومات الخاطئة . أما الشعب فهو يتصرف على أساس أكثر خطأ — فهو غالبا مايبنى تصرفاته على أساس الإشاعات والدعايات التى يزيدها المسئولون والصحافة سوءا على سوء . وعلى هذا أورد ما يلى :

١ — بعض المقترحات المحددة التى من شأنها معاونة كل من موظفى ومواطنى الولايات المتحدة على الإلمام بالحقائق المتعلقة بصراعنا الدولى من أجل البقاء .

٢ — بعض الوسائل التى تؤدى إلى تنظيم فيض الأنباء التى ترد إلينا — طيبة كانت أم سيئة — حتى يمكن للشعب الأمريكى أن يكون رأيه على أساس الحقائق ، لا على أساس الدعاية والشائعات المغرضة .

٣ — خطة تحدد معالم الطريق فى المستقبل ، ذلك الطريق الذى يجب أن يسلكه المواطنون الذين يريدون أن يسهموا فى توجيه مصير الأمة ، سواء كانوا فى منازلهم ، أو فى مكاتبهم ، أو فى مصانعهم ، أو فى حقولهم .

إن على رأس قائمة الحلول وأهمها حلا يقتضى القيام بعمل من جانب الرئيس ؛ ذلك أن أحد الإجراءات البعيدة الأثر الذى يستطيع الرئيس أن يقوم بها هو الشروع فى وضع برنامج يضمن جمع المعلومات الدقيقة عبر البحار ، كما يضمن وصول هذه المعلومات إلى الشعب . أما فى الوقت الحاضر ، فإن عدداً كبيراً من أعضاء الكونجرس يعلنون عدم ثقتهم فى «الحقائق» التى يتلقونها من وزارة الخارجية ، وإدارة التعاون الدولى ، ووزارة الدفاع . فضلا عن أن سجل الكونجرس ملىء بالشك وعدم الثقة فيما يختص بالمعلومات التى يتلقاها من الوزارة التنفيذية .

ويبدو أن الخوف يسود الهيئة التنفيذية لدرجة أنها لاتبوح لأى شخص بشىء — اللهم إلا التصريح بأنباء المشروعات الناجحة . ( وهى فلسفة المعلومات التى عبر عنها الأميرال إرنست كنج Ernest King أحسن تعبير فى قول له إبان الحرب العالمية الثانية ، فقد أثر عنه أنه قال حينما سُئل عن مدى التفاصيل التى يمكن أن يطلع عليها الشعب من أنباء المعارك : « لاتخبرهم بأى شىء . وحينما تضع الحرب أوزارها يمكنك أن تذكر لهم اسم الجانب الذى انتصر » .

من المعتاد مثلا أن ترسل « جماعات لتقييم الأمور » فيما وراء البحار للاطلاع على مدى ماتحرزه برامج سياستنا الخارجية من نجاح أو ما تمنى به من فشل . فإذا ما اكتشفت هذه الجماعات بعض نواحى الإخفاق ، تقوم بكتابة تقرير عن الأسباب التى أدت إلى ذلك .

ومع ذلك فإن مثل هذه التقارير الخاصة بالتقييم غالباً ما تعطى طابع السرية . حتى الكونجرس لايستطيع فى العادة الاطلاع عليها ، خاصة إذا كان التقرير يكشف عن خطر أو فشل .

ينبغى إذن أن توضع هذه التقارير ، بأى شكل من الأشكال ، تحت تصرف الكونجرس ، إذ كيف يمكن للكونجرس أن يسن القوانين الحكيمة ، ويعتمد

الأموال اللازمة للعمليات الأجنبية إذا أنكرت عليه الهيئة التنفيذية إمداده بالمعلومات اللازمة ؟

وقد أعلن الرئيس كنيدى أنه سوف يقدم للأمة خلال كل سنة عدداً من التقريرات عن سير الأمور . وإننا لنأمل فى أن ينفذ ما وطد عليه العزم ، وأن يفصح عن الأنباء السيئة كما يفصح عن الأنباء الطيبة . إذ ليس فى مقدورنا أن نقوم بواجبنا كمواطنين إذا بقينا على جهلنا بمشاكلنا القومية .

لابد أن يدخل الرئيس فى حسابه أن مواطنيه يتميزون بعقلية قوية ووطنية غيورة . فلن يفت فى عضدنا أو يوهن من عزيمتنا أن نعرف الحقيقة عن أخطائنا ، وفشلنا ، والهزائم التى تحيق بنا . بل على العكس من ذلك ، سوف نتجاوب مع المسئولين فى قوة وفطنة . ولكن ينبغى أن تصلنا الحقيقة أولا .

## هيئة دائمة من الخبراء بالشئون الدولية

من المشاكل الهامة الأخرى التى تواجه الرئيس إحلال موظفين محترفين محل موظفينا الحكوميين الهواة . فإن المعلومات الدقيقة ( والقرارات التى تنجم عنها ) لا يمكن أن تصدر إلا عن موظفين على قدر كبير من الدراية والإخلاص .

يجب أن يكون لدينا عدد من المختصين بالشئون الدولية لكل دولة من دول العالم ، وينبغى أن يكون هؤلاء ذوى دراية بلهجات ، وبيئة ، وتجارة ، ونباتات ، وحيوانات البلاد التى سيوفدون إليها . ينبغى عليهم أن يكونوا على إلمام كاف بطبيعة كل جماعة أو قبيلة من جنس واحد ؛ ويكون فى مقدورهم أن يتكهنوا ؛ إلى درجة معقولة ، بما سيحدث من رد فعل من جانب هذه الجماعات والقبائل بالنسبة لأنواع الضغط المختلفة من جسمانية ، وعقلية ، وسياسية . كما يتعين على هؤلاء الخبراء أن يكونوا على دراية بالأنماط العاطفية والعقلية لجميع الطبقات التى يتكون منها مجتمع هذه الدولة ؛ كما يجب أن يمتازوا ، إلى جانب هذا ،

بالقدرة على التفاوض فى نجاح وثقة ، سواء داخل أكواخ الأدغال أو داخل القصور الشامخة .

ليس لدينا عدد كبير من أمثال هؤلاء الخبراء ؛ ولكن علينا أن ندربهم من البداية . فهم بمثابة حد السلاح الأساسى فى معركة الدعاية ، والسياسة ، والاقتصاد فى وقتنا الحاضر ؛ ولذا يصبح لزاماً علينا أن نخلق هذا السلاح من العدم — على الأقل بنفس الحيوية والنشاط اللتين صنعنا بهما أول قنبلة ذرية . علينا أن نبدأ بشبان وشابات صلاب العود تتوفر فيهم المرونة والإقدام .

ليس لدينا فى هذه اللحظة الحرجة من تاريخنا مشروعات فعالة لتدبير موظفين منتقين على مستوى عال من الكفاءة إلا فى ميدان الخدمة العسكرية . فالبحرية ، مثلا ، لديها برنامج أحرز نجاحاً كبيراً فى توفير الموظفين اللازمين . وبمقتضى هذا البرنامج تساهم البحرية بقسط من نفقات التعليم العالى للشبان النابهين . وفى مقابل هذا ، يقبل هؤلاء الطلبة المجدون أن تشمل برامج دراساتهم أقل عدد ممكن من المواد التى وضعت خصيصا لتناسب الخدمة البحرية ، كما يتعهدون بأن يظلوا فى البحرية لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات عقب تخرجهم . ويمكنهم بعد ذلك أن يستقيلوا ويعودوا إلى الحياة المدنية . أو يتخذوا من البحرية حرفة لهم .

ومن الممكن تطبيق مثل هذا النظام فى إنشاء هيئة خبراء فى الشئون الخارجية . ويختار المرشحون لهذا البرنامج من بين الراغبين من طلبة السنوات الأخيرة فى المدرسة الثانوية الذين تتفق استعداداتهم وتقاريرهم المدرسية مع الشروط اللازمة ( إذ أن اختيار هؤلاء على أساس من الكفاءة ، كصفوة ممتازة ، فيه إغراء لهم ، إلى جانب الفائدة العملية التى سوف يجنيها ) . ثم تقوم الحكومة بدفع نفقات سنتين من سنى الدراسة العليا التى يختارها الطالب ، ويشترط فى الطلبة الذين وقع عليهم الاختيار أن يقوموا فى أثناء سنى دراستهم بدراسة

عدد من المواد بقصد تدريبهم على وظائفهم الحكومية المقبلة . كما يعطون الفرصة ، كلما أمكن ذلك ، فى اختيار المناطق الجغرافية التى سوف يتخصصون فيها ، وفى اختيار الكلية التى سوف يلتحقون بها - فى حدود مستواهم الدراسى وتوفر المواد اللازمة لدراسة الأقطار التى سوف يتخصص فيها الطالب - وفى أثناء العطلة الصيفية ، يرسل الطلاب الخبراء عبر البحار مدة ستة أسابيع لكى يتلقوا تدريبا عمليا . ويعامل هؤلاء الطلاب من حيث مركزهم الاجتماعى ، ومرتباتهم التى يتقاضونها معاملة طالب السنة المتوسطة فى الكلية البحرية . وتتضمن واجباتهم التدريب اللغوى العملى مضافا إليه التدرب على بعض الوظائف الصغيرة فى هيئة من الهيئات الحكومية الأمريكية .

ثم يتلقى الخبراء بعد تخرجهم دراسة أخرى مركزة تستمر ستة أشهر فى الخارج ، يتلقون خلالها جرعات كبيرة من التدريب على اللغة الأجنبية ، ويجوبون أنحاء الأقطار التى سيتخصصون فيها حتى يمكنهم أن يشاهدوا كل شبر فيها على مستوى الرجل العادى .

وبعد الانتهاء من تدريبهم ، يتعين على الخبراء أن يعملوا فى الخارج لمدة ثلاث سنوات . وعليهم أن يعملوا فى وظيفة يستطيعون أن يستفيدوا فيها من معلوماتهم إلى أقصى حد ممكن ، وفى الأماكن التى تدعو الحاجة إليهم . فقد يعمل الخبير مترجما للسفارة ؛ أو يقوم بالإشراف على مشروع إنشائى ، أو يصبح محللا سياسيا ، أو غير ذلك من المهام العديدة التى يقتضى الأمر القيام بها .

هذه السنوات الثلاث التى قضاها فى رحلته عبر البحار تحل محل الخدمة العسكرية ( مع أن الخبير له الحق فى اختيار العمل فى الخارج كفرد من أفراد إحدى الهيئات العسكرية ) . وبعد انتهاء السنوات الثلاث ، يمكن للخبير أن يستقيل ويعود إلى وطنه . ولكنه بالطبع سوف يعتبر أحد أفراد الكتيبة الاحتياطية الخاصة بما وراء البحار ( أو كيفما كان اسم الكتيبة ) ، ومن الممكن استدعاؤه إلى الخدمة فى الجيش العامل ، فى حالة الطوارئ - بنفس الطريقة

التى - يستدعى بها الجنود الاحتياطيون . ومن الممكن إرساله من آن لآخر ، فيما وراء البحار ، إذا أبدى رغبة فى ذلك ، لمدة شهر على نفقة الحكومة - وقد يحدث هذا كل سنتين ، حتى يمكن أن يحتفظ بدرايته باللغة .

وقد يتخذ الخبير من الوظيفة الحكومية مهنة له . فإذا اتجه عشرة فى المائة هذا الاتجاه ، لن تمر عده سنوات حتى يكون لدى جميع فروع الحكومة نواة صالحة من الشبان البارعين ذوى الخبرة فى الميادين الخارجية . كما ينبغى أن يمنح هؤلاء الخبراء مكافآت مالية على المهارات الإضافية ، مثل إتقان اللغات .

أما التسعون فى المائة الذين يتركون الوظيفة الحكومية ويعودون إلى الحياة الخاصة ، فلن تضيع مجهوداتهم هباء . فضلا عن أن المبالغ التى أنفقت عليهم سوف تستثمر استثمارا طيبا . ذلك أن معلوماتهم فى الشئون الدولية سوف تعود بالفائدة على الولايات المتحدة كلها . فلسوف يتدفق حينئذ فيض من الخبراء المدربين إلى ميادين الصناعة ، والصحافة ، والجامعات . وسوف تصبح هيئاتنا التجارية الدولية ، وهيئات مراسلينا فى الخارج ، ومدارسنا ، قادرة على أن تؤدى مهمتها فى حذق وكفاية . وبذلك يرتفع المستوى الكلى لكفايتنا القومية فى الشئون الخارجية ، فى الوقت المناسب .

## الانتفاع بالطاقات والمواهب البشرية الضائعة

إن الغالبية العظمى من الشبان الذين يستدعون للخدمة العسكرية يرسبون فى الكشف الطبى ، ويتم استبعادهم من كشوف التجنيد ؛ وبذلك تقع مهمة الدفاع عن الولايات المتحدة على عاتق الأقلية التى يسعدها الحظ بتمام صحتها .

وفى بعض الأحيان تصل نسبة الشبان الذين تتكون منهم أكبر قوة فى مجتمعنا ( رغم أننا نطلق على أنفسنا اسم «أقوى دولة على وجه الأرض») والذين يحرمون من خدمة بلادهم ، إلى حوالى سبعين فى المائة . ذلك لأنهم يعتبرون غير

ملائمين للمعارك العنيفة . ومع هذا ، فأمتنا مهددة بمعركة لاتتسم بالعنف : معركة الحرب الباردة التى لاتقل فتكا عن المعارك ، والتى يشق على النفس خوض غمارها . فى مثل هذا النوع من المعارك ( التى يمكن أن نخسرها دون أن نطلق رصاصة واحدة ) قد يكون فى مقدور الشبان الذين رفضتهم الخدمة العسكرية لعدم لياقتهم البدنية أن يصبحوا جنودا بارعين .

هناك مئات الألوف من المهام فى جميع أنحاء العالم فى الوقت الحاضر لاتؤدى على الوجه الأكمل ، أو قد لاتؤدى على الإطلاق . وبعض هذه المهام تترك للمقاولين ( وغالبا ما يكونون مصدرا للفساد وابتزاز الاموال ) وبعضها الآخر يقوم به بعض الموظفين المفرطين المغالين، الذين يطالبون بالوكلاء ، والمساعدين، والعربات ، والحوالات البريدية ، والتنقلات بالدرجة الأولى ، ومركز اجتماعى فيما وراء البحار أرفع بكثير من مركزهم العادى . كما أن مهاما عديدة أخرى يؤديها أشخاص أجانب ، أغلبهم فى مناصب حساسة ، ويكونون خطرا على أمتنا .

أما العذر الذى تقدمه الحكومة عادة لاستخدام الأجانب والموظفين المترفين ، والمقاولين الانتهازيين فى شن الحرب الباردة فهو : « ماذا يمكن أن نفعل غير ذلك ؟ إذا لم نستخدم هذه الوسائل ، فلن نتمكن من إنجاز مهامنا على الإطلاق . »

لقد أسند الكونجرس إلى جامعة كولورادو University of Colorado مهمة دراسة مشكلة طاقة الشباب الضائعة ، وسوف يعد تقرير فى هذا الشأن فى القريب العاجل . وحتى يتم هذا ، أورد فيمايلى بعض المقترحات الخاصة بالأساليب التى يمكن اتباعها فى سبيل إيجاد حل لهذه المشكلة ؛ إذ أنه يمكن الانتفاع بكل هذه الملايين من الشبان الذين بلغوا سن الخدمة العسكرية ، بمافيهم هؤلاء الذين رسبوا فى الكشف الطبى للخدمة العسكرية ، حيث أن هؤلاء الذين لا يصلحون لخوض غمار المعارك الحربية يدينون للأمة بنفس التضحية التى يدين بها الشبان الذين يفوقونهم بأسا . فلننتق إذن من بين مجموع هؤلاء الشبان أولئك الذين تتلاءم استعداداتهم مع احتياجات مايمكن أن نطلق عليه اسم كتائب الخدمة الاستراتيجية

للولايات المتحدة United States Strategic Service Corps ، التى تعامل على نفس الأساس الذى يعامل به العسكريون ، من حيث التدريب ، والنظام ، والقوانين ، والمرتبات ، ومدة الخدمة . ولكن الاختلاف الرئيسى سوف ينحصر فى نوع الواجب الذى يناط به كل منهم . فبدلا من الوقوف فى انتظار معركة يخوضونها ، سوف يحارب شبان (وشابات) الخدمة الاستراتيجية كل يوم فى معركة الحرب الباردة .

وبهذا نوفر أموالا طائلة ؛ إذ أن مقدرتنا على اختيار هؤلاء الشبان — من بين شباننا جميعا — الذين يصلحون أكثر من غيرهم للخدمة الاستراتيجية فى كل منطقة من المناطق التى تحتاج إلى مجهوداتنا ، سوف تؤدى إلى زيادة كفايتنا ، وإقامة مستودع ضخم من المعلومات التى تنقصنا فى الوقت الحاضر . ومن الممكن أن نكون فكرة عن النتائج التى سوف يتمخض عنها هذا الاقتراح إذا أخذنا فى الاعتبار ماحدث فى أوكيناوا Okinawa سنة ١٩٥٧ . فنى خلال هذا العام كان الأمريكيون المقيمون هناك يتكونون من بعض المدنيين ، والعسكريين ، والقوات الجوية ، والقوات البحرية . كانت أوكيناوا مقر نعيم بالنسبة لجميع الفئات فيما عدا رجال البحرية . كانت هناك مساكن مريحة ، فقام الرجال بإحضار عائلاتهم . وكانت أجور الخدم زهيدة ، ووسائل الترفيه متيسرة . كما كانت واجبات العمل سهلة يسيرة . ومما يدل على شدة الإقبال على هذا المكان أن نسبة تجديد مدة التطوع للخدمة فى الجيش هناك بلغت نسبة أكبر من نسبة الأماكن الأخرى فى العالم أجمع .

أما رجال البحرية فلم يكن مصرحا لهم بإحضار عائلاتهم ، إذ أنهم كانوا مقيمين فى أوكيناوا كوحدة مقاتلة ، على أهبة الاستعداد للقتال فى أى مكان فى آسيا . كانوا يعيشون فى ثكنات مقامة فى منطقة غير مرغوب فيها نسبيا رغم أنها كانت ذات أهمية من الوجهة العسكرية ، كما كان برنامج تدريبهم أعنف من أى برنامج آخر لأى سلاح من الأسلحة الأخرى . وحيث أن المكان بالنسبة

لهم كان بمثابة موقع حربى ، لامحل إقامة لهم بعيدا عن موطنهم الأصلى فقد كانت نفقات الجندى البحرى فى أوكيناوا أقل بكثير من نفقات المدنى أو الجندى أو الطيار . ومع ذلك ، كان مستوى نشاطهم لايقل إن لم يزد ، عن مستوى نشاط الأمريكيين الآخرين : وكان رجال البحرية مع ذلك راضين عن حياتهم هناك كل الرضا . وكانت نسبة تجديد مدة خدمتهم أكبر حتى من نسبة تجديد مدة خدمة رجال الجيش المنعمين . وهذا هو المبدأ الذى يجب تطبيقه فى « كتائب الخدمة الاستراتيجية للولايات المتحدة » .

وقد تضرب كتائب الإنشاء التابعة للبحرية Navy's Construction Battalions ـ تلك الكتائب الذائعة الصيت التى كانت تعرف باسم « نحل البحار » أثناء الحرب العالمية الثانية ـ قد تضرب مثلا أروع من هذا فقد كانت عبارة عن جهاز يتكون من « شيوخ » ممن لايليقون بدنيا فى كثير من الحالات . ومع ذلك ، فإن قصتهم تعد من أمجد سجلات الحرب .

من الممكن أن يقوم أفراد كتائب الخدمة الاستراتيجية للولايات المتحدة بإنجاز مهام عديدة فى جميع أنحاء العالم . ففى مقدورهم أن يبنوا المساكن التى يفتقر إليها السكان كثيرا فى كوريا ، وينشئوا الطرق فى تايلاند ، ويمدوا الخطوط الكهربائية فى الفلبين ، ويقيموا آلاف المستوصفات العلاجية اللازمة فى جميع أنحاء إفريقيا وآسيا .

كما يمكن لأفراد الخدمة الاستراتيجية أن يتولوا المناصب التى كان يشغلها الأجانب فى كثير من الحالات فى البعثات الأمريكية ، بما فيها مناصب السائقين ، وعمال التليفونات ، وسائقى عربات النقل ، وكتبة هيئة المعونة ، ومناصب غيرها تزيد عنها أهمية . وهكذا بدلا من أن تكون هيئاتنا الدبلوماسية فى الخارج ، وإدارة التعاون الدولى ، وهيئة الاستعلامات الأمريكية ، وجماعات

المساعدات العسكرية موبوءة بموظفين يدينون بالولاء لدولة أجنبية ( وهى من أقوى الوسائل التى يستخدمها أعداؤنا فى التجسس ضدنا ) يمكننا أن نحصل على موظفين أمريكيين مخلصين ، مدربين تدريبا جيدا ، وعلى دراية تامة باللغة الانجليزية .

إن شباننا الأمريكيين ليسوا مهيئين أصلا للقيام بمثل هذا العمل ، مثلهم فى ذلك مثل الجنود الجدد الذين لا يقدرون على القيام بواجباتهم العسكرية . ذلك أن الأمر يقتضى تدريب هؤلاء الشبان ، تماما كما يدرب الجنود الجدد .

مثل هذه الكتيبة التى تتكون من عمال ينتمون إلى الطبقة الدنيا تستطيع أن تؤدى خدمة أخرى ، وإن كانت خدمة غير ملموسة . فالأجانب ، اليوم ، وبخاصة شعوب آسيا وأفريقيا ، لايرون فى الغالب سوى هؤلاء الأمريكيين الذين يحاولون أن يعيشوا فى مستوى يكاد يقرب من مستوى السفراء . فالفتيات المختزلات مثلا يحاولن أن يظهرن بمظهر سيدات مجتمع ، كما أن معظم الأعمال الوضيعة يقوم بها أفراد من أهل البلد ، مما يساعد على خلق صورة للأمريكيين على أنهم من البيض المستعمرين . ولن يحطم هذه السمعة غير المرغوب فيها سوى رؤية الأمريكيين وهم لايستنكفون من العمل بأيديهم ؛ إذ على الرغم من أننا نفخر بقدرتنا على أداء هذا العمل فى وطننا عن طيب خاطر ، إلا أننا لسبب من الأسباب ، نتجنب القيام به فيما وراء البحار بشكل يدعو إلى التظاهر والتفاخر .

وإنى أقترح أيضا أن يقيم هؤلاء الشبان ( ولست أجد سببا يدعو إلى عدم السماح للسيدات بالانضمام إلى كتائب الخدمة الاستراتيجية ) فيما وراء البحار ، فى ثكنات داخل منشئات شبه حربية ، وأن يتبعوا النظام العسكرى . كما ينبغى أن يذهبوا إلى الخارج دون أن يصطحبوا أحدا معهم ـ تماما كما لو كانت دولتنا فى حالة حرب ـ ذلك أننا فى حالة حرب بالفعل .

مثل هذه الكتيبة من الموظفين الأمريكيين الذين يقومون ببناء المساكن بأيديهم للمواطنين الأصليين ، وإنشاء مشروعات الرى فى الصحارى ، ومد الأسلاك الكهربائية ، وقيادة السيارات ، أو يعملون كخدم يساومون باعة السمك فى الأسواق ، مثل هؤلاء سوف يحدثون أثرا نفسيا كبيرا .

سوف تعترضنا بعض العقبات التى نحتاج إلى التغلب عليها فى تنظيم كتيبة الخدمة الاستراتيجية ، وسوف تنجم بعض الاعتراضات من جهات متعددة . ولكن دعنا نتأمل إمكانياتها :

(١) سوف تتيح لنا الانتفاع بخدمات ومواهب الغالبية العظمى من شباب الأمة - وهى قوة ثمينة تضيع اليوم هباء - فى مجال احتياجاتنا القومية الكبرى .

(٢) سوف تزيد من كفاية العمليات العديدة التى نقوم بها فى جميع أنحاء العالم .

(٣) سوف تقلل من نفقات برامجنا الخاصة بما وراء البحار .

(٤) سوف تحد من فرص التجسس المتاحة لأعدائنا .

(٥) سوف تقوى من صحة وهيبة ووقار الغالبية العظمى من شبابنا - الغالبية العظمى التى تلفظها الخدمة العسكرية فى الوقت الحاضر .

(٦) سوف تحسن الصورة الأمريكية التى انطبعت فى أذهان شعوب ماوراء البحار ؛ كما ستزيد من هيبتنا .

(٧) سوف تتمكن من الحد من الفساد والابتزاز اللذين يجران الوبال على كل برنامج من برامج المعونة الأجنبية التى نقوم بها ، ويوهنان من فاعليته .

(٨) سوف توفر على مر السنين عددا كبيرا من المواطنين ذوى الدراية ، والخبرة ، والمعلومات الصحيحة عن العالم الكائن خارج حدودنا ، وعن المشاكل التى ينبغى علينا أن نواجهها هناك .

أليست هذه فكرة جديرة بالتنفيذ ؟

## برنامج الطلبة الأجانب

من الأهمية بمكان أن نعرف البلاد والشعوب الأجنبية ، ولكن من الضرورى أيضا أن يعرفنا الأجانب ويفهمونا . وأحسن وسيلة لبث مثل هذه المعرفة فى الخارج هم الأجانب أنفسهم .

وإذا وضعنا فى اعتبارنا أن شبان الدول الصاعدة فى افريقيا وآسيا هم الذين يتولون الزعامة هناك ، أصبح لزاما علينا أن نضع برنامجا ضخما قائما على الاختيار. الغرض منه إحضار الطلبة من هذه البلاد لكى يتعلموا فى الولايات المتحدة . كما ينبغى أن يكون لدينا عدد كبير من الطلبة من كل دولة من دول العالم . ويجب أن يوضع البرنامج بحيث يساعد الشبان من جميع الطبقات والمهن . كما يجب ألا يصبح المركز الاجتماعى والإلمام باللغة الانجليزية شرطين من شروط الحصول على إحدى المنح الدراسية .

لقد قطعت بعض الهيئات — مثل « هيئة الميدان الأمريكية » American Field Service ، و « هيئة التجربة الخاصة بالميدان الدولى Experiment in International Field » - شوطا طويلا فى هذا المضمار . ونحن فى حاجة إلى أن نوسع نطاق مثل هذه البرامج ونضاعفها عدة مرات قبل أن نسد حاجة البلاد منها .

إن موضوع تبادل الطلبة موضوع معقد ، تشترك فيه عدة مدارس وهيئات بحيث يجب على الرئيس أن يعين ، على وجه السرعة لجنة تبت فيمايلى :

(١) تحديد المستويات المطلوبة للطبقات المختلفة من الطلبة الأجانب .

(٢) تعيين الأنواع المختلفة من الطلبة الذين سوف نقوم بدعوتهم . فقد

يكون بعضهم أميا ولكنهم يتقنون الحرف اليدوية . وقد يكون بعضهم على مستوى المدارس الثانوية ، والبعض الآخر على مستوى الكليات .

(٣) ترتيب إحضار الطلبة إلى أمريكا قبل بدء الدراسة بستة شهور أو عام بأكمله - لكى يتمكنوا من تعلم اللغة الانجليزية .

(٤) وضع برنامج تعليمى خاص يعلمهم كيف يستغلون مهارتهم بواسطة الإمكانيات والظروف السائدة فى بلادهم . فثمة آلاف من الخريجين الأجانب فى أمريكا اليوم لايرغبون فى العودة إلى ديارهم لأن ماتعلموه لايتلاءم مع ظروف بيئتهم .

(٥) تحديد الاحتياجات القصوى للبلاد الأجنبية المختلفة ، حتى يمكن تعليم المهارات الضرورية أولا .

(٦) وضع برنامج اجتماعى يجعل الطلبة الأجانب يطرحون الكلفة جانبا فى أمريكا . وهناك بعض البرامج الممتازة التى تنفذ فى عدة مدن (وبخاصة من فيلادلفيا) والتى تصلح لأن تتخذ مثالا للبرامج الأخرى . وتحسن بعض الكنائس صنعا فى التقريب بين الطلبة الأجانب وبين المواطنين من الشبان الذين تربطهم بهم مصالح مشتركة . وعلى أية حال ، إننا فى حاجة ماسة إلى أن نبذل جهودا محلية جبارة فى سبيل إدماج الطلبة الأجانب فى حياة المجتمع ، ولسوف نلمس أثر ذلك فى توفير التفاهم على أعلى مستوى فى المستقبل .

(٧) توفير الجهاز اللازم لانتقاء الطلبة المناسبين فى الخارج . (فى الدول البوذية مثلا يمكننا أن نستعين بالكهنة الذين يكونون فى العادة مسئولين عن التعليم) .

(٨) سن قانون ينص على تعويض المدارس الأمريكية عن النفقات التى يتكلفها الطلبة الأجانب .

(٩) سن قانون ينص على إقامة مساكن للطلبة الأجانب . إذ يجب أن تتاح لهم فرصة الإقامة فى منازل خاصة .

(١٠) وضع برنامج لتبادل الطلبة يستطيع الطلبة الأمريكيون بمقتضاه أن يتلقوا بعض الدراسات فى الدول الأجنبية المتخلفة تحت إشراف الحكومة أو على الأقل يتلقون بعض الخبرة العملية هناك . فنجد مثلا أن معهد ماساشوستس التكنولوچى Massachusetts Institute of Technology يبعث فى الوقت الحاضر ببعض طلبة الهندسة للعمل فى أفريقيا فى الصيف . كما أن جامعة هارڤارد تقوم بإنشاء معهد صناعى فى نيچيريا . هذا بالإضافة إلى أن هناك مئات من الطلبة الذين يتقدمون للالتحاق بكل مكان خال فى البرامج التى تنظمها المعاهد والجامعات مثل برامج معهد ماساشوستس التكنولوچى ، وجامعة هارڤارد . إن شبابنا يعترفون صراحة بوجود التحدى والمنافسة فى هذا المضمار ، وهم على استعداد لقبول هذا التحدى . ولكن ، يجب أن نوسع نطاق هذا العمل إذا أردنا ألا يذهب هذا الاستعداد أدراج الرياح .

إذا تصرفنا إذن فى عقل وتبصر ، وإذا ماقدمنا للطلبة الأجانب مايحتاجون إليه فعلا ، فلسوف يصبح لدينا عدد لاحصر له من الشبان الأجانب - من كل قطر من أقطار العالم - المتحمسين لأمريكا .

ليس من قبيل المصادفات قط أن تستطيع أمريكا أن تمد معظم الشبان فى جميع أنحاء العالم بكل ما يحتاجون إليه . فهى تكفل البيئة المتحررة ، والمجتمع المرن ، والحرية فى إرسال الشعر أو قصه ، أو الاستماع إلى موسيقى الجاز أو الموسيقى الكلاسيكية ، وحرية الخطابة ، والاحتجاج ، وإبداء الرأى ، والتطور الفكرى والاجتماعى . أما فى روسيا ، والصين ، والدول التى تدور فى فلكهما ، فهذا أمر مستحيل الوقوع .

إن الوافدين على روسيا والصين الشيوعية والدول التابعة لهما يؤكدون أن الطلبة هناك يقلدون طرق المعيشة الأمريكية . فإن من أحب الأشياء وأقربها

إلى قلوب الطلبة الروس اسطوانات موسيقى الجاز الأمريكية . فكيف يتفق هذا ، إذن ، مع ذلك الاعتقاد السائد بين الطلبة فى جميع أرجاء العالم بأن الكتلة الشيوعية تتيح لهم فرصا أكبر ، وتبث فى نفوسهم حماسا أعظم مما نفعل نحن ؟

يجب علينا أن نضاعف جهودنا بأى وسيلة من الوسائل لكى ننقل إلى الشباب فيما وراء البحار - الذين سوف يصبحون فى القريب العاجل وزراء فى بلادهم - موسيقانا ، وغرائب أطوارنا ، وأدبنا ، ومغامراتنا ، وحماسنا ، وولعنا بالاختبار والتجريب ، ولكننا لانفعل . ذلك أننا ، بصرف النظر عن القلة من الطلبة الذين ينتفعون ببرامج هيئة « الميدان الأمريكية » وهيئة « التجربة الخاصة بالميدان الدولى » نجد أن الأمريكيين الوحيدين الذين يراهم الأجانب فى بلادهم هم عبارة عن نفر من العسكريين والدبلوماسيين فى منتصف أعمارهم ، ممن يتعاملون مع بعض الدبلوماسيين والعسكريين المتوسطى العمر فى بلادهم ؛ وهم يلمسون منهم قواعد البروتوكول ، ووسائل العيش المريح ، وتصرفات العهود البائدة . ينبغى علينا أن نتعمق فى اكتشاف الوسائل التى نحقق بها أملنا العريض فى إيفاد شبابنا ، بما يعتمل فى نفسه من حماس ، إلى شباب هذه البلاد . وعلى ذلك ينبغى توسيع نطاق برنامج تبادل الطلبة .

ولقد ضربت « نوادى ٤ هـ The 4-H Clubs » الأمريكية مثالا آخر ناجحا يجب أن يحتذى . ذلك أننى قابلت فى بقعة نائية فى الفلبين اثنين من أعضاء هذه النوادى يشتركان فى رقصة وطنية . ثم قام العضوان بعرض رقصة الجاز الأمريكية التى سرعان ما اشترك فيها الفلبينيون . وبعد ذلك تناولا الأرز والأطعمة الوطنية ، وناما على أرض كوخ من الأكواخ المبنية بالنيبة[1] . وفى اليوم التالى تبادل الشبان الفلبينيون والشبان الأمريكيون بعض المعلومات الزراعية .

---

(١) نبات من النخيل .

وقال أحد الفلبينيين : « هذا هو ما تحتاج إليه كل من بلدينا ، ولكن على الحكومة أن تبدأ هذا البرنامج ؛ ذلك لأننا لانملك من المال ما يمكننا من السفر على نفقتنا الخاصة » .

ثم أضاف قوله : « إن لدينا ، كما تعلم ، آلافا من المعدات اللازمة لتشغيل الآبار الارتوازية ، فى المتاجر فى مانيلا . والفلبينيون متلهفون على شرب المياه من هذه الآبار ؛ ولكننا لانملك المهندسين الذين يستطيعون تركيب هذه المعدات . إننى واثق من أنه لو حضر إلينا مئتان من طلبة الهندسة الأمريكيين فى فصل الصيف ، لاستطعنا بمعاونتهم أن نشغل هذه الآبار . ولو أن عددا منا استطاع الذهاب إلى المدارس الأمريكية كل عام ، ثم اضطر فى نظير ذلك إلى العمل فى الحكومة مدة تساوى المدة التى قضاها هناك ـ لأصبح فى مقدورنا أن نعالج هذه المشاكل بأنفسنا فى المستقبل .

## ماتستطيع الصحافة أن تعمله

لا يمكن أن تحرر صحيفة من الصحف أنباءها الخارجية على الوجه الأكمل إذا كانت معلومات هيئة محرريها عن الأحداث العالمية معلومات خاطئة . وإنى لأقترح أن تشترك الصحف فى التقريرات الخاصة بالأبحاث العلمية التى تقوم بها هيئة التدريس فى الجامعات الأمريكية American Universities Field Staff Reports ، فهى تمثل فى رأيى أبرز وأعمق مصدر للمعلومات الخاصة بالشئون العالمية . كما أنصح بالإشتراك فى الطبعات الخاصة بالبريد الجوى [1] لصحف الإيكونومست The Economist والنيويورك تايمز TheNew York Times والأزاهى إيفننج نيوز The Asahi Evening News . ونحن بالإضافة إلى ذلك ، فى حاجة إلى صحف يشرف عليها أناس يدركون أهمية مايفعلون . نحن فى

---

(١) نسخة خاصة من الصحف تطبع على ورق رفيع لإرسالها إلى دول العالم بطريق الجو . ( المترجم )

حاجة إلى مراسلين خارجين لديهم مؤهلات خاصة للمناطق التى يوافونا بأنبائها ، مراسلين قد توفروا على دراسة هـذه المناطق وألموا بلغة الشعب الذى سوف يوافونا بأنباء نشاطه . يقول تيودورهوايت TheodoreWhite ، أحد صحفيينا المبرزين : « لايكفى قلم سريع ، وقدمان قويتان لخلق مراسل خارجى » وهناك من المحررين من يحتاج إلى تعلم تلك الجملة . نحن فى حاجة إلى أناس مثقفين يفهمون الأنباء التى يتلقونها حتى يستحقوا أن يجلسوا إلى مكاتب الأنباء الإستراتيجية التى تتلقى البرقيات الصحفية وتعدها للنشر . وهؤلاء فى حاجة إلى أن يقضوا بعض الوقت فى التمعن فى تلك الأنباء ، والاطلاع على بعض المراجع فى المكتبة الزاخرة بالكتب ، والتى ينبغى أن تكون فى كل جريدة ، رغم أنها لاتوجد إلا فى عدد قليل من الصحف ، وذلك لإضافة بعض المعلومات التى توضح تلك الأنباء ، إذا لزم الأمر . هؤلاء الأشخاص فى حاجة إلى سلطة تخولهم منع نشر أى نبأ إذا كان موضعاً للشك أو مهوشاً ، أو لاتتوفر فيه الدقة ، حتى يتمكنوا من الحصول على رواية معقولة تفيد القارىء . وهم ، إلى ذلك ، فى حاجة إلى أن يتحرروا من العجلة المتبلدة الحس ، التى تملى عليهم أن يدفعوا إلى المطبعة بآخر الأنباء ، حتى ولو لم تضف شيئاً جديداً ، سوى الحيرة والارتباك ، إلى مانشر من قبل . انظر إلى صحيفة « ذا كريستيان سيانس مونيتور The Christian Science Monitor » وهى تنتظر يوما كاملا ، إذا لزم الأمر ، لكى تطمئن إلى أن قصتها تحمل بين طياتها معنى واضحاً . وقد تخرج إلينا بعد مرور عدة أيام وقد عالجت الموضوع معالجة وافية ، فى الوقت الذى تكون فيه معظم الصحف قد نسيت هذا الموضوع فى غمار آخر الأنباء المثيرة . إن عامل الاستمرار هو أحد العوامل الكبرى التى يحتاج إليها القارىء بالنسبة للموضوعات الهامة ، وخاصة إذا كانت هذه الموضوعات بعيدة عنه وغير مألوفة لديه . إن الاستمرار فى نشر أنباء أى شىء يعتبر أحد الخصائص الخطيرة التى تفتقر إليها معظم صحفنا ، مما يجعلك تعتقد أنها تمارس عملها يوما بيوم فقط ، أو أنها تتوقع كل يوم مجموعة جديدة تماما من القراء لاتدين لهم بأية مسئولية تجاه مانشرت عليهم من أنباء مثيرة بالأمس . إن

القراء فى حاجة إلى أن يعرفوا كيف انتهت القصة ، وماذا حدث عقب نشر ذلك العنوان الرئيسى العريض فى صحيفة أمس . وإذا كانت الصحيفة هى جامعة الرجل الفقير ، كما تزعم ، فهى فى حاجة إلى أن تتبع أسلوب الجامعات ، وتعين فى هيئة تحريرها أناسا مدربين ، وتعطيهم الوقت الكافى للاطلاع والدراسة ، وتمنحهم السلطة الكافية للتمرس على الحكم المستنير على الأشياء فى سبيل الوصول إلى معلومات سليمة تعرض على القارىء . إننا بعيدون كل البعد عن هذا النوع من الخدمة فى ميدان المعلومات ، خاصة وأن أزمات عصرنا الحاضر تجعلنا فى أشد الحاجة إليه .

إن الأمر لا يكلفنا شيئاً ( اللهم إلا أن نفقد شيئاً من الإثارة ) إذا جعلنا العناوين الرئيسية تتفق ومضمون القصة ، وبخاصة إذا لم نسمح بأن تذكر هذه العناوين الحدث على أنه حقيقة واقعة ، ثم نتبين فى عرض النبأ أنه مجرد إشاعة : -

وغالبا ما ينصرف القارىء عن قراءة الأنباء الخارجية لسببين .

(ا) عدم صياغتها صياغة جيدة .

(ب) عدم معرفة القارىء بالأسماء الغريبة وبالأحداث التى جرت من قبل ، ولهذا يجب أن تفرد الصحف مكانا تذكر فيه نبذة من المعلومات اللازمة لهذا الموضوع .

وينبغى أن تبذل الجهود للحد من التقليد المتبع فى إرجاع الروايات ونسبتها إلى أشخاص غير معروفين مثل « تصرح المصادر الدبلوماسية » و « بناء على تصريحات كبار المسئولين فى واشنطون » . قد يكون حماية مصدر من مصادر الأنباء الهامة أمراً نقدره ونفهمه ، ولكن هذه الحيلة كثيراً ما تستخدم كستار لعدد كبير من الإشاعات غير الموثوق فى صحتها ، والتى تنتشر فى أرجاء البارات والمطاعم . إن القارىء ليستحق أن يعامل معاملة خيراً من هذه .

وأخيرا ، يجب أن يتقاضى المحررون أجورا أكبر من أجور العمال القابعين فى الغرفة الخلفية . ذلك أن الجزء الخاص بتحرير الصحيفة ( أو محطة التلفزيون أو الإذاعة ) هو الذى يرفع من شأنها أو يسىء إلى سمعتها . ولكن الأمر لا يقتصر اليوم على أن المحررين يتقاضون ، فى الغالب ، أجرا يقل عن أجر عمال «اللينوتيب» ولكنهم ، إلى جانب ذلك ، يلاقون ضغطا شديدا . ينبغى إذن أن يجد المحررون باعثا يحفزهم على العمل ، ووقتا كافيا للاطلاع والتفكير .

وإذا قام أحد المراسلين برحلة مجانية (حينما تكون الخطوط الجوية أو السفن متوفرة) تتكفل بنفقاتها حكومة الولايات المتحدة ، أو حكومة أجنبية ، أو مؤسسة تجارية خاصة ، فإننا ، معشر القراء ، نستحق أن نعرف أن شخصا ما يقوم بدفع تكاليف الرحلة ، بغرض الدعاية . وعلى هذا ينبغى أن تنشر الجريدة خبرا بهذا المعنى : « تكفلت شركة الخطوط الجوية اليابانية بنفقات الرحلة التى يقوم بها مراسلنا ، والتى تستغرق ثلاثين يوما ، إلى اليابان وتبلغ تكاليف السفر والإقامة والمآكل ٣٦ ألف دولار . » وإذا كانت إحدى الحكومات الأجنبية هى التى تتولى دفع نفقات المراسل ، فإنه يعتبر عميلا أجنبيا — حتى ولو كان المقال حقيقيا بأكمله . وإنى أقترح بأن يطلع المحررون على فتوى وزارة العدل فى هذا الشأن ( حدث أن قام أحد الصحفيين بوضع عدة كتب تكيل المدح والثناء للرئيس رى . ولم يعرف القراء أن الكاتب كان يتقاضى أجره من رى . )

يكاد يكون من العسير أن نقترح بعض الخطوات الكفيلة بتحسين نشر الصحف لأنباء الشئون الخارجية ، إذ أن إصدار جريدة مناسبة فى هذا العصر المضطرب هو أمر بالغ الصعوبة . وما من شك فى أن الصحفى العادى هو شخص قد كرس حياته لمهنته ، مستعدا للتضحية بحياته فى سبيل الحصول على قصة ما . أما فيما يختص بنشر الأنباء الدولية ، فلابد أن يقطع النبأ شوطا طويلا دقيقا بين مصدره الأصلى وبين الصحيفة التى ينشر فيها . ولذا يجد الصحفى لزاما عليه أن يعثر على الأنباء أولا ، ثم يفتش عن الحقائق فى تلك البيئة الغريبة عليه . ثم يقوم بعد ذلك

بإبراق النبأ إلى أمريكا ـ وأحيانا يبرق به من مكان ليس به سوى قليل من التسهيلات الخاصة بالمواصلات ، أو قد يكون خاضعا للرقابة المحلية .

وحينما يصل النبأ إلى الولايات المتحدة يبدأ المحررون في تحليله لمعرفة مدى قيمته وأهميته . ثم يتخذ قرار عاجل بشأن المناطق الجغرافية في أمريكا التي قد تهتم بهذا النبأ ( إنني أتحدث هنا عن الهيئات التلغرافية التي تمدنا بثمانين في المائة من الأنباء الخارجية ) . ثم يعاد نقل هذا النبأ إلى مقر المنطقة التي وقع عليها الاختيار ، وهنا يعاد تحليل النبأ قبل إبلاغه إلى دور الصحف . وعندما يصل إلى الصحيفة المحلية تحدث عملية تقييم ثالثة . هل ينبغي أن ينشر النبأ في الصفحة الأولى أو يقبر في الصفحة الثانية عشرة ؟ وبعد الانتهاء من هذا . لابد من اختيار عنوان ـ مقيد بعدد معين من الحروف ـ في ظرف دقائق . ويتم كل شيء في سرعة جنونية لأن الأنباء المتأخرة لاتعتبر أنباء على الإطلاق .

وحتى لو أراد رئيس التحرير والصحفيون أن يملأوا الصحيفة بالأنباء الداخلية والدولية الهامة ، فعادة مايحول بينهم وبين ذلك شبحان يحلقان من فوقهما : الناشر ومدير الإدارة . فلابد أن تربح الصحيفة وإلا لن تصدر على الإطلاق . ويرى معظم المهيمنين على الصحف ، أن السبيل الوحيد لتجنب الإفلاس هو أن تمد الزبائن بما يريدون .

ومن الجلي أن الزبائن لايريدون أنباء خارجية ، فهم يشترون الصحيفة في العادة لكي يقرءوا أنباء الفضائح المحلية ، والطرائف ، وأنباء المجتمع ، والنصائح الموجهة إلى كل من هجر حبيبه ، وقراءة الطالع ، وأنباء الرياضة ، وغيرها من وجوه التسلية .

تعتمد الصحافة في استقاء الأنباء على وكالتين للأنباء الخارجية . هاتان الوكالتان تتقيدان في أنبائهما بالاحتياجات العادية التي تتطلبها الصحف التي تتعامل معها . وما نحتاج إليه فعلا هو ارتفاع هذه الاحتياجات إلى مستوى أكثر علما وتبصرا ، بحيث تمدنا بأنباء خارجية أكثر دقة تتناسب مع مسئولياتنا الدولية .

هذه الاقتراحات القليلة السالفة كانت بشأن الوسيلة التى تستطيع بها الصحافة أن تحسن من إنتاجها ، بيد أن جزءا من هذه المشكلة يرجع إلى الزبائن أنفسهم . فإذا لم يبد المواطن العادى اهتمامه بمستوى يفوق مستوى صحافة متوسطة فى مجال الأنباء الدولية ، فلسوف يستمر فى الحصول على صحافة على مستوى متوسط . أما إذا طالب فى إصرار وقوة بإيراد أنباء أوسع نطاقا وأكثر أهمية عن ذى قبل ، فلابد أن يحصل على شىء على مستوى رفيع .

وإذا كانت صحيفتك أو محطة التلفزيون التى تستمع إليها ، أو مجلتك ، لاتتوخى الدقة ( وهذا هو الواقع فعلا ) فإنك تساهم بقسط كبير فى ارتكاب هذا الجرم . أما إذا عبرت عن رغبتك فى وجود صحافة أمريكية أكثر علما وأكثر إخبارا ، حينذاك سوف يستحث أصحاب الصحف الخطى لتلبية رغبتك .

---

— ١١ —

## بعض الإقتراحات المحددة على المستوى الفردى

( هذه الحلول تتعلق بواجبات وسلطات رجل الشارع وامرأة الشارع - تتعلق بكل فرد من سيدة المجتمع إلى السباك ، من آباء المراهقين إلى كتبة الاختزال - من المواطن العادى إلى الحكومة ) .

تحدثنا فيما سبق عن الأعمال التى تقوم بها القوى المنظمة - كالحكومة والجامعات والكنائس والصحافة - التى ترتبط بالشئون القومية . ونذكر فيما يلى ما يتعلق بالقوة غير المنظمة التى تنبع من الفرد العادى ، رجلا كان أو امرأة ، الذى يريد أن يسهم - على الأقل بطريقة بسيطة حصيفة - فى توجيه مصير أمته ، والذى يمتنع عن إبداء آرائه ؛ لأنه يحس بأنه لا يملك من الدراية أو النفوذ ما يجعله يتحدث حديثا فعالا .

والواقع أن الرجل العادي ، أو المرأة العادية ، يستطيع أن يكون له تأثير قوى فى أحداث أمته إذا أدرك أن ما من صوت يذهب أدراج الرياح ، وخاصة إذا رفع هذا الصوت فى صيغة سؤال أريب ، أو اعتراض ، أو ثناء ، فالفرد المدنى الذى لا يخضع لتنظيم هو أعظم القوى الكامنة طرا . وهناك قول مأثور لأحد السياسيين مؤداه أن هؤلاء الذين يدركون أن أصوات الناخبين تحصى واحدا بواحد هم الذين يحرزون الفوز فى الانتخابات .

وطبيعى أنه من السهل كسب هذه المعركة إذا بذلت فيها جهود منسقة . وقد تكون أعظم القوى التى لم تستغل بعد فى مجال الشئون العامة هى نوادى السيدات فى أمريكا . ولقد أخبرنى البعض بأنه لا أمل فى محاولة إثارة اهتمام

نوادى السيدات فى مجالات النشاط الذى يقوم خارج المجتمع المحلى ، ولكننى لا أعتقد فى صدق هذا القول . لقد أصبح العالم محليا ،وهذه النوادى التى لم تقف خدماتها الجليلة عند حد معين فى بعض المشروعات . مثل مشروعات الصليب الأحمر ، والقيادة المأمونة ، والنظافة المحلية ، هذه النوادى لاتحتاج إلا لشىء من الاقتناع بأننا فى حاجة قصوى إلى حماسها فى مجال الصراع من أجل بقاء الأمة .

فإذا استطعنا أن نستخدم ضغط الملايين من سيدات النوادى للاتى يتمتعن بحسن الإدراك فى معالجة مشكلة توفير المعلومات اللازمة للأمة ، لن يستطيع شىء ما الوقوف فى طريقهن . وحينئذ لن يقتصر الأمر على المواطنين الذين سيصبحون أكثر اطلاعا على الأمور ، بل سيضطر مسئولونا الذين انتخبناهم ، وستضطر الهيئات الحكومية إلى أن تتوخى الدقة والإتقان فى القيام بواجباتها الجسام .

ولما كنت أعتقد أن نوادى السيدات تهتم اهتماما بالغا بهذا المطلب القومى (إذ تلقيت من هذا النوادى عددا كبيرا من الرسائل التى كتبت بأسلوب قوى اللهجة يدل على بصيرة ثاقبة) فإنى أقترح أن تتكون لجان فى كل منظمة يكون مهمتها إطلاع الأمة على الشئون الخارجية ، وعلى هذه اللجان أن تكتب إلى رجال الكونجرس وأعضاء مجلس الشيوخ ، تطالبهم بأن يمدوها بتقريرات شهرية موجزة عن بعض الدول المعينة - فلنذكر ، على سبيل المثال ، تقريرات عن تايلاند فى مارس ، وعن فرنسا فى إبريل ، وعن لاوس فى مايو ، وعن الكنغو فى يونية ... الخ . كما ينبغى على هذه اللجان أن توجه إلى رجال الكونجرس بعض الأسئلة كما يلى :

١ — هل ازداد نشاط الشيوعية فى ... ( اسم دولة معينة ) فى السنتين الأخيرتين ؟ وكيف ؟

٢ — هل ازداد نفوذ الشيوعية ... خلال السنة الماضية ؟

٣ — ما هو السبب فى هذه الزيادة ؟

٤ — هل نمت التجارة الشيوعية فى ... خلال السنوات القليلة الماضية ؟

( عليك أن تسأل هذا السؤال عن أفغانستان ) ولماذا ؟هل نمت تجارة الولايات المتحدة هناك أم تدهورت ؟

٥ — كم يبلغ عدد الأمريكيين المقيمين بصفة رسمية فى ... بمافيهم جميع أعضاء السفارة ، وإدارة التعاون الدولى ،وهيئة الاستعلامات الأمريكية ، والعسكريين ؟ وكم عدد التابعين المقيمين هناك ؟

٦ — كم من هؤلاء يقرؤون ويكتبون ويتكلمون لغة هذا البلد ؟

٧ — ما السبب فى وجود مثل هذا العدد الضئيل ( إذا كانت النسبة تقل عن ٦٠ ٪ ) ؟

٨ — ما هو الإجراء الذى اتخذ بشأن تدريب مواطنينا على الخدمة فى الخارج ، فى مجال اللغة ، والعادات ، والثقافة ، والدين . . الخ ، تدريبا سليما ؟ وإذا كانت ثمة مدرسة ، فكم عدد الذين التحقوا بها ، وما هى مدة الدراسة ؟ وما هو منهج الدراسة ؟

٩ — كم عدد الذين يلحقون بمثل هذه المدرسة أثناء إقامتهم فى ...؟ وما هو عدد ساعات الدراسة فى الأسبوع ؟

١٠ — كم عدد الأجانب الذين عينتهم الولايات المتحدة فى ... ؟ اذكر تفاصيل مناصبهم .

١١ — كم تبلغ نفقات الأمريكى الواحد فى ... ؟ بما فى ذلك كل المبالغ اللازمة لنفقاته الشخصية ، ونفقات تنقلاته بين موانىء عبر البحار ، ونفقات إقامة موظفى هيئة المعونة ، وموظفى المهمات الحربية ، ونفقات نقل المؤونة إلى الهيئات العسكرية وهيئات المعونة ، ومرتباتهم ، وعلاوة « بدل مشقة » ، وبدل إقامة ، ونفقات إمداده بوسيلة من وسائل المواصلات المحلية (كسيارة ..الخ ) والنفقات التى تتحملها الحكومة فى عرض الأفلام وغيرها من وسائل التسلية ، ونفقات

معسكرات الترفية فى المنطقة ، ونفقات الأطباء والتسهيلات الطبية . اجمع كل هذه النفقات ، ثم اقسمها على عدد الأشخاص ، وسيكون الناتج هو متوسط ما يتكلفه الفرد الواحد .

صرح چورچ ڤ . ألن George V. Allen المـــدير السابق لهيئة الاستعلامات الأمريكية أن نفقات الفرد الأمريكى الواحد فيما وراء البحار تبلغ حوالى ٠٠٠ ر ٢٠ دولار سنويا . وتبلغ هذه النفقات بالنسبة لآسيا ، فى تقديرى ، حوالى ٠٠٠ ر ٢٨ دولار سنويا ، ولا شك فى أنه يحق لنا كمواطنين أن نعرف على وجه التحديد المبالغ التى يتكلفها الفرد فى كل دولة من الدول .

١٢ – ما هو المبلغ الكلى الذى تنفقه الولايات المتحدة سنويا فى كل دولة من الدول الأجنبية ؟ بما فى ذلك المعونة الأجنبية ، والمعونة العسكرية ، والمنح ، والتعليم ونفقات مواطنينا هناك . وإذا طلبت من عضو الكونجرس الذى يمثلك الإجابة على هذا ، ورد عليك بأن هذه المعـــلومات سرية ، فأقم الدنيا واقعدها ؛ ذلك أن الشيوعيين يعرفون ما عليه نشاطنا فى جميع أنحاء العالم ، فلم لا نعلم نحن كذلك ؟

هذه المسائل السالفة مجرد اقتراحات . ولا بد أن كل لجنة من اللجان التابعة للنوادى والمختصة بإعلام الأمة بالشئون الخارجية سوف تثير عدة مسائل أخرى من جانبها .

قد تقترح هذه اللجنة على أعضاء الـــكونجرس وأعضاء مجلس الشيوخ أن المواطنين الآخرين يودون الاطلاع على نفس المعلومات . ولذا قد يرسلون الردود على أسئلتك بالبريد إلى صحيفة من الصحف التى تصدر فى دوائرهم .

وإنى لعلى يقين بأن الصحف المحلية سوف تفخر بنشر إجابات رجال الكونجرس - لا لأنها تشتمل على معلومات هامة فحسب ، بل لأن منظمتك المحلية بصفتها جماعة وطنية نشطة ، قد أثرت فى مجرى الأنباء .

كما أؤكد لك أنه إذا أصرت عشرة نواد نسائية فى كل ولاية على تلقى إجابات لأسئلة معينة تتعلق ببلد أجنبى معين كل شهر - لاضطر الكونجرس إلى أن يهتم بالأمر ، ويداوم على تزويد نفسه بالمعلومات الخاصة بالشئون الخارجية .

ومن البرامج التى نجحت فى القيام بها بعض النوادى النسائية هى إحضار الطلبة الأجانب إلى الولايات المتحدة . ويجب أن يكون من المعلوم لدى أية منظمة تباشر مثل هذا المشروع أنه لاينبغى اشتراط إلمام الطالب الأجنبى باللغة الانجليزية ؛ وأن المنحة تتضمن فترة لدراسة اللغة الإنجليزية. كما يلاحظ أن طالب المدرسة الثانوية الأجنبى هو الذى يكون له أثر فعال . ذلك لأن الطالب - أو الطالبة - يستطيع الالتحاق بالمدرسة الكائنة فى بلدتك ، بصرف النظر عن مكانها ،كما يستطيع الإقامة بسهولة حال وصوله مع عائلة من العائلات المحلية بنفقات زهيدة . ولتتذكر أن فى مقدور العائلات الغنية التى تتحدث الإنجليزية أن تنفق على تعليم أبنائها فى أمريكا ، فلتحضر إلى هنا إذن طالبا فقيرا ؛ وإذا كان من آسيا أو أفريقيا ، فلاتنس أن حوالى ٩٠٪ من السكان ريفيون . هؤلاء الأسيويون والأفريقيون يريدون أن يتعلموا وسائل الزراعة الحديثة ، واستخدام الآلات الميكانيكية ، وما إلى ذلك .

سوف تكتشف هذه النوادى أن الصحف والمعاهد المحلية يسرها أن تقوم بمعاونة الجماعات التى ترغب فى الاطلاع على الشئون الخارجية . وسوف يرسل معظم المحررين وعمداء المعاهد ، إذا طلب منهم ذلك ، من ينوب عنهم إلى اجتماعاتهم لكى يعطونكم لمحة موجزة عن الأحداث العالمية . وسوف يقومون بالرد على بعض الأسئلة ( مثل : ما هو السبب فى نشر مثل هذه القلة من الأنباء

الخارجية فى الصحيفة ؟ ) ، وعلى كل ، حاول العثور على خبراء فى الأنباء يحضرون اجتماعاتكم لكى يطلعوكم على جولة فى الأنباء الخارجية تستغرق حوالى خمسين دقيقة .

وأخيرا ، ينبغى على سيدات النوادى أن يقمن ببحث المنظمات النسائية الأخرى فى المجتمع على إنشاء لجنة لكل منطقة ، تختص بإعلام الأمة فى مجال الشئون الخارجية ، ذلك أن المنظمات النسائية تستطيع تغيير وجه الأمة .

وإذا تركنا النوادى جانبا ، نقول : إن النساء كأفراد قد يكن أقوى الناس نفوذا فى الولايات المتحدة ، فهن اللاتى يحددن شكل الأسرة ، والمجتمع ، والأمة ، بطريقة غير محسوسة .

إن أى اهتمام تبديه ربات البيوت بالشئون العامة يتضاعف وينعكس على أبنائهن ، وأزواجهن ، وصديقاتهن . أعرف أما على سبيل المثال ، عرضت على ابنتها البالغة من العمر اثنى عشر عاما أن تتخذ صبيا يتيما كوريا « كأخ » لها فى المراسلة . وكانت هذه الأخوة تتكلف ( عن طريق البريد ) خمسة عشر دولارا فى الشهر . ومن الطبيعى أن هذا العمل كان باهظ النفقات بحيث لم تستطع الفتاة الصغيرة أن تتحمله بمفردها . وتساءلت الأم عما إذا كان من الممكن أن ترحب زميلاتها فى الفصل بالاشتراك فى هذا المشروع . وأبدت الزميلات سرورهن ؛ وتبرعت كل منهن بخمسين سنتا شهريا لإقامة أود الطفل اليتيم . ولكن من الطبيعى أن الثلاثين بنتا لم يكن يردن اختيار طفل من بلد لا يعرفن عنه شيئا . ولما كان « أخوهن » الجديد يقيم فى كوريا ، تحتم عليهن أن يطلعن على شىء عن تاريخها وعادات أهلها ، لذا بدأن يدرسن ما يأكله الناس فى كوريا ، ونوع الملابس التى يرتدونها ، وماهية الحرف الأساسية ، والعادات ، والتقاليد الشائعة . وبدأن يتساءلن : كيف يكون الصيف هناك ؟ والشتاء ؟ وماذا عن الأغانى والرقصات ؟

بهذه الكيفية حثت الأم ثلاثين طفلا أمريكيا على تعلم شيء عن بلد أجنبي ؛ وأشركتهم بطريقة غير مباشرة فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة .

أعرف أما ثانية تدعو الأطفال الأجانب ، كلما سمعت بمجيئهم إلى بلدتها ، لقضاء يوم أو لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى بيتها . ونتيجة لهذا ، يراسل أبناؤها الصغار الآن حوالى اثنى عشر طفلا فى جميع أنحاء العالم . هؤلاء الأبناء يدخرون بعض النقود - التى يربحونها من قطع الحشائش فى الحدائق ، ورعاية الأطفال ، وتنظيف السيارات - لكى يتسنى لهم السفر وراء البحار خلال بضع سنوات . وهم يكتسبون فى هذه الأثناء خبرة بالأحداث التى تجرى فى الخارج ، دون أن يبذلوا جهدا كبيرا . فلم تعد الأماكن النائية تبدو أسماء غريبة الوقع فى أسماعهم . فقد أصبحت ، بدلا من ذلك ، أوطان أصدقائهم ؛ وهم يطلعون على الأنباء التى ترد فى الصحف عن الأحداث هناك باهتمام كبير .

قابلت فى الشهر الماضى على متن إحدى الطائرات ، فتاة أمريكية فى الثامنة عشرة من عمرها فى طريقها إلى الهند ، وكانت أمها هى التى سهلت لها القيام بهذه الرحلة ، فقد كانت هذه الأم تعلم أن عددا كبيرا من الأربعين ألف طالب أجنبى فى الولايات المتحدة يعانون الوحدة ، لذا كانت تقوم بدعوة الطلبة الهنود إلى بيتها خلال الإجازات . كانت تحصل على أسماء هؤلاء الطلبة عن طريق الكتابة إلى عميد إحدى الكليات التى تبعد ثلاثمائة ميل عن بلدتها . وقد استضافت هذه العائلة خلال عشر سنوات ثلاثين طالبا هنديا ، وهاهم الهنود يردون الجميل بدعوة الشابة الأمريكية لزيارة بلادهم على نفقتهم - بما فى ذلك ثمن التذكرة ذهابا وإيابا .

وثمة أم أخرى شجعت أطفالها على الكتابة إلى بعض «الأصدقاء بالمراسلة» فيما وراء البحار . وقد علمت بهذا حينما كنت فى كمبردج واستمعت إلى فتاة شابة من راد كيف Radcliffe وهى تتحدث حديثا ممتعا عن المظاهرات

اليابانية . وحينما استفسرت منها عن المصدر الذى استقت منه معلوماتها أجابت بقولها : « كنت أراسل طالبة فى اليابان طوال الأربع السنوات الماضية ، وقد اشتركت هذه الطالبة فى المظاهرات وكتبت إلى بما حدث » .

ليس هناك حد إذن ، لما تستطيع أن تفعله ربات البيوت لكى يدفعن بذويهن إلى الإلمام بالشئون الخارجية والاهتمام بها .

وفى البيت كذلك ، يعتبر التأثير الذى يحدثه الأب مصدرا آخر من المصادر ذات الأثر الطيب الباقى فى تدريب هؤلاء الذين سوف يبنون المستقبل . فرب البيت هو الذى يقوم عادة بدفع الاشتراك السنوى فى « النيويورك تايمز » و « ذا كريستيان سيانس مونيتور » و « الإيكو نوميست » . وإذا كان من قراء الصحف والمجلات الجيدة ( ومن مشاهدى العروض الثقافية التلفزيونية ) فإن بقية أفراد العائلة عادة مايحذون حذوه .

أعرف عائلة يقوم ربها بتوجيه بعض الأسئلة كل أمسية تقريبا ، فى أثناء تناول طعام العشاء ، عن أنباء ذلك اليوم ، مثل : « ما هى أهم الأحداث التى وقعت أمس فى ألمانيا » ؟ ، « ما هى أهمية الثورة التى قامت فى بلد كذا وكذا » ؟ « ماهى أسماء الزعماء الثلاثة الكبار فى تايلاند ـ وكيف تنطقونها ؟ »

لم يعرف أحد فى البداية الإجابة على هذه الأسئلة سوى الأب ، ولكن الصغار ( الذين كانوا فى سن المراهقة ) بدءوا ، بعد مضى أسبوع ، يتنافسون فى قراءة الصحيفة أولا ؛ ثم بدءوا هم بعد ذلك يوجهون أسئلة من جانبهم .

فإذا ما حاولت تطبيق هذا فى بيتك ، فلا تستهن بشأن أطفالك ، ذلك أنهم سرعان ما يصبحون محللين للأنباء من الطراز الأول ؛ ولن يمر وقت طويل قبل أن تصبح المعلومات الخاصة بالأحداث مادة هينة بالنسبة لهم ؛ وسيودون بعد ذلك أن يعالجوا بعض الأسئلة الصعبة ، وهاك بعض الأسئلة التى يمكن للأب أن يلقيها على أبنائه :

١ — هل تتلاءم العناوين مع القصة ؟

٢ — هل كان مراسل الصحيفة شاهد عيان لهذا الحدث ؟ وإذا لم يكن ، فما هو المصدر الذى استقى منه هذه المعلومات ؟

٣ — حينما يلقى الرئيس خطابا ، هل يتفق ماتورده الصحيفة مع نص الخطاب ؟

( ملحوظة : توجد لدى النيويورك تايمز النصوص الحرفية لخطب الرئيس ومؤتمراته الصحفية ) .

٤ — هل تتبع الولايات المتحدة سياسة خارجية حكيمة فى كذا وكذا من البلاد ؟ وإذا لم يكن هذا هو الحال ، فماذا ينبغى علينا أن نفعل ؟

( ملحوظة للآباء : إن الآراء المبتكرة لأبنائكم فى هذه الموضوعات قد تثير دهشتكم حقا ).

وعلى الرغم من أن المقصود بهذه التسلية العائلية هم الصغار أصلا ( ١٢ — ٢٠ سنة ) إلا أن أثرها على الوالد سوف يكون رائعا . فسواء رضى أم لم يرض ، سوف يصبح خبيرا بالأحداث الدولية ، وسوف يدفعه الكبرياء إلى محاولة التفوق على أبنائه الصغار . ونتيجة لذلك ، سوف يجذب أصحابه ، وزملاءه فى العمل ، ومعارفه فى النادى إلى هذا النوع من الحديث .

أعرف أبا آخر يصطحب ابنه البالغ من العمر ستة عشر عاما إلى الاجتماعات المسائية كلما تقرر أن يتحدث أحد الأجانب ، ولكنه يطلب من ابنه أن يقرأ أولا شيئا عن بلد هذا الأجنبى - حتى ولو ماكتب عنها فى دائرة المعارف ، وقد سمعت عدة مرات بعض من هم أكبر منه سنا يقولون : « هذا الغلام يوجه أسئلة أكثر ذكاء مما نوجهها نحن » . ومما يؤسف له أنهم على حق فيما يقولون .

ومن بين المجالات الأخرى التى يستطيع فيها الرجل العادى والمرأة العادية أن يحدثا أثرا فعالا فى إعداد أمريكا للقيام بدورها فى العالم مجال النظام المدرسى . إذ يمكن عن طريق المدرسين ، ورابطة الآباء والمدرسين ، ومجلس إدارة المدرسة ، وعن طريق الإقناع وضرب المثل ، أن تقتنع المدارس بتوسيع برامجها الخاصة بالشئون العالمية .

وقد دلت خبرتى على أن الشبان الصغار يسارعون إلى الاهتمام بالشئون العالمية إذا هيأنا لهم فرصة معقولة . فإذا بدأنا بالصف الأول فى المدرسة الثانوية ، يلوح لى أنه ينبغى تخصيص فترة معينة لدراسة الأحداث الجارية ، توضع لها خطة عامة على النحو التالى :

يعين لكل طالب قطر أجنبى يختص به ، فقد تكون بولندا من نصيب أحد الطلبة ، وكمبوديا من نصيب طالب آخر ، والسويد من نصيب طالب ثالث ، وهكذا . وأول مهمة يقوم بها الطالب هو أن يقرأ عن هذه الدولة ، ثم يلقى محاضرة موجزة لبقية الفصل عن موقعها ، وسكانها ، وصناعاتها الأساسية ، وموجز تاريخها ، ومشاكلها الراهنة .

والمهمة الثانية هو أن تخصص كراسة للصق الصور والمقالات الخاصة بهذه البلد . وقد تكون أنجح وسيلة هى اشتراك طلبة الفصل فى عددين من « النيويورك تايمز » ثم يقوم كل طالب بقص المقالات الخاصة ببلدته يوميا . ويقوم الخبير الشاب بعد ذلك ، مرة كل شهر ( أو أى فترة تلائم المدرس ) بإعطاء الفصل وصفا موجزا لما يحدث فى بلدته التى اختص بها .

مثل هذا المشروع لاقى نجاحا باهرا فى مدرسة بونا هو Punahou School فى هونولولو . فقد كانت الأحداث القليلة التى تبادلتها مع الطلبة « الخبراء » تدعو إلى الغبطة حقا . ذلك أن هؤلاء الشبان كانوا يعرفون عن اختصاصاتهم أكثر مما كانت تعرفه الغالبية العظمى من الكبار ؛ كما كانوا يبدون حماسا نادرا

تجاه الشئون العالمية كان مصدره الإحساس بأنهم حصلوا على المعلومات بأنفسهم بدلا من أن تفرض عليهم فرضا ، كما أن مبعث هذا الحماس أنهم استقلوا بأفكارهم بدلا من استذكار أفكار مقررة لهم سلفا .

ولقد استطاع « خبراء الشئون الخارجية » فى « بوناهو » أن ينموا فى أنفسهم الوعى التام باحتياجات الأمم الأخرى ـ وبأهميتها السياسية . وقد قال أحد الصبية : « إن ملايين الكوريين القادمين من اليابان والذين أعيد توطينهم فى كوريا يفضلون الإقامة فى كوريا الشمالية الشيوعية عن الإقامة فى كوريا الجنوبية . والسبب الرئيسى فى هذا هو أن المساكن متوفرة فى الشمال بينما هى معدومة فى الجنوب » ...

فقاطعه طالب آخر قائلا : « لقد قرأت عن آلة اخترعها أحد الأشخاص تستطيع أن تصنع قوالب الطوب من أى شىء ـ من القش ، أو الخشب ، أو لباب الخضروات ـ بعد خلطها بالتراب .وفى مقدور أى شخص أن يستخدم هذه الآلة التى تصنع قوالب الطوب فى أى مكان وفى أية ظروف ـ فى وقت أسرع وبتكاليف أقل من جميع الوسائل المتبعة حاليا ...

لماذا لا ندخل هذا ضمن مشروعات هيئة السلم القومية » ؟

ثم كتب الطلبة إلى المختصين يطلبون كل المعلومات الخاصة بآلة صنع الطوب ، وقد ترى فى القريب العاجل شبانا من هاواى وهم يقيمون المساكن فى كوريا الجنوبية خلال عطلاتهم . هذه السلسلة من الأحداث بدأت نتيجة لأن نفرا من الشبان الأحداث أخذوا يتوفرون على دراسة الشئون الخارجية .

وأخيرا أقول : إن القاعدة الأساسية للعمل الفردى فى مجال الشئون العامة هو أنه ما من صوت يضيع هباء . وإليك مثالا على هذا :

منذ عدة سنوات عرض أمر بول هوفمان على مجلس الشيوخ لأخذ الموافقة على تعيينه فى منصب حكومى ، ولكن أحد أعضاء مجلس الشيوخ المحافظين

الشماليين — الذى كان فى نفس الوقت صديقا قديما لهوفمان — عارض تعيينه بشدة وصلابة .

وقام هوفمان بزيارته ، وجرت بينهما محادثة على هذه الوتيرة :

قال هوفمان : « ياسيدى السناتور ، لقد سمعت أن ... »

— « بول ، لا أستطيع ببساطة أن أؤيد تعيينك ، فإن الرأى العام فى مجموعه يعارض ذلك بشدة » .

— « الرأى العام فى مجموعه ؟ ماذا تعنى ؟ »

وضغط السناتور على زر بجانبه ، فدخلت سكرتيرته .

— « احضرى لى ملف بول هوفمان . »

وبعد بضع دقائق دخلت السكرتيرة وفى يدها مظروف أعطته للسناتور الذى أفرغ محتوياته على المكتب ، بحركة رزينة . كانت هناك ستة خطابات تعارض كلها تعيين بول هوفمان .

والدرس الذى نستخلصه من هذه القصة هو أن فى البلاد الديمقراطية التى يلتزم مثل هذا العدد الكبير من أهلها الصمت ، يقام للأصوات التى تجهر بالحق وزن كبير . فمن المحتمل أن يكون فى مقدور خمسة أو ستة آلاف من الأمريكيين المتحمسين المخلصين ، المنزهين عن الأغراض ، المستنيرين ، أن يحققوا نجاح الخطة التى وضعتها فى هذا الكتاب ، بمجرد الجهر بأفكارهم فى صراحة وأمانة .

وكلما أردت الاعتراض على شىء ، أو كلما كان لديك وسيلة بناءة كفيلة بتحسين الأمور ؛ أو كلما أردت أن تعرف الحقائق المتعلقة بأمر من الأمور — فاكتب ، أو اتصل ، أو أبرق . أكتب إلى الرئيس ، إلى عضو الكونجرس أو السناتور الذى يمثلك ، إلى الصحيفة ، وإلى محطات الإذاعة والتلفزيون . وإذا لم ترد عليك ، فاتبع ذلك بمزيد من الخطابات ، والاتصالات ، والبرقيات .

وحينما يجىء وقت الانتخاب ، فافحص وقيم سجلات أعمال المرشحين الماضية . لا تقبل وعدهم بأى شىء . فإذا كان العضو يقوم بترشيح نفسه لإعادة انتخابه ، فاستكشف ، وفتش بدقة عن الكيفية التى أعطى بها صوته فى كل المسائل ، وعادة ما تنشر « النيويورك تايمز » هذه المعلومات فيما يختص بالمسائل السياسية أو التشريعية الكبرى . وعن طريق الكتابة إلى مكتب المطبوعات الحكومى وعنوانه ٢٥ مدينـــة واشنطن ،

The Government Printing Office·Washington 25, D.C.

تستطيع أن تحصل على أكبر صفقة من النشرات فى العالم .

ففى إمكانك الحصول على التقارير الخاصة بكل أمور الكونجرس المتعلقة بالشئون الخارجية نظير مبالغ اسمية . وهذه تتكون من عدد كبير من المطبوعات، ولكنها تتضمن على وجه التحديد أقوال عضو الكونجرس أو السناتور بشأن العلاقات الخارجية . وعلى الأقل ، حث صحيفتك أو مكتبتك على أن تساهم فى هذا الموضوع .

أما على المستوى المحلى ، فيمكننا أن نوجه أسئلة ملؤها التحدى فى الاجتماعات السياسية . وحينما يعم هذا النوع من الاهتمام فى أرجاء البلاد — وهو أمر على جانب كبير من الفاعلية حتى إذا لم تقم به إلا أعداد صغيرة — فإن المرشحين سوف يضطرون إلى التوفر على القيام بأعمالهم .

وعليك أن تشترك فى إحدى صحف الدرجة الأولى . وفى رأيى أنه لا يوجد سوى عدد ضئيل من الصحف الممتازة فى الولايات المتحدة فيما يختص بالشئون القومية والدولية . ومن بينها :

النيويورك تايمز

النيويورك هرالد تريبيون

الواشنطون بوست

الوشنطون ستار

ذا كريستيان سيانس مونيتور

ذا وول ستريت چورنال ( للأنباء الخارجية )

ذا شيكاغو ديلي نيوز

ذا شيكاغو تريبيون

ذا لو يزڤيل كورير چورنال

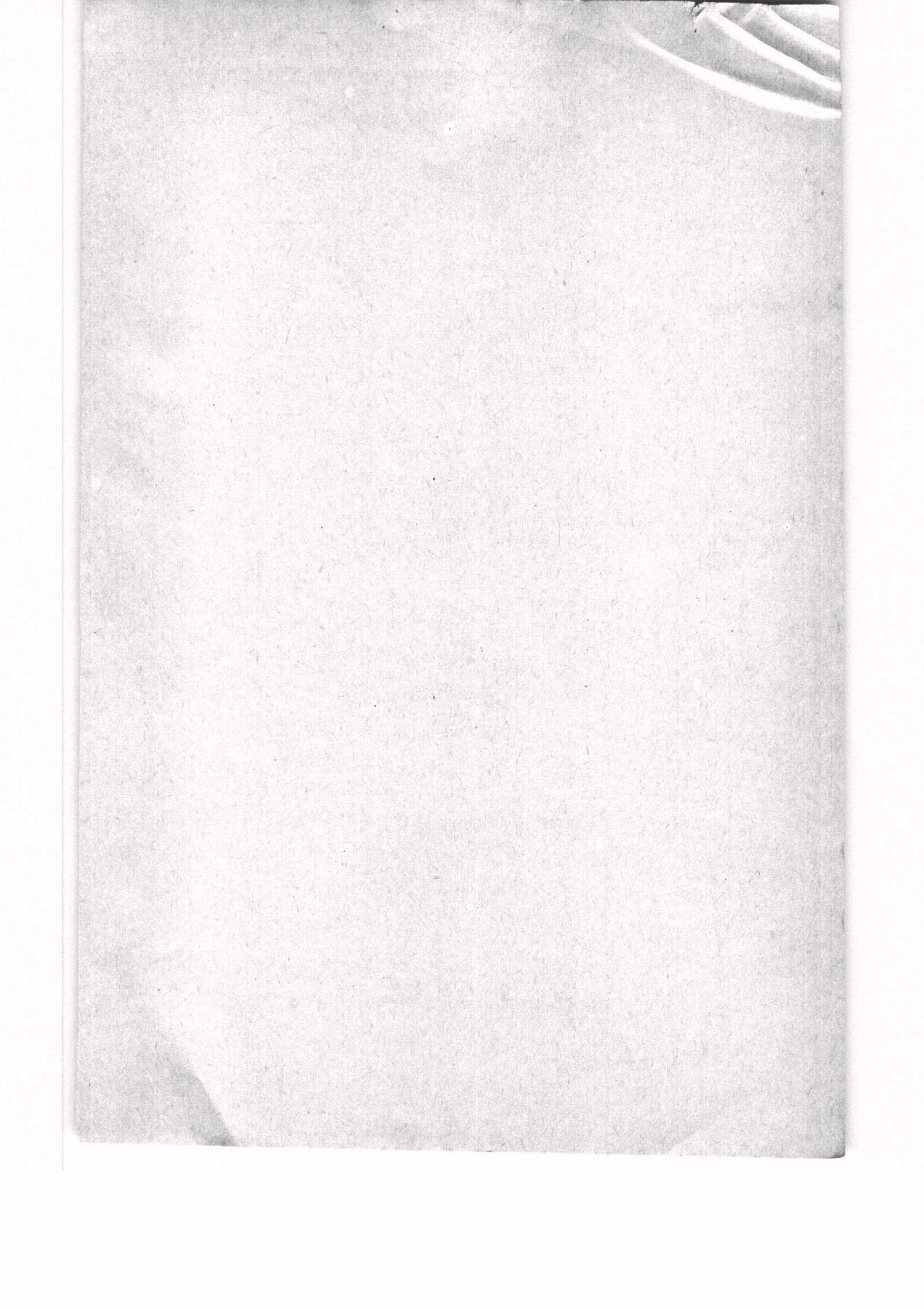
ذا بالتيمور صن

ذا منيا بوليس تريبيون

ذاميلووكي چورنال

وقد يكون هناك صحف أخرى ، وقد لا يوافقنى بعض رؤساء التحرير على رأيى ؛ ولكننى لا أعتقد أن تكون ثمة اعتراضات كثيرة . غير أننا متأكدون من شيء واحد ، وهو أن النيويورك تايمز تعتبر أحسن صحيفة فى العالم كله بالنسبة للأنباء الخارجية ، وعلى كل ، فإن خير حكم على هذه الأمور الحساسة هو نفسك أنت . وأقترح عليك أن تشترك لمدة شهر واحد فى أية صحيفة ممتازة ثم تقارنها بالصحيفة التى تصدر فى مدينتك التى تقيم فيها .

---



# الباب الرابع

## رد على التحدى

## - ١٢ -

## رد على التحدى

بعد أن أتم المؤلف مسودات كتاب « أمة من غنم » ألقى على بعض المستمعين من الساحل الغربى محاضرة يكاد يكون موضوعها نفس موضوع الكتاب. وفى نهاية المحاضرة فتح باب المناقشة للجمهور. فنوقشت أسئلة عديدة، وفيما يلى خلاصة لأبرز هذه الأسئلة وأهمها :

س : إذا كتبنا رسائل، وبعثنا بتلغرافات، وأقمنا الدنيا وأقعدناها بالكيفية التى اقترحتها علينا، ألن نوصف بالشذوذ، وغرابة الأطوار، أو ربما اتهمنا بأننا شيوعيون ؟

ج : من المحتمل أن يحدث ذلك.

ولكن چيفرسون اعتبر متطرفا، ولنكولن مغاليا. واعتقد الناس أن وليم ألن وايت William Allen White سىء الأخلاق حينما أصدر صحيفته القوية « إمبوريا جازيت Emporia Gazette »، كما أن الناس سخروا من إديسون Edison وفولتون Fulton ورموهما بالجنون. والقائمة زاخرة بالأسماء.

وسؤالك هذا يتلخص فيما يلى : هل تفضل أن تكون فردا أمريكيا متحررا (شاذا أو غريب الأطوار على حد تعبيرك) - مستعدا لمواجهة كل الأخطار المترتبة على ذلك ؛ أم تفضل أن تكون مواطنا ينتمى إلى أمة خائرة القوى قد ينتهى بها الأمر إلى أن يرأسها خروشوف. هل تفضل أن تصبح أمريكا بلدا خاملة، جاهلة، مفرطة فى واجباتها - لمجرد أنك أنت ومليونا آخرين يخشون الإفصاح عما يجول بخواطرهم ؟

هذا القرار هو الكبير الذى يجب أن تتخذه .

س . إذا بعثنا برسائل إلى الصحف أو إلى أعضاء الكونجرس الذين يمثلوننا أو إلى وزارة الخارجية - أو حتى إلى الرئيس نفسه -- فمن المحتمل أن نظفر بإجابة يردون فيها عن أنفسهم مانتسبه إليهم . فكيف يتسنى لنا أن نعرف أن ما يقولونه هو الصدق ؟ وكيف نتحقق من ذلك وأنى لنا أن نعلم ما إذا كانوا حتى قد اطلعوا على خطاباتنا ؟

ج : من الممكن أن تتلق إجابة فيها رد التهم الموجهة إليهم — خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأخطاء أو فشل يحز فى نفس البيروقراطيين .

ولكن العملية الديمقراطية مخلوق عجيب ، تتناسب كفاءته تناسبا مباشرا مع نسبة المواطنين الذين يبدون اهتمامهم بالحكم . ومثال ذلك أنه إذا كتب مائة شخص من مقاطعتك إلى عضو الكونجرس يسألونه عن مشكلة لاوس — فسوف يبعث عضو الكونجرس ( الذى قد لايعرف الكثير عن لاوس ) بهذه الأسئلة إلى وزارة الخارجية ، وإلى إدارة التعاون الدولى ، وإلى وزارة الدفاع ، ويطلب من هذه الهيئات أن تزوده بالمعلومات اللازمة . وسينتج عن ذلك أشياء عديدة .

١ — سوف تدرك الحكومة بالتدريج أن ثمة اهتماما عاما بالموضوع (بما فى ذلك عضو الكونجرس الذى تعتمد عليه هذه الهيئات فى اعتماد ميزانياتها المقبلة ) وإذا ما تدفق نفس النوع من الاسئلة من عشرة أعضاء ، فإن وزارة الخارجية ، وإدارة التعاون الدولى ، ووزارة الدفاع سوف تكون بالغة الحرص فى إجاباتها ذلك أن المسئولين يدركون تماما أن للكونجرس سلطة إرسال المراقبين إلى لاوس للاطلاع على الأشياء من مصادرها الأصلية - كما أن له سلطة إجراء التحقيقات .

أضف إلى ذلك ، أن عضو الكونجرس الذى يتلقى أسئلتك يعتمد عليك فى إعادة انتخابه .

فإذا ما وجه عدد كاف من المواطنين أسئلة معينة بشأن بعض الشئون الخارجية ، يجد لزاما عليه ، من أجل بقائه السياسى ، أن يلم بشىء عن الموضوع ، ويتأكد من أنك لن تتخلى عنه .

كذلك إذا أرسلت إليه مئات الأسئلة ، فإن الصحافة سوف تعلم بالأمر . ولما كان هذا يعتبر خبرا ، فلن تجد الصحف مفرا من أن تكشف عن الموضوع بنفسها .

وفى البلاد الحرة ، نجد أن الاهتمام الذى يظهره الأفراد فى الشئون الحكومية يميل إلى التجمع والازدياد . ذلك أن مبدأ إعطاء الأصوات « واحدا بواحد » فى الانتخابات هو الطريق إلى الفوز . ولذا قد يكون خطابك ، أو مكالمتك التليفونية ، أو برقيتك سببا فى الحيلولة دون تعيين شخص طالح ،أو فى الشروع فى إصدار قانون نافع ، أو سببا فى عدول أحد كبار المسئولين عن قرار اتخذه بشأن سياسة خارجية معينة .

هذه هى سنّة الديمقراطيات العاملة التى تؤدى وظائفها ، فطالما أظهر المواطنون فى أمة من الأمم الاهتمام بشئونها ، طالما اتسم عملها بالأمانة والإتقان . أما إذا تحول المواطنون إلى شعب بليد خامل ، تفشى الاستبداد ، والجهل ، والانحلال القومى .

وحين تبدى بعض الأعذار مثل : « لماذا أحاول ، فلسوف ألقى ردا يدفع عنهم التهمة ، على أية حال ؟ » أو « لست أريد أن أجازف بأن يرمونى بالشذوذ أو الشيوعية ، » أو « لست أعرف إلى من أكتب ، » أو « لم لا أترك المشاكل إلى المختصين ، فمن أجل ذلك عينوا فى الحكومة ؟ » - حينئذ يكون قد استبد بك الكسل والخمول بحيث لا تستحق أن تسلك سبيل الديمقراطية فى الحياة ، وأدهى من ذلك وأمر أنك لن تنعم بها طويلا .

س . ليس هناك جديد عن الخداع والفساد والرشوة السائدة فى كوريا والصين . لقد علمنا بها منذ أمد طويل . فلم توردها فى هذا الكتاب ؟

ج . لقد لمست الوتر الحساس فى كتاب « أمة من غنم » . لاريب فى أنك سمعت عن أخطائنا الدولية منذ زمن بعيد . ولكنك لم تسمع بها إلا بعد أن أصبح من المستحيل إخفاؤها مدة أطول من ذلك . وسوف أجيب على سؤالك بتوجيه سؤالين إليك :

١ — لم لم يكن لديك أو لدى الحكومة أو الصحافة علم بهذا الفساد وبهذه الأخطاء طوال السنين العديدة التى كانت تستفحل فيها ؟

٢ — بعد أن علمت بالإهمال والتفريط والعجز ، ما هو الإجراء الذى اتخذته شخصيا ؟ لم تفعل شيئا واحدا . بل اقتصرت على هز رأسك ، ثم أشحت بوجهك عنها إلى صفحة الرياضة أو الطرائف ، أو أنباء المجتمع .

إن الأخطاء الشنيعة التى حدثت فى كوريا ولاوس والصين تكرر ذكرها فى هذا الكتاب لكى تعيد إلى ذهنك أنك لم تعلم بها إلا فى وقت متأخر من اللعبة ، وإذ ذاك لم تقدر أهميتها أو تفعل شيئا لتقويمها . لم تكشف آنذاك عن غضبك ، أو تبد اهتمام المواطن بها . ولكنك أخذت فى اجترار أفكارك فى صمت ، وأنت تشعر بالطمأنينة والأمن فى ظل أمة من غنم . وفى الوقت الذى قبلت فيه هذه الأعمال الشائنة كانت حفنة من الشيوعيين قد سيطرت على نصف العالم .

س . إنى أعترف أن معظمنا مواطنون غير صالحين ؛ وأن إصلاح الموقف أمر يتوقف علينا . ولكن أليست هناك وسيلة يستطيع بها الكونجرس أو الرئيس أن يضرب لنا بها المثل ـ كأن يختط لنا نظاما جديدا لإسهامنا فى الحكم ، ولإقامة وزن لأفكارنا ، والإدلاء بآرائنا فى المسائل العامة ؟

ج . لقد واجه الرئيس رامون ماجسايساى رئيس جمهورية الفلبين نفس المشكلة . فقد كانت الأصوات الوحيدة التى تصل إليه هى أصوات السياسيين فى مانيلا

وعدد قليل من الصحف المنحازة . ثم أراد أن يتعرف على آراء الناس . ولكى يتم له ذلك أقدم على عمل رائع حقا . ذلك أنه أجاز لكل مواطن فلبينى أن يبعث ببرقية إلى الرئيس لقاء مبلغ لايتجاوز عشرة سنتات .

وقد أحرز هذا النظام نجاحا باهرا . فقد وجد الفلبينيون أنه أصبح من اليسير عليهم أن يتصلوا مباشرة بالرئيس ، دون أن يكلفهم الأمر كثيرا .

كانوا يعلمون أنه لايطلع على كل برقية بنفسه ، بل هناك لجنة خاصة تابعة لرئاسة الجمهورية ( ولا أحد سواها ) تتولى الاطلاع على البرقيات ، ثم تقوم بتبليغ الأمر إلى الرئيس التنفيذى .

قد يكون فى إمكاننا كذلك أن نستن نظاما يستطيع بمقتضاه أى مواطن فى أى مكان من الولايات المتحدة أن يبرق إلى عضو الكونجرس الذى يمثله ، أو إلى الرئيس لقاء مبلغ معتدل ، قل خمسة وعشرين سنتا .

حقيقة إنه فى إمكاننا أن نقول الكثير فى الرسائل ، ولكن يبدو أن معظمنا لا يستطيع تخطى حواجز « الوقت والكسل » ؛ ولذا فمن النادر أن يتم كتابة هذه الرسائل . ولكن إذا استطعنا أن نبعث ببرقية لقاء خمسة وعشرين سنتا ، أصبح الأمر هينا . إذ يستطيع الفرد أن يتصل تليفونيا بمكتب التلغراف ويقول : « أريد إرسال برقية إلى الرئيس ، وهاك ما أريد أن أقوله »...

ولسوف يضاف بطبيعة الحال مبلغ الخمس والعشرين سنتا قيمة التلغراف إلى فاتورة المكالمات التليفونية .

س : إننى أشك فى قولك أن « النيويورك تايمزا » تتفوق على صحفنا المحلية فى مجال الأنباء الخارجية . فهل تتفضل بتوضيح ذلك ؟

ج : ما هى الصحف التى فى متناول أيدينا الآن ؟ فلنجمعها ولنحص عدد الأعمدة الخاصة بالأنباء الخارجية فى كل منها .

ملحوظة : هذه هى نتائج الإحصائية للصحف التى حصلنا عليها يوم ١٠ يناير سنة ١٩٦١ :

«لوس أنجلوس هرالد اكسبريس Los Angeles Herald Express » .
أربعة أعمدة للأنباء الخارجية .

«أوكلاند تريبيون Oakland Tribune» - خمسة أعمدة .

«سان فرنسيسكو كرونيكل San Francisco Chronicle » - خمسة أعمدة .

النيويورك تايمز » : ثمانية وستون عمودا .

س : هل تعتقد أن حكومة إيزنهاور هى المسئولة عن هذه الأخطاء والأكاذيب والافتقار إلى المعلومات ؟

ج : كلا . فعلى الرغم من أن حكومة إيزنهاور لم تعبأ بتزويدنا بصورة واقعية عن الأحداث القومية إلا أن على الشعب الجاهل ألا يلومن إلا نفسه . ذلك أن الجهل والافتقار إلى الاهتمام من جانب المواطنين قد أصبحا من بين خصائص الأمة ، بصرف النظر عن الحكومات . لقد تضاءل شغفنا وإقدامنا السياسى ، وربما لتعاقب أجيال من المسرفين فى الثقة بأنفسهم نتيجة للشعور بالأمن الذى يوفره لنا موقعنا الجغرافى المكين ، ونتيجة للرخاء الطبيعى الذى نتمتع به .

وإذا بذل الرئيس نفسه بعض الجهد فى الإلمام بالأحداث القومية والعالمية - وأبدى هذا الميل فى تصريحاته العامة ومؤتمراته الصحفية - فلسوف ينتقل هذا الميل إلى نفوس الناس ولسوف تصبح معرفتك بما يدور فى غانا أو بولندا أو لاوس أمرا شائعا تماما كمعرفتك بنتائج البيسبول أوترديدك لآخر إشاعة حول نجم من نجوم السينما .

وإن الفرص السانحة أمام مستر كنيدى لبعث الحياة فى الأمة فى هذا المجال لا تقف عند حد .

س : إذن أنت تهدف من وراء كتابك أن يكون مرشدا وخطة للعمل فى المستقبل ... متخذا من الماضى معلما فحسب ؟

ج : هذا صحيح

---

## الخاتمـــة

لقد أشرت فى مقدمة هذا الكتاب أننا تلقينا أكثر من ٨٠٠٠ رسالة حائرة ردا على كتاب « الأمريكى القبيح » . وقد جاءت هذه الرسائل من كل ركن من أركان بلدنا ، ومن كل الأجناس . وكانوا كلهم ، بطريقة أو بأخرى ، يوجهون نفس الأسئلة اليائسة .

ماذا فى وسع الأمريكى العادى أن يفعل بشأن وضع الولايات المتحدة المخيف فى الشئون الخارجية ؟

كيف يمكن لرجل الشارع ولسيدة البيت أن تساعد فى منع الأخطاء التى نعين بها أعداءنا فى جميع أنحاء العالم ؟

والناس لا يكفون عن ترديد هذا السؤال مرارا وتكرارا ، فى الخطابات ، والمحاضرات ، ووسائل المواصلات ، وفى المنازل ، وفى المكالمات التليفونية .

« ماذا يمكننى أن أفعل على سبيل المعاونة ؟ » .

ومن الجلى أنهم ماكانوا ليوجهون هذه الأسئلة لو أنهم كانوا على علم بما يجرى من أحداث داخل الأمة وخارجها . إذ لو توفرت لديهم المعلومات ، لأصبحت الإجابات واضحة كل الوضوح .

وينطبق هذا القول على موظفينا ، إذ لو كانوا يملكون الحقائق الخاصة بالشئون العالمية ، لما تخبطوا هنا وهناك .

إن أمريكا تملك من الأرصدة أكثر مما تملك أية دولة أخرى فى العالم . إن نصيبنا من الثروة المادية ، والتسهيلات العلمية ، والحرية يفوق نصيب غيرنا من الأمم . فإذا . كنا نخفق بعد هذا فذلك لأننا من الحمق والغباء بحيث نمكن الدول المعتدية من أن تستغل أخطاءنا .

ليس هذا اكتشافا عجيبا ، فإننا نحس جميعا بغريزتنا أن الأخطاء المعيبة هى السبب فى فشلنا . وعلى كل ، فإن عددا قليلا من الناس هو الذى ينادى باتخاذ إجراء لوضع الأمور فى نصابها . وأقل منهم من يقترحون الوسيلة لهذا . ولكنهم بدلا من ذلك ، يقلبون أكفهم مشفقين ، وهم يثغون[1] : « ماذا عساى أن أفعل؟ ماذا عساى أن أفعل ؟ لقد ضاع كل شىء . »

إننا نتصرف كأمة من الأغنام ـ لا كمجتمع قوى ذى بأس قوامه من الأمريكيين الشجعان المتعلمين .

وقد حاول هذا الكتاب فى إيجاز أن يحقق ثلاثة أشياء :

١ ــ تحليل الأسباب الرئيسية التى أدت إلى جهلنا القومى ، فى المجالين الرسمى وغير الرسمى ، ذلك الجهل الذى يوهن من عزائمنا .

٢ ــ إيضاح أن المسئولين مرآة لأعمالك وأعمالى . فإذا كنا جهلة خاملين ، فلسوف تكون الحكومة بدورها جاهلة خاملة .

٣ ــ تقديم بضع اقتراحات معينة تبين كيف يكون فى مقدور المواطنين العاديين ، فى حياتهم اليومية ، أن يصبحوا أكثر اطلاعا على الأمور ؛ وبعض الوسائل الممكنة التى تجعل من موظفينا الهواة أناسا محترفين على قدر كبير من الفاعلية .

وآخر نقاط هذا الكتاب وأهمها هو أن حالة الدولة رهن بالمواطنين أنفسهم كأفراد . إذ ينبغى علينا نحن ، فى بلد ديمقراطية ، أن نضرب المثل لموظفينا .

لقد أخبرنى بعض علماء الاجتماع والسياسة أننى مخطىء ، وهم يقولون : إن رفاهية أمة من الأمم لا تنبع من الناس قط . ذلك أنها لا تأتى إلا على يد زعيم قوى .

ولكننى أخالفهم الرأى .

إننى أعتقد أنه لو حاولنا ـ أنت وأنا ـ أن نزود أنفسنا بالمعلومات ، ثم نتصرف فى عزم وبأس على أساس معلوماتنا ، لا ستطعنا حينذاك أن نخلق زعماء أقوياء ،

---

(١) من الثغاء وهو صوت الغنم .

ذوى مبادىء ، مزودين بالمعرفة . ذلك لأنهم منا ؛ وهم قوة كامنة بين ظهرانينا . وعلينا أن نخلق الجو الصالح لظهورهم .

إن كل لحظة تمر تكشف عن جبهة جديدة مليئة بالتحدى . ولكى يتسنى لنا أن نعيش ؛ ينبغى علينا أن نكف عن التصرف كأمة من الأغنام ؛ وعلينا ، بدلا من ذلك ، أن نصبح ثوريين وطنيين مرة أخرى . يجب علينا أن نتقدم ونجارى الأحداث المتطورة . فطالما أدركنا وتفهمنا العوامل والحقائق السائدة فى عالمنا طالما كان النصر حليفنا . علينا أن نحث أنفسنا على أن نظل ملمين بالحقائق مزودين بالمعرفة ؛ ولا يجدر بنا أن نخشى السير قدما والتطور فى خطوات جريئة قوية . فالامة التى لا تحرك ساكنا ، وتكتفى بالتمنى بأن كل شىء سوف يكون على ما يرام ، شأن الحالمين المتبلدين ، هذه الأمة قد تخلت عن فرصتها فى البقاء . ذلك أن التاريخ سوف يطحنها تحت عجلاته .

وأنت يامن تنعم النظر فى هذه السطور ، وتمسك بيديك هذا الكتاب ، فليكن لديك العزم والقوة لمساندة أمتنا ساعة محنتها . ولكنك لست بحاجة إلى التريث حتى تحين لحظة المجد والبطولة ـ تلك اللحظة التى تسنح لك فيها فرصة القيام بالأعمال المجيدة ، تخفق فوقك الاعلام وتعزف أمامك فرق الموسيقى . فكل لحظة يكمن فيها المجد والبطولة ، وكل مواطن يجب أن يقوم بالواجبات التى يخلق به أن يؤديها فى حياته اليومية — ليست ثمة هدنة ؛ وليس ثمة إجازة من هذه الحرب الراهنة .

والآن — وأنت تقرأ هذه الصفحة الاخيرة — تستطيع أن تتناول أدوات كتابتك ، أو تمسك بجريدتك ، أو سماعة تليفونك — وتتخذ الخطوة الأولى فى مجال العمل الفردى . ولسوف تثمر هذه الأعمال ، وتصبح النتائج واضحة للعيان . وإنى لأنصحك بالإسراع . فقد تكون شاشة التليفزيون براقة لامعة ، وقد يكون الدفء شائعا فى بيوتنا المريحة الهانئة ؛ ولكن الجو خارجها بدأت تغشاه البرودة ، ويسوده الظلام .

# الفهرس

صفحة